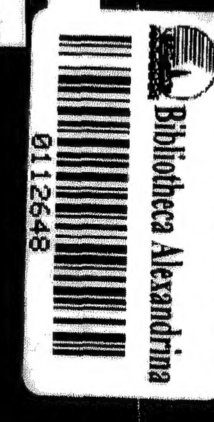


صلاح نصر

الثورة
المخابرات
النكسة

عبدالله إمام

دار الخيال



صلاح نصر يتذكر:
الثورة - المخابرات - النكسة

صلاح نصر يتذكر
الثورة - المخابرات - النكسة

طبعة كاملة ١٩٩٩
رقم الإيداع. ٩٨/١٤٢٥١

دار الخيّال

تصميم الغلاف· محمد الصباغ
جرافيك محمد كامل مطاوع
خطوط الغلاف. لمعى فهيم
كمبيوتر دار جهاد
ت· ٣٥٦٤٧٨٣

عربية للطباعة والنشر
7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين
تليفون· 3256098 - 3251043



صلاح نصر مع جمال عبدالناصر فى زيارة سرية لأحدى الول الأفريقية سنة ١٩٦٠

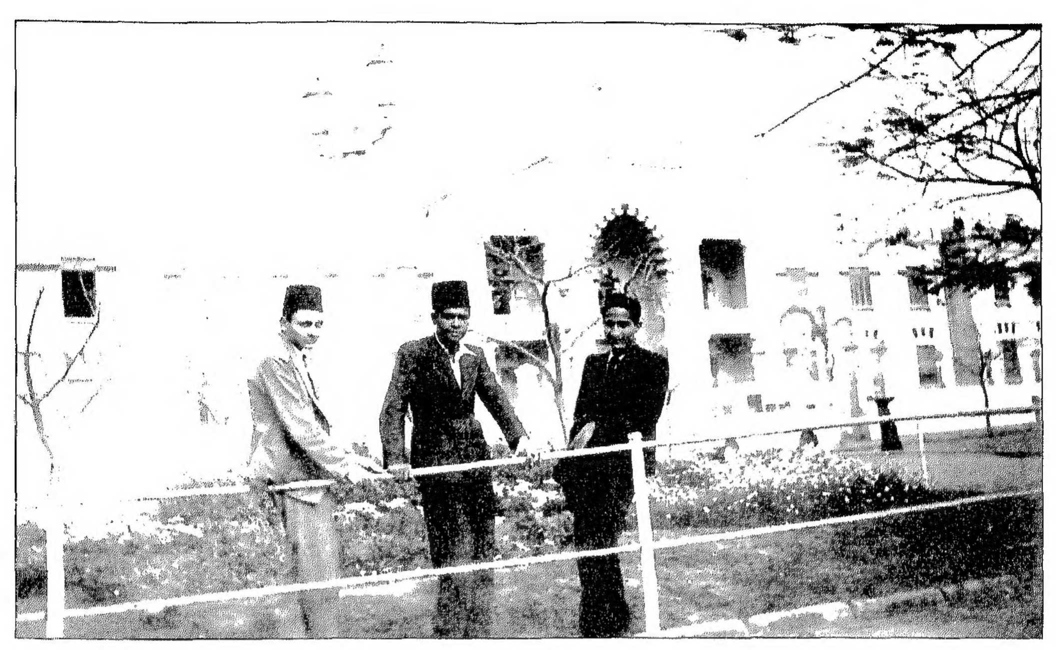
البداية المختلفة

علي غير العادة في مثل هذه الكتب السياسية سوف تكون بداية هذا الكتاب مختلفة وسوف يكون الاحتفاء أولا - ورغم أهمية المذكرات - بالصورة فهذه الصفحات تضم ألبوماً من الصور النادرة .. هي خير سجل لواحد من أبرز رجالات هذا الوطن في فترة مجيدة من عمر مصر وثورتها .. الرجل هو صلاح نصر.

وهذا الألبوم الخاص مهدى لدار الخيال من المهندس محمد صلاح نصر .. ونحن إذ نشكر له هذا الفضل في إثراء هذا الكتاب .. فنحن نوجه الدعوة أيضا من أجل تكوين أرشيف وطني مصور، يضم كل ما أمكن تصويره عن الحياة والأشخاص في هذا الوطن.

فالحياة تخلد إذا ما سلجنا أهم ما فيها من أحداث وأشخاص.

دار الخيال



مع زملائه أمام المتحف الإسلامى



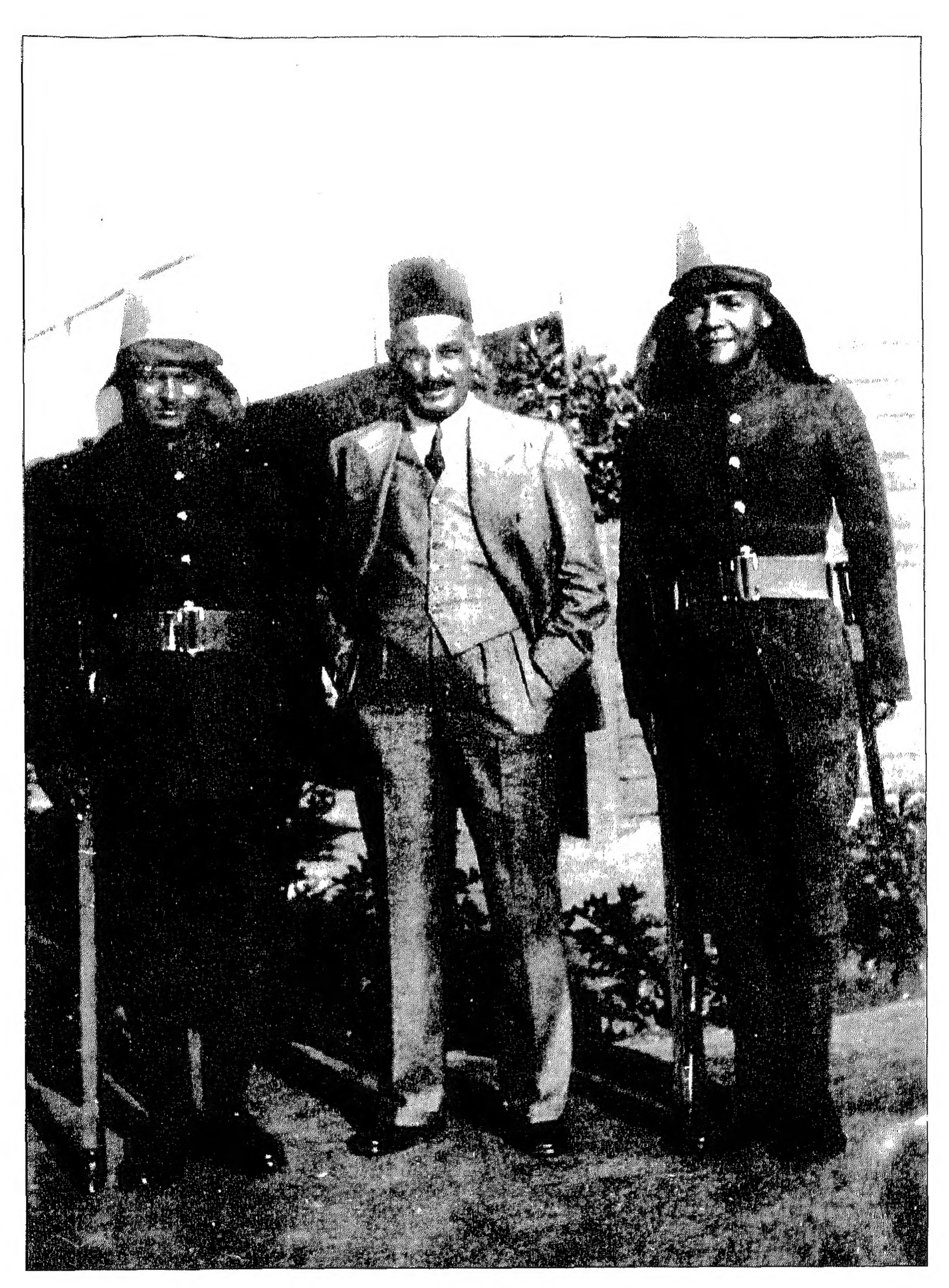
مع مجموعة من الأصدقاء



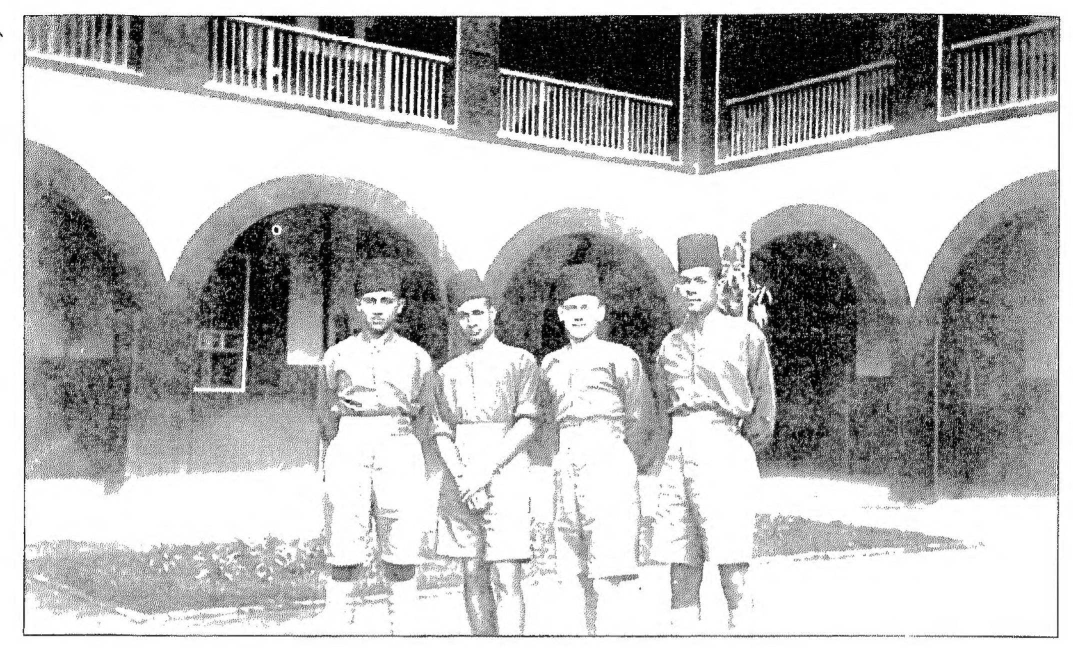
فى رحلة مع المدرسة



فى حصة النشاط



مع محمد فتوح باشا مدير الكلية الحربية والطالب سعيد شرابى



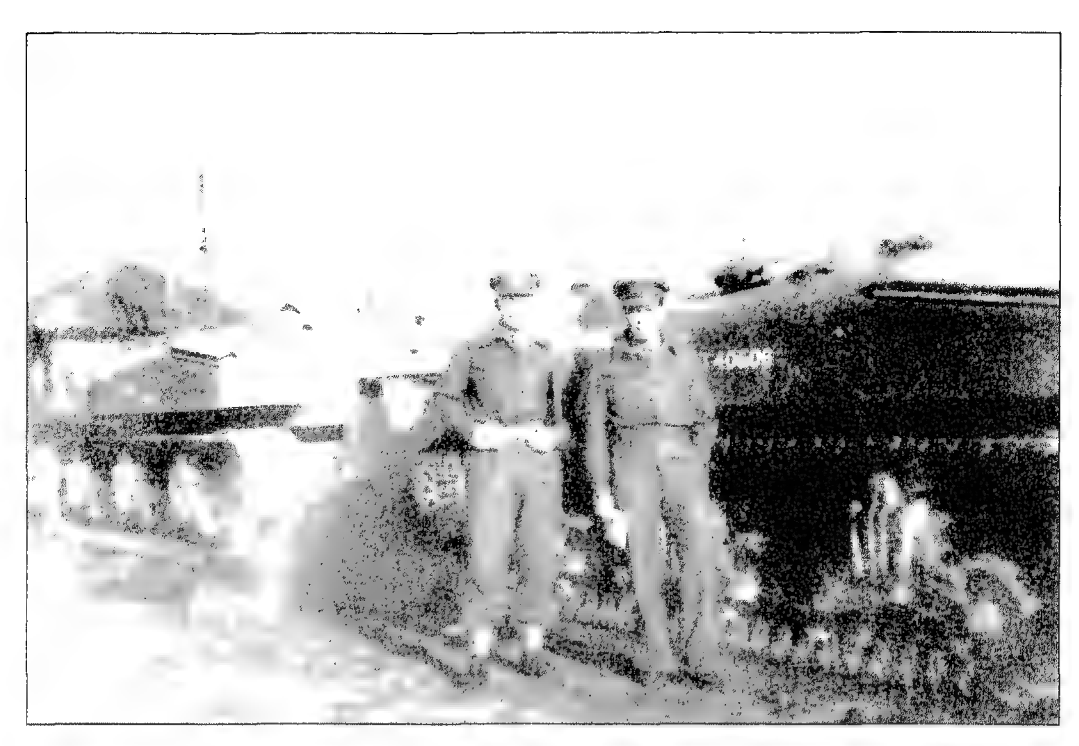
في الكلية الحربية سنة ١٩٣٨



يقرأ في مصحف يحتفظ به دائما

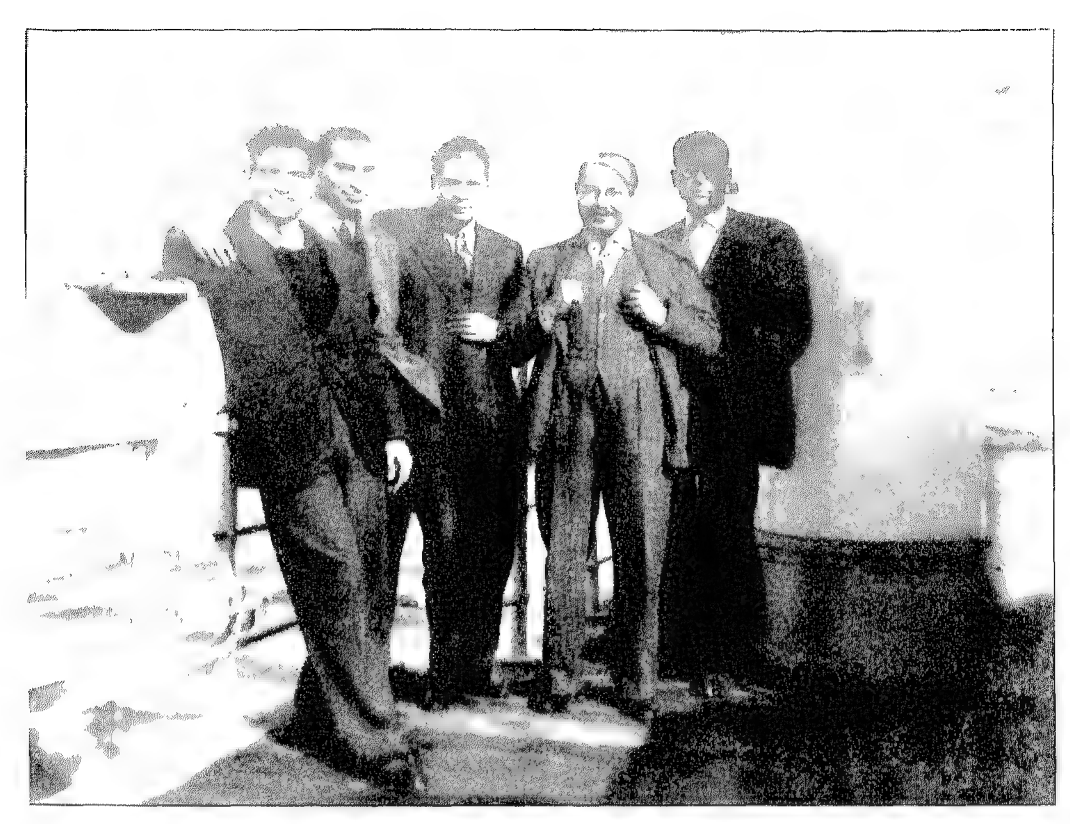

SON
GL 5079





داخل المدرسة العسكرية فى لندن





على الباخرة اثناء العودة من لندن



بعد التخرج يدير مناورة

مع محمد نجيب يستعرض الكتيبة ١٣ بعد الثورة



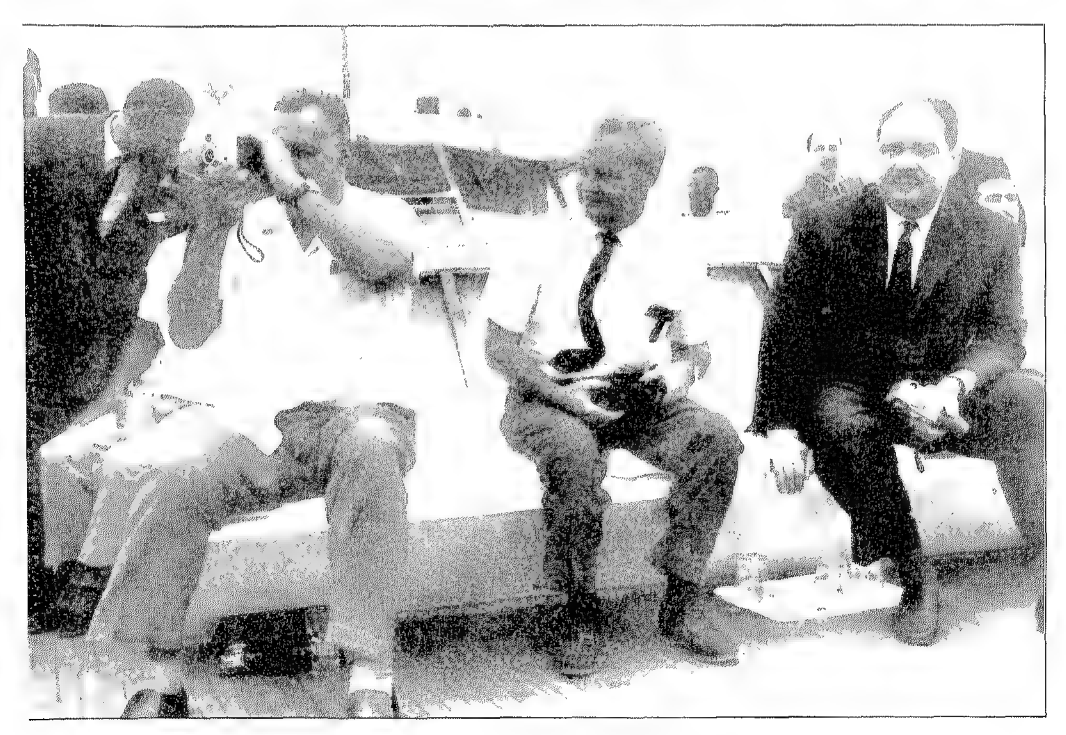




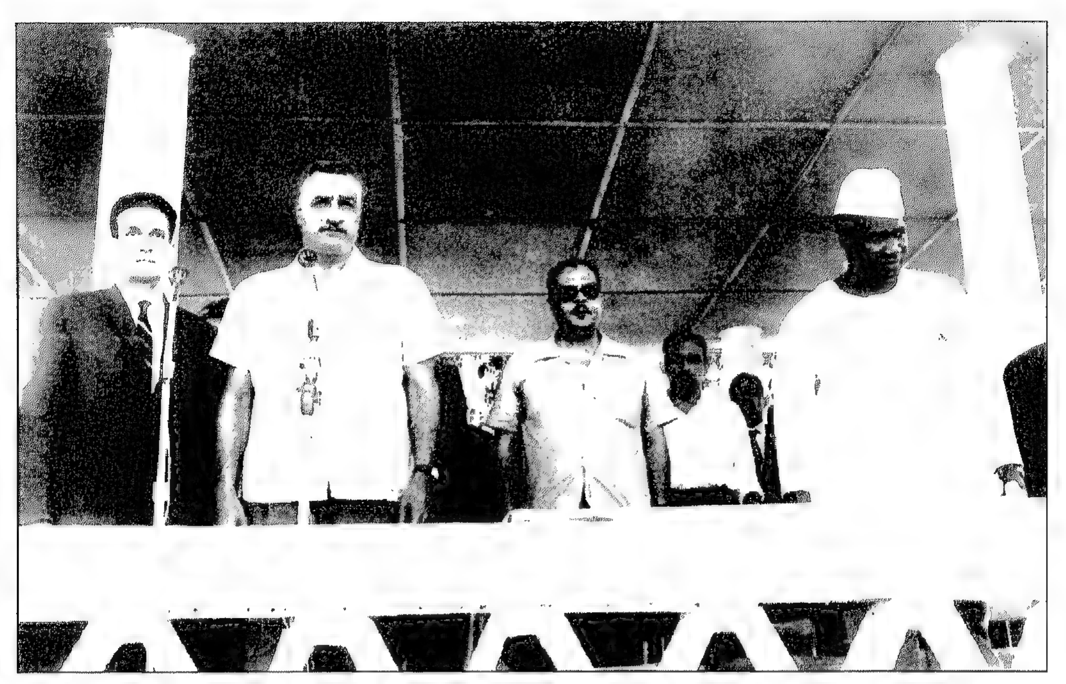
يمارس التصوير فى رحلة بحرية



عبدالناصر وصلاح نصر فى استقبال الرئيس تيتو



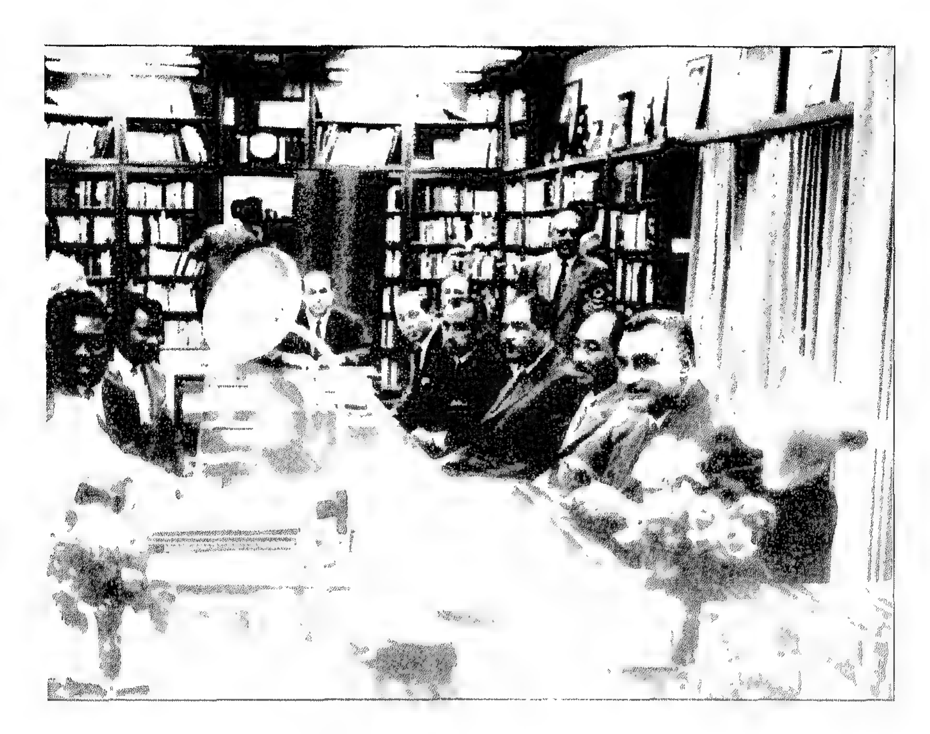
عبدالناصر يمارس هواية التصوير فى رحلة بحرية



صلاح نصر مع عبد الناصر فى غرب أفريقيا



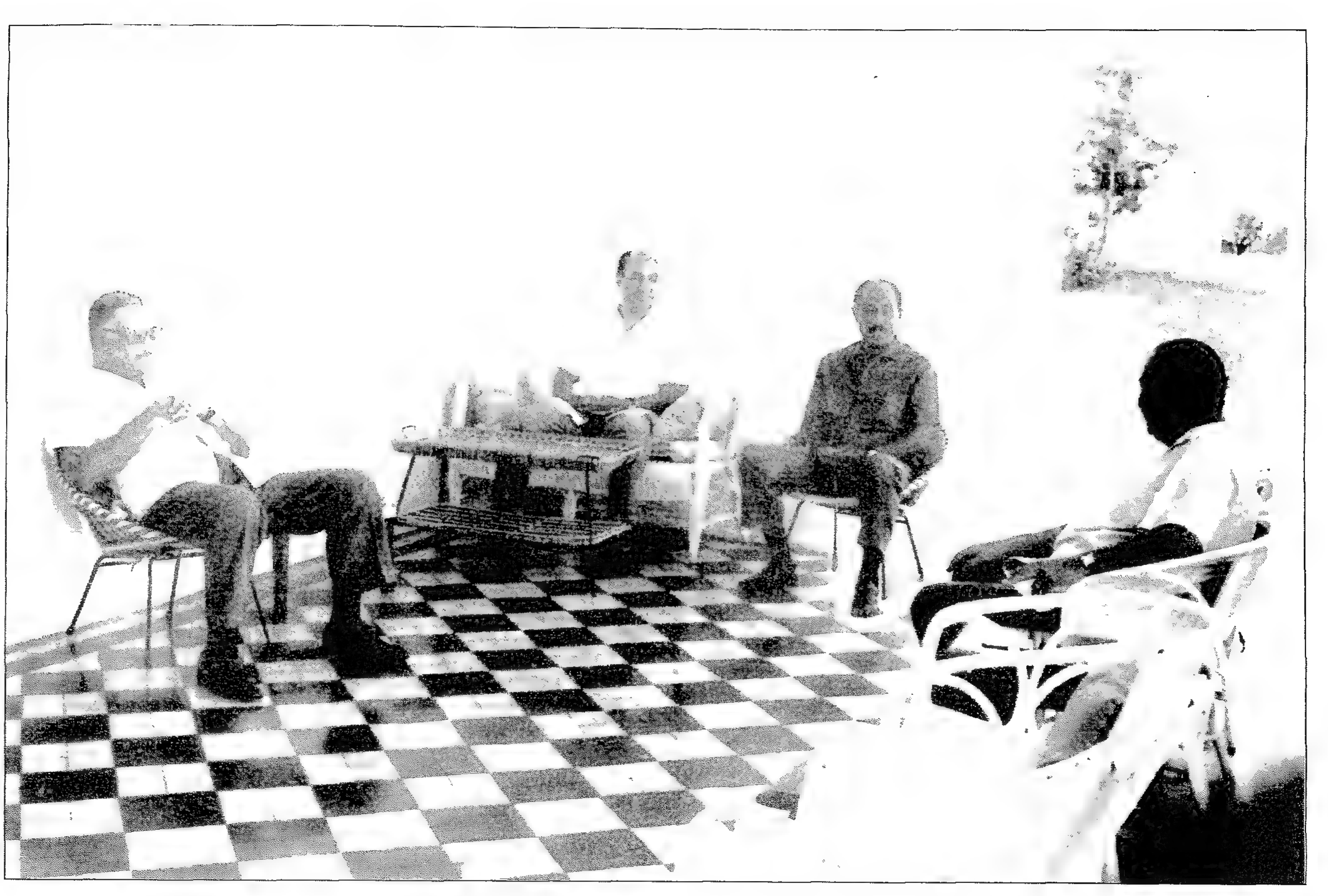
يمارس هواية التصوير فى رومـا



غانا سبتمبر ١٩٦٥

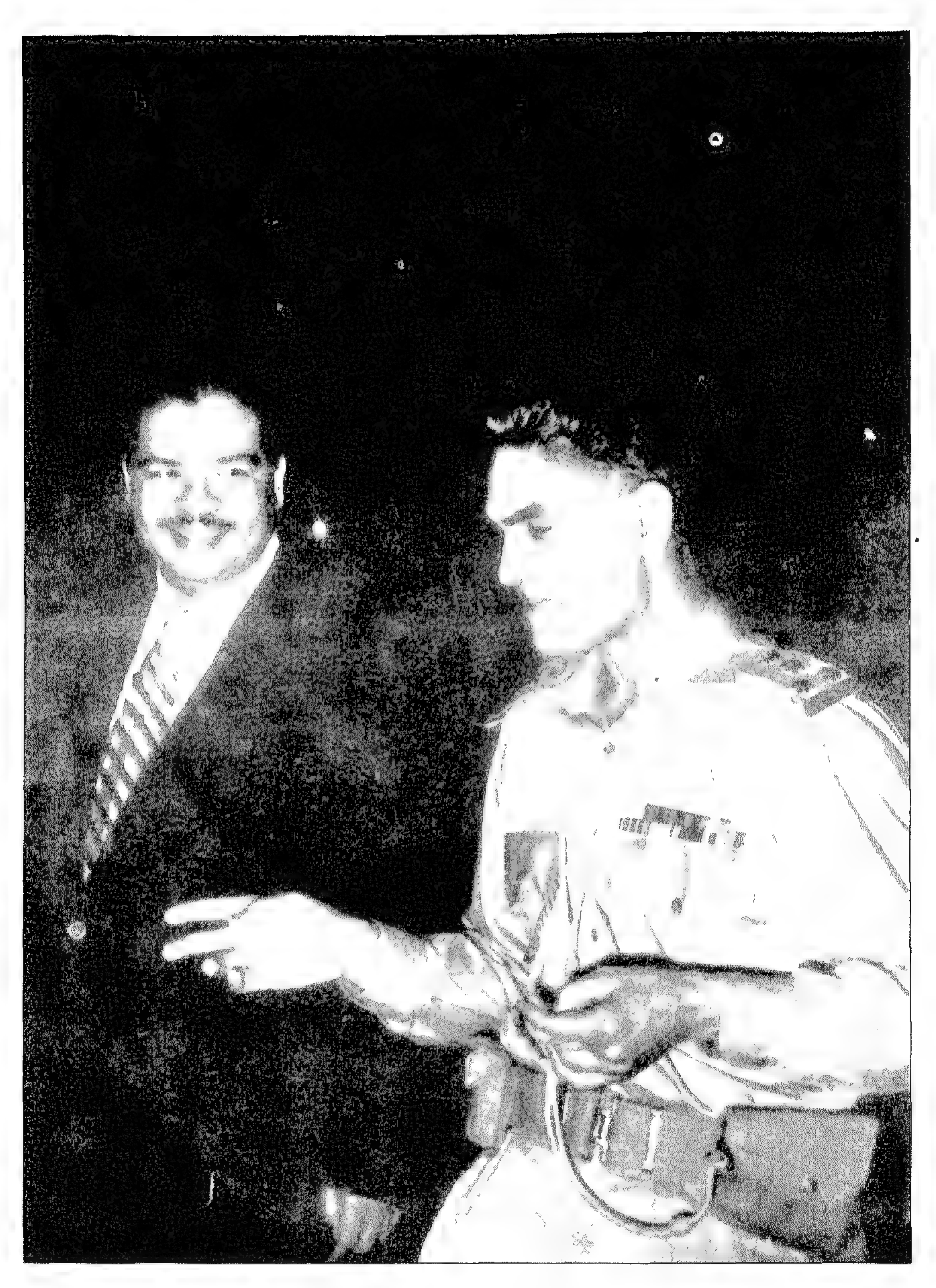


مالى سبتمبر ١٩٦٥



عبدالناصر وزكريا محيى الدين وأنور السادات وصلاح نصر فى صورة نادرة (تنزانيا سبتمبر ١٩٦٦)

أثناء الحج ١٩٥٤



صلاح نصر مع الرئيس العراقى الأسبق عبدالكريم قاسم





زيارة للاتحاد السوفيتى ١٩٥٨



صلاة الجمعة فى إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق



مع شيوخ الأزهر فى باكستان



الأحتفال بيوم الخريجين (١٩٦٣)



فى الجزائر سنة ١٩٦٣



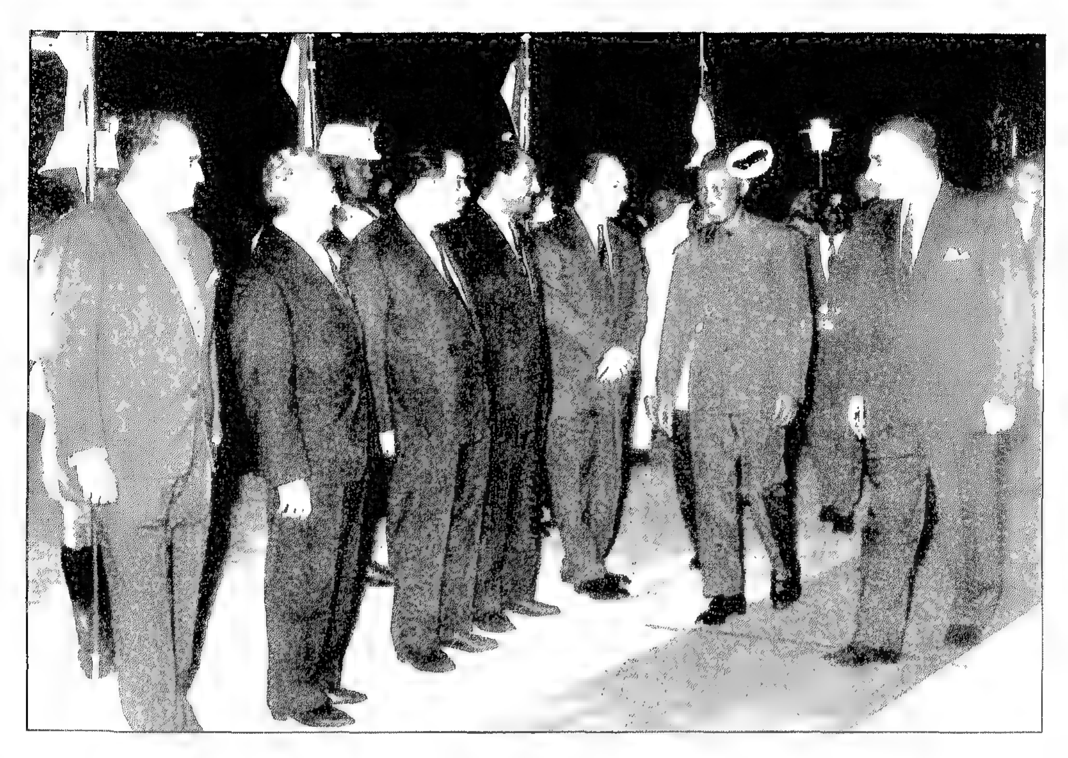
بن بيلا مازال فى الحكم



بومدين اصبح رئيسا



المغرب سنة ١٩٦٤



فى زيارة لتنزانيا





اندیرا غاندی وتیتو وعبدالناصر وفی الخلف صلاح نصر



فى زيارة لاحد المصانع الإيطالية



اكليل من الزهور تحية إلى روح غاندى

دعم حركات التحرر فى افريقيا

الهند اطول زيارات عبدالناصر للخارج



تنزانيا ايضا





كل أجهزة الدولة معا قبل يونيو ١٩٦٧



فى الأتحاد السوفيتى سنة ١٩٦٦

صلاح نصر يتذكر:

الثورة
النكسة
المخابرات

عبد الله إمام

مطبوعات دار الخيّال

هذا الكتاب

فتح صلاح نصر قلبه.. وتكلم بصراحة.. وكان هذا الحوار الطويل الذى امتد لساعات زادت على الستين.. تذكر خلالها كل شىء. وهذا الكتاب ، هو محصلة هذا الحوار الطويل مع الرجل الذى رأس جهاز المخابرات العامة المصرى، فى أخطر سنوات ثورة يوليو... وكان مخزن أسرار مصر طوال عشر سنوات.

والحقيقة أنه ليس لى فضل فى إخراج هذا الكتاب إلى النور.

فقد سعيت إلى صلاح نصر ذات يوم، لأجرى معه حوارا صحفيا طويلا، أعده للنشر فى الصحافة المصرية .. وأمضيت معه وقتا أقنعته بضرورة أن يتكلم.. ووافق أخيراً. ولم أطرح سؤالا واحدا لم يجب عنه.. فقط .. كانت له أربعة تحفظات

أولا : أنه لا يريد أن يخوض فى مسائل شخصية.. لأشخاص أحياء ، أوغير أحياء «فتلك قاعدة وطدت نفسى عليها، ولكل إنسان حياته الشخصية. وهو حر فيها ما لم تنعكس على عمله بشكل مباشر».

ثانيا : أن هناك عددا من المسائل ، يرى أن من المصلحة العامة عدم كشفها الآن على الأقل.

ثالثا : أنه يؤكد دائما.. أنه أمين ومخلص ووفى لثورة يوليو ١٩٥٢.. ومبادئها.

رابعا : أنه يطلب عند النشر أن ينشر رأيه كاملا .. دون أن يحذف منه شىء .

ولقد كنت صادقا معه.. فقررت أن أنشر الحوار فى هذا الكتاب كما هو.. كاملا.. بكل أسئلته.. بنصوص إجاباته كاملة .. وبوثائقه الحقيقية.

وهذا الكتاب يغطى وجهة نظر صلاح نصر فى كل القضايا المطروحة فى الشارع العربى عامة، والشارع المصرى خاصة. وفيه أيضا مايرضى أنصار الثورة، وما قد

يستغله خصومها، ولكنها الحقيقة - من وجهة نظره - كما أملاها، وراجعها، أحد المسئولين الكبار فى تلك الفترة.

والحقيقة لم تعد ملكا لأحد.. إلا للجماهير .. وللتاريخ.

وهذه الورقة فى سجل تاريخ ثورة يوليو تعرض لجوانب عديدة من وجهة نظر صلاح نصر الخاصة.. فهو يحدثنا عن المخابرات المصرية، التى نسب إليها فى الداخل أعمال الإرهاب والتعذيب.. وأصبحت تمثل زائر الفجر الكريه فى نظر المواطن المصرى.

ولكن ما هى حقيقة دور المخابرات، هذا ما يكشفه بالوقائع الثابتة . وبالأسماء والوثائق.. وينقلنا إلى جانب آخر من أعمال مخابرات «مصر الثورة» التى قادت كثيرا من حركات التحرر فى العالم العربى، والأفريقى، وكانت «مخابرات صلاح نصر» إذا جاز هذا التعبير ـ وكان يكرهه ولا يوافق عليه ـ لها الدور البارز تأييدا لحركات التحرر.. دفعا للثورة .. حصارا لإسرائيل خارج حدودها . وزرعا للعيون المصرية فى قلبها.

ويضع صلاح نصر يدنا من خلال هذا الحوار على عدد من القضايا التى لعبت فيها مخابرات مصر دورا مجيدا حفاظا على أمن الدولة، وأسرارها..

فالمخابرات المصرية هى التى كشفت عديدا من قضايا التجسس . والتجسس هو قتل للوطن والمواطن.. إنه تسريب لأسرار الدولة إلى عدو شرس يدمر من خلالها.. كل شىء.. بالمدفع.. وبالسياسة وبالاقتصاد..!!

وليست قصة ضبط الصحفى مصطفى أمين متلبسا بتهمة التجسس لصالح العدو - هى أخطر وأهم قضايا التجسس التى اكتشفتها المخابرات، وإن كانت أشهرها .. فقد استطاع مصطفى أمين أن يحيطها بضباب كثيف من الحديث حول التعذيب، حتى يخفى الجريمة الأساسية.. التى تكشفها وثيقة هامة، مأخوذة من ملف قضيته، هذه الوثيقة هى الخطاب الطويل الذى أرسله إلى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر

ويتعرض الحوار لقضايا هامة شغلت المواطنين حول مسائل متعددة . منها مثلا قسم السموم بالمخابرات الذى يقول الحوار بصراحة أنه كان موجودا، ويتحدث حتى عن الأساتذة «الدكاترة» الذين عملوا به أو أشرفوا عليه.. ويشرح الهدف من إنشاء هذا القسم

ويتعرض الحوار أيضا إلى استخدام الجنس فى أعمال المخابرات. والدوافع التى أدت إليه.. والفنانات اللاتى تعاون مع المخابرات، وما هى الأعمال التى قمن بها.. وفى جزء كبير وهام من الحوار يتحدث رئيس جهاز المخابرات المصرية الأسبق عن عدد من المؤامرات التى تعرضت لها الثورة. ويزيح الستار لأول مرة عن حقيقتها أبعادها، وأهدافها، والأجهزة التى اكتشفتها والأشخاص الذين اتهموا فيها.

وفى نفس الوقت يجيب صلاح نصر عن أسئلتى حول علاقة المخابرات بأجهزة الدولة، بالسلطة التشريعية والتنفيذية، وبالصحافة.

ويشرح أبعاد عمل المخابرات فى مصر، أثناء رئاسته لها.. مقارنا بينها وبين مخابرات دول أخرى.

ويتعرض بالتفصيل لنشاط مخابرات عدونا الأساسى إسرائيل.

وعلى ذلك فإن هناك عدة حقائق أردت أن أؤكدها من خلال هذا الحوار الطويل.

أولا : عندما سعيت إلى صلاح نصر كانت القضية بالنسبة لى وبالدرجة الأولى هى قضية ثورة يوليو، التى لا يختلف منصف على أنها غيرت وجه الحياة فى مصر، وامتد تأثيرها إلى مناطق عديدة من آسيا وأفريقيا

ثانيا : أن معظم ما ينشر عن الثورة من الجوانب التى تعرض لها الحوار يقوم عليه أشخاص غير محايدين فبعضهم موتور.. وبعضهم أضير . وبعضهم قد يغير موقفه ورأيه بين لحظة وأخرى. وفى مواجهة هذه الهجمة الشرسة لابد أن توضع أمام القارئ كل وجهات النظر كاملة أمينة

ثالثا : أننى كصحفى من واجبى أن أنقل إلى القراء المعلومات التى يمكننى الحـ
عليها.. لتكون أمامهم واضحة سهلة تيسر عليهم المعرفة وتهديهم وسط هذا الض
الكثيف المصطنع.

رابعا : أن الحوار كله . فى النهاية يعكس قضـايا سياسية - خلال عشر سنوا
عمر ثورة يوليو ـ حـتى وإن بدا للبعض من أول وهلة أن الكتاب فـى أجزاء منه
عن السياسة.

خامسا : أن صلاح نصر بموقعـه الذى شغله عشر سنوات يمكـن أن يوضح
من الصور، التى تعمد البعض أن تكون مهـزوزة أمام الرأى العام تشكيكا متعم
منجزات ثورة.. وفى بنيان أمة .. فى وقت نحتاج فيه إلى مزيد من البناء ، والتطل
الأمام بثقـة.. وأن تكون نظرتنا للـماضى مشوبة بالـتقدير. والتصحيـح.. فذلك
حى من تاريخ أمتنـا العربية .. وليس من مصلحة عربى واحـد أن يشوه هذا التا
ولكـن المصـلحة كـلها أن نـقوم مـا شاب التـجربـة من اعوجـاج ونرشد كـثيـ
التصرفات، وننطلق بـها لتحقيق أهداف أمتنا العربية فى ظـل متغيرات عالمية لا
تكون موضع الاعتبار.

سادسا : أننا يجـب أن ننظر إلى الصـورة فى إطارها الصحـيح . فلا نفصلـ
زمانـها ولامـكانهـا، ولا الملابـسات حولـها.. فـذلك - بالـيقـين - يقودنـا إلى
موضوعية للأمور.

سابعا : أن جيلا شابا أصبح الآن حائرا.. بين ما يـقرأ ويسمع.. ويشاهد ويعـ
وفقد الثقة فى كل شىء... حـتى فى أمانة القلم .. وعلينا بالحقيقـة وحدها.. بجـ
المتعددة أن نعيد إليه إيمانه بكل القيم النبيلة والشريفة.

وهذا الكتاب محاولة على هذا الطريق.

إنه يعرض وجهة نظر صلاح نصر كاملة، ولقد كنت فقط مجرد أمين فى تـ
الرأى، كما أراد أن يضعه أمام القراء.

تلك وثيقة من صلاح نصر . للتاريخ.. وهى وثيقة هامة.. لأنها تمثل الرأى الـ

عبدالله

1

الثــــــورة

** فى أول جلسة لى مع صلاح نصر قلت له: المعلومات التى لدى عنك قليلة.. إنها سطور معدودة حصلت عليها من أرشيف مؤسستنا الصحفية.. فأنت من مواليد أكتوبر ١٩٢٠ فى قرية ستماى مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، عينت رئيسا للمخابرات العامة المصرية سنة١٩٥٧. وعقب النكسة، صدر الحكم عليك بالسجن، ثم أفرج عنك فى عام ١٩٧٤، وأريد أن تكون بداية هذا الحوار الطويل بيننا أن أعرف معلومات موسعة عنك ـ أنت متزوج.. ولديك أولاد وبنات، بعضهم متزوجون ـ ولكن ما يهمني بالدرجة الأولى، أن أقف منك على علاقتك بثورة يوليو، تلك فى تصورى بداية طيبة.. لأنها فى نفس الوقت، تضع أمام القارئ، جزءا من التاريخ أعتقد أنه من المهم أن يعرفه.. فليكن سؤالى الأول إذن ـ وعلى هذا الأساس ـ عن علاقتك بتنظيم الضباط الأحرار الذى قام بالثورة ما هى بداية معرفتك بالتنظيم وكيف انضممت إليه .؟

- البداية ـ كانت فى الكلية الحربية فى اليوم الأول لالتحاقى بالكلية التقيت بزميلى فى الدفعة صلاح سالم.. وشاءت الظروف أن يشرف الطالب عبد الحكيم عامر ـ الذى كان يسبقنا بعام ـ على جزء من الجماعة التى يرأسها الأومباشى طالب عز الدين ذوالفقار . وكان من بين الطلبة الذين يشرف عليهم عبد الحكيم ، صلاح سالم ، وسعيد عبد السلام الدفراوى . وأنا . توطدت بيننا علاقات وثيقة. أصبحنا أصدقاء.. صداقة استمرت حتى التخرج. أنا . وعبد الحكيم.. وصلاح.

فى أواخر سنة ١٩٤٨. أثناء الحرب كنت فى فلسطين أقوم بتدريب ضباط المشاة فى مدرسة المشاة بمدينتى رفح.. وخان يونس.. وهناك التقيت بصديقى عبد الحكيم عامر وكانت جلسات طويلة، وحوارات متشعبة وامتدت إلى السياسة. وما يسود البلاد من فساد. وصل إلى الجيش بل إلى قيادته.. لم تكن لهذه الأحاديث أية علاقة بتنظيم الضباط الأحرار . وعندما عدت إلى القاهرة، كنت فى وحدتى.. مدرسة المشاة بألماظة .أقوم بتدريس تكتيكات المشاة للضباط.. ذات يوم فى أوائل ١٩٤٩ فوجئت

بصديقى عبد الحكيم عامر ، وصلاح سالم، يحضران إلى بيتى فى حدائق القبة. وك
سبب الزيارة أن عبد الحكيم يريد أن أعيره سيارتى الخاصة «الـفيات» لمدة يوم
اثنين .

وأحسست أنه يريد السيارة لأمر ما . فأخذنا نتبادل الحديث.. حتى أفهمنى
سينقل بها أسلحة قادمة من العريش للفدائيين . وامتد الحديث بيننا طويلا وخلا
الحديث عرض علىّ أن أنضم إلى تنظيم الضباط الأحرار وسألته من هو رئيس
التنظيم .. وتردد طويلا، قبل أن يخبرنى بأنه جمال عبد الناصر فقلت : إننى لا أعر
معرفة وثيقة . وخرجا بعد أن أصبحت عضوا فى الضباط الأحرار..

** ومتى كان لقاؤك الأول بجمال عبد الناصر؟

– فى منتصف عام ١٩٤٩ كنت أحضر فرقة تأهيل لامتحان أركان حرب ،
سلاح المشاة . وكان من بين المدرسين فيها جمال عبد الناصر.. وكنت قبل ذلك
أصدرت بالاشتراك مع الزميل كمال الحناوى كتابا اسمه «الشرق الأوسط فى مه
الرياح».. وقررت كلية أركان الحرب الكتاب كمرجع من مراجع امتحان مادة الشر
الأوسط، التى يمتحن فيها الطلاب قبل التحاقهم بالكلية.

وبعد إحدى المحاضرات سأل عنى جمال عبد الناصر .. وذهبت إليه قال لى
عاوز أقعد معاك شوية.. علشان أناقش معاك الكتاب . وذهبنا معا إلى منزلى .
وهذا اللقاء كان مناسبة ليتعرف كل منا على الآخر . وعرفت منه، أنه يعلم كل
دار بينى ، وبين عبد الحكيم عامر وصلاح سالم فى لقائهما معى فى منزلى.. بعد ذل
بقليل – وعلى وجه التحديد فى ٧ أكتوبر ١٩٤٩ – غادرت البلاد ضمن بعثة دراس
إلى مدرسة المشاة الإنجليزية بقرية «وود منستر» بعد أن دخلت مسابقة لهذه البعث
وكان ترتيبى فيها الأول.. وقبل سفرى التقيت بعبد الناصر، فى منزل عبد الحك
بالعباسية ..

خلال مدة البعثة ، التى عدت منها فى فبراير ١٩٥٠ . وكانت بيننا مراسلات ، وعندما عدت بعد انتهاء البعثة التحقت بكلية أركان حرب .. واستمرت علاقاتى قوية بعبد الناصر، وعبد الحكيم وصلاح سالم .

تخرجت من كلية أركان حرب فى أغسطس عام ١٩٥١.. وكنت أقوم بتوزيع بعض منشورات تنظيم الضباط الأحرار وأتشاور معهم فى أسماء الضباط الذين يمكن تجنيدهم.

فى سبتمبر ١٩٥٠ كان عبد الحكيم عامر أركان حرب سلاح المشاة .. أخبرنى أن التنظيم قد عنى بأمر تعيينى فى الكتيبة ١٣ مشاة التى كانت متمركزة حينئذ فى منطقة أبو عجيلة، والتي ستنقل بعد شهرين إلى العريش، وأنه هو نفسه سينقل إلى الفرقة الرابعة فى رفح، وأصدر لى تعليمات بأننى سأنضم لخلية رئيسية مقرها العريش. وكانت الخلية تتكون من عبد الحكيم عامر، وصلاح سالم اللذين كانا يعملان فى الفرقة الرابعة فى رفح، ويوسف صديق وكان قائد كتيبة مدافع ماكينة بالعريش.. وعبد المنعم عبد الرءوف وكان قائد كتيبة مشاة.. وقائد الطيران بالعريش جمال سالم، وقائد سرية بالكتيبة ١٣ وهو صلاح إبراهيم سعدة، والطيار بهجت.

كانت اجتماعاتنا تعقد فى منزل يوسف صديق بجوار محطة العريش.. ولقد سَهلت الالتقاءات بعد أن انتقلت الكتيبة ١٣ من «أبو عجيلة» إلى العريش فى نوفمبر ١٩٥١.. وكنت أعمل أركان حرب للعمليات والتدريب..

*** ومن الطريف أنه التحق بالكتيبة حديثا ملازم ثان، قدم من القاهرة، منقولا من المخابرات الحربية.. هو البكباشى كامل نور الدين وكان من عادته أن يذهب يوميا إلى محطة العريش، يسأل عن خطابات خاصة يحضرها مندوب له من القاهرة يصل فى القطار .. ولمح سيارتى الجيب بجوار منزل يوسف صديق . فأخذ يراقب تحركاتى حتى تبين له أننى أتردد على منزل يوسف صديق، فسألنى فى أحد الأيام .. ماذا تفعل فى منزل يوسف صديق.. ألا تعرف أنه شيوعى؟.

وأخبرته أن «يوسف».. صديق قديم .. وأبلغت زملائى فى التنظيم بما حدث فاتخذنا إجراءات أمن شديدة حتى لا يعرف أحد شيئا عن اجتماعاتنا..

طلب منى التنظيم أن أجند أكبر عدد ممكن من ضباط الكتيبة ١٣ .. وكانت مشكلة عسيرة.. ولم أستطع أن أجند من بين الثلاثين ضابطا الذين تضمهم الكتيبة أكثر من ثلاثة ضباط، فاتحتهم فى الأمر .. فانضموا فورا، كان اليوزباشى عمر محمود على، هو أول من ضممته للتنظيم، وقد استجاب فورا، ثم الملازم أول سعيد حليم ، وكان صلاح سعدة عضو التنظيم القديم، قد نقل حديثا إلى الكتيبة فى العريش.. وأبلغنى التنظيم بذلك.. وأصبح واحدا منا.

لم يستمر عدد أعضاء التنظيم صغيراً لفترة طويلة. فقد جاء الغيث بوصول دفعة من الضباط المستجدين إلى الكتيبة، وهم الملازمون ثانى، محمد كامل ، عبد الحى نهاد منير، السيد عفيفى، مصطفى أبو القاسم.

وضعت عينى عليهم .. وجدتهم يمتلئون حماسا ، ووطنية . كان اهتمامى بهم زائدا . دفعنى حماسهم إلى مفاتحتهم في أمر التنظيم، فوافقوا جميعا . وأصبحوا أعضاء فى الضباط الأحرار خلال شهر واحد.

** أثناء قيام الثورة. فى ٢٣ يوليو .. أين كنت؟

- فى الأسبوع الأول من يوليو ١٩٥٢ انتقلت إلى القاهرة ، استعدادا للتحرك إلى السودان لنقوم بغيار الكتيبة التى كانت موجودة هناك كالنظام فى ذلك الوقت..

عسكرت الكتيبة داخل « قشلاقات » العباسية ... وبدأت فى تسليم أسلحتها ، فمن المعتاد ألا يتحرك الجنود إلى السودان للغيار إلا ببنادقهم فقط..

فى خضم الظروف التى كانت تسود البلاد فى ذلك الوقت، نشط تنظيم الضباط الأحرار، كان من المقدر ، أن يستمر التنظيم عاماً أو أكثر حتى يقوم بثورته، ولكن الظروف السياسية كانت مواتية لأن تقوم الثورة .. وكان الاعتماد كبيرا على الكتيبة ١٣ لأنها تضم عددا كبيرا من الضباط الأحرار... دارت اتصالات، ولقاءات.. وكان

من المطلوب أن يتم عمل ما بسرعة، ذلك أن عددا من أسماء الضباط الأحرار، تسربت إلى الملك فى الأسبوع الثانى من يوليو، ومن المحتمل أن يتم القبض عليهم .

وكان عبد الحكيم فى القاهرة وجاءنى مع جمال عبدالناصر فى منزلى... وسألانى عما إذا كانت الكتيبة ١٣ مستعدة للقيام بعمل ما .. وأن ضباطها جاهزون..

وقلت أننى أعلم بهؤلاء الرجال، وهم جميعا على استعداد كامل ، ولكن المشكلة التى تواجهنا ، هى أننا نحتاج إلى بعض الأسلحة كذخائر بعد أن سلمنا جزءا كبيرا منها، وأسلحة من مركز تدريب المشاة بالعباسية عن طريق الضباط الأحرار..

اجتمعت بمجموعة الضباط كلهم ، الحماس كان زائداً ، ولكى أطمئن عبد الناصر دعوته أن يرى بنفسه، ويلتقى بالضباط، وأعددت هذا اللقاء فى مكانين حتى لا يجتمع الضباط كلهم فى مكان واحد: أحدهما كان فى بيتى فى حدائق القبة والآخر كان فى بيت الصاغ صلاح سعدة فى منيل الروضة .

ذهبت إلى عملى فى الكتيبة، صباح يوم ٢٢ يوليو . طلبت من اليوزباشى عمر محمود جس نبض ضابط الذخيرة فيها الملازم واصف لطفى حنين ، فاتحه فى الانضمام إلى التنظيم فوافق فورا ... واشترك معنا منذ تلك اللحظة.

كان من المفروض، أن تقوم الثورة ليلة ٢٢ يوليو ، ولكن بعض الإمدادات قد تأخرت. وكانت مهمة الكتيبة ١٣ محددة فى عدة نقاط أساسية.

* سرية مشاة بقيادة الصاغ صلاح إبراهيم سعدة، وتحت قيادته «تروب» دبابات لمحاصرة سلاح الحدود بالقبة، لمنعه من التصدى لحركة الجيش . فقد كان السلاح تحت قيادة اللواء حسين سرى عامر الوثيق الصلة بالملك.

* سرية مشاة بقيادة اليوزباشى عمر محمود على، وعليها واجب محاصرة المبنى، واعتقال كل من بداخله من القادة، وبجانب السرية قامت سرية يوسف صديق للمعاونة فى هذه العملية وشاعت الظروف أن يجتمع قادة الجيش فى هذا المبنى للقيام بعمل ما لضرب الثورة بعد أن تسربت معلومات عنها فى تلك الليلة وقد سهل ذلك اعتقال هؤلاء القادة.

وكادت تحدث معركة بين هاتين المجموعتين ، إذ وصل يوسف صديق قبل الموعد المحدد لساعة الصفر، وحينما وصل عمر محمود بجنوده، اعتقد أنها قوة معادية لأنه لم يكن يعلم بها، وأمر جنوده «بالتعمير» استعدادا لإطلاق الرصاص ولكن الذى أنقذ الموقف ظهور عبد الحكيم عامر الذى كان يعرفه عمر محمود على فنادى عليه وانتهى الأمر.

* فصيلة بقيادة اليوزباشى جمال القاضى - وواجبها الاستيلاء على الإذاعة.

وباقى الضباط يقومون بوحدات صغيرة لسد مخارج القشلاقات فى العباسية، لمنع أية قوة تتحرك للتصدى.

وأود أن أذكر هنا، أن بعض الضباط قد انضموا إلى الكتيبة، منهم من كان فى التنظيم مثل جمال حماد، وجمال القاضى.. ومنهم من ليس له علاقة بالتنظيم.. ومنهم من انضم للتنظيم صباح ليلة الثورة، مثل قائد الكتيبة ١٣ الفعلى القائمقام أحمد شوقى ، الذي ضمه عبد الناصر وعبد الحكيم، بعد أن علما أنه عرف بالثورة، وكان عبد الناصر وعبد الحكيم، يخشيان أن يقوم بتبليغ قريبه اللواء طلعت، قائد البوليس السياسى، فعينا له جمال حماد، وجمال القاضى حارسين يلازمانه فى كل تحركاته.

فى الاجتماع الأخير ، فى عصر ليلة الثورة.. كان هناك اجتماع فى منزلى، لوضع اللمسات الأخيرة للخطة التى ستنفذ بعد ساعات.. وقد حضر هذا الاجتماع جمال عبد الناصر.

وبينما كان الضباط يجلسون فى الصالون، دق جرس الباب، ونهضت لأفتح، وكانت مفاجأة مذهلة لى أن أجد أمامى القائمقام أحمد شوقى .. وفكرت سريعا أن أدخل معه غرفة المكتب، ولكن عبد الحكيم عامر أنقذ الموقف.. فقد رأيته يصعد على السلم خلفه، وهو يبتسم ففهمت أنه ضم القائمقام شوقى إلى التنظيم.

وبعد الاجتماع، تحرك عبد الناصر وعامر إلى منزل الصاغ صلاح سعدة فى المنيل، حيث كان ينتظرهما باقى ضباط الكتيبة.. وفى الساعة التاسعة مساء توجهت بملابسى

العسكرية إلى مقر الكتيبة في سيارة زكريا محيي الدين، ومعي طبنجتي الأميرية وتجمع شمل الضباط.. وجاء القائمقام أحمد شوقي. ثم استقل سيارة جيب بصحبة جمال القاضي وغادر الكتيبة، وهو يقول لي أمام حمدي عبيد :

- أنت ضابط أركان حرب، ودي شغلتك وعليك تحريك القوات..

قمت بتحريك القوات حسب الخطة، وشاء العلى القدير أن تسير العملية بمنتهى السهولة، واليسر.

وتوجهت في اليوم التالي إلى مبنى القيادة، وقابلت جمال عبد الناصر وضباط مجلس الثورة، وكان أغلبهم يعرفني، وطلب مني عبدالناصر أن أتسلم قيادة الكتيبة وأصبحت مسئولا عنها.

وفي يوم ٢٤ يوليو مساء صدرت لي التعليمات، بالاستعداد للتحرك إلى مدينة الإسكندرية بكتيبتي، بعد أن وضع تحت قيادتها مجموعات من المدفعية، والمدرعات.. وكانت التعليمات قد صدرت إلى عبد المنعم عبد الرءوف أن يتولى قيادة مجموعة مماثلة.. وعين القائمقام أحمد شوقي قائدا للمجموعتين، وتحركنا إلى الإسكندرية صباح يوم ٢٥ يوليو.. على طول الطريق الصحراوي كان المسافرون يهتفون. وكأنهم يحسون بما سيحدث..

عسكرنا في استاد الإسكندرية.. افترشنا الأرض، نمنا فوقها. حتى الصباح، تحركت بمجموعتي إلى قصر المنتزه وحاصرته من الخارج . كان من المعتقد أن الملك فاروق يختفي فيه .. وأنه سيرحل من ناحية البحر.

توجه عبد المنعم عبد الرءوف بمجموعته إلى قصر رأس التين وكان الملك قد انتقل إليه ليلا.. وحدث أن أطلقت بعض الأعيرة النارية من حرس قصر رأس التين. حول قصر المنتزه .فاتخذت قواتي مواقعها.. شاهدت رجال الحرس الملكي يستعدون لإطلاق النار من أعلى السور على القوات.. توجهت إلى الباب الرئيسي للقصر ، وقابلت ضابط الحرس المسئول .. وكان برتبة يوزباشي. أقنعته بأنه لا داعي لإطلاق النار.. فنحن مسلحون . وقواتنا تضم دبابات، ومدافع.. وستكون النتيجة خاسرة بالنسبة لجنود الحرس ، فضلا على أن الثورة حركة شعبية ضد فساد الحكم.

وفوجئت بأن الضابط غير موقفه على الفور، وأمر جنوده بالعودة، وكأنه يريد أن يقول لى : إننا كنا ننتظر هذا اليوم.. طلبت أن يجمع السلاح من الجنود فوافق، وجمعه ووضعه فى السلاحليك.. ولم تحدث أية اشتباكات، حتى تنازل فاروق عن العرش ورحل عن البلاد.

فى ظهر ذلك اليوم. وقواتى تحاصر القصر، اتصل بى المرحوم جمال سالم وأخبرني أن اللواء عبد الله النجومى كبير الياوران ، سيحضر ليأخذ بعض متعلقات فاروق، طلب منى ألا نتعرض له وأن أتركه يخرج بما يريد

وسمحنا له بدخول القصر، والخروج منه بما يريده.

كانت الكتيبة ١٣ هى كتيبة التحرير، كما وصفها جمال عبد الناصر، ومحمد نجيب فى خطاباتهم .. وبقيت قائدا لها سنة كاملة حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٣ حينما عين عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة.. وكان قبل ذلك مديرا لمكتب القائد العام محمد نجيب، وطلب منى أن أقوم بعمله السابق. كمدير لمكتب القائد العام.

وظللت فى هذا الموقع حتى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٥٦..

** لقد مررنا على سنة حاسمة فى الثورة، حافلة بالأحداث هى سنة ١٩٥٤. فأين كان موقعك من هذه الأحداث..؟؟

- الحقيقة أن الخلاف بين محمد نجيب، ومجلس الثورة يبدأ فى وقت مبكر.. وكانت الصورة لدى الضباط الأحرار، من خلال مجلس الثورة أن محمد نجيب يريد أن يستأثر بالسلطات كلها وحده . ووقف محمد نجيب فى جانب. والمجلس كله فى جانب آخر.. وبدأ خالد محيى الدين يميل إلى نجيب، كان خالد يشرف على مخابرات سلاح المدرعات، بالإضافة إلى موقعه كعضو مجلس ثورة، وكان حسين الشافعى عضو مجلس الثورة قائدا لسلاح المدرعات، وكان خالد محيى الدين يتمتع بشعبية فى السلاح.. وارتفعت شعارات الديمقراطية، والحرية

وفى رأيى أنها كانت مجرد تكتيكات من الشيوعيين استخدموا فيها محمد نجيب كأداة مرحلية.. واعتصم ضباط المدرعات فى ثكناتهم، وعقدوا اجتماعا عاما. وتوجه إليهم عبد الناصر، فطلبوا منه حل مجلس الثورة، وعودة أعضائه إلى الثكنات، وتعيين قائد عام بالأقدمية، لأن عبد الحكيم كان برتبة صاغ ورقى إلى رتبة اللواء، كما طلبوا عودة الحياة النيابية، ولم ينجح عبد الناصر فى إقناعهم بعكس ذلك، وعاد بعد إخفاقه، ثم ذهبت ومعى بعض الضباط الأحرار إلى مكان الاجتماع، محاولين تهدئة الفتنة، والوصول إلى حل سلمى، ولكن كان إصرار بعض الضباط عنيفا، ولم يتقبلوا أية مناقشة، بل إن بعضهم ردد أقوالا جارحة على الملأ تمس بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة.

وعقد مجلس قيادة الثورة اجتماعا فى مبنى القيادة العامة بكوبري القبة، والتف حول المجلس مئات من الضباط ، لايريدون أن يعود الجيش إلى ثكناته، وقبل منتصف الليل بقليل خرج صلاح سالم . من الاجتماع، وأبلغ الضباط قرار المجلس بالعودة إلى الثكنات، وقال أنه سيبلغ القرار فورا إلى محمد حماد مدير الإذاعة.

قرر المجلس تسليم السلطة إلى محمد نجيب كرئيس للجمهورية، وخالد محيى الدين كرئيس للحكومة ، وأرسل خالد وعباس رضوان لعرض الأمر على نجيب.. فوافق.

ودخلت قاعة الاجتماع. .وجدت عددا من الأعضاء يبكون وفى حالة غير طبيعية، خطب عبد الناصر فى الضباط المتجمهرين، وأخبرهم بأن القرار لارجعة فيه لمصلحة البلاد.

فكرت واتخذت قرارا تلقائيا سريعا، حتى أنقذ البلاد من الفتنة فاتصلت بالقائمقام محمد السيد عبد الرحمن قائد الكتيبة ١٣ التى كانت مسئولة عن شئون الطيران، فى مكتب القائد العام، وطلبت منه أن يخرج طلعة طيران فوق المدرعات، واتصلت بالبكباشى أبو اليسر الأنصارى أركان حرب المدفعية، وطلبت منه تحريك مجموعة من المدافع المضادة للدبابات..

كان تفكيرا سريعا ، فالدبابة التى تخرج إلى الشارع تكون أشبه بالأسد الهائج ولكنها إذا ما ضربت فإنها لاتستطيع التحرك، وتسد الطريق على ما بعدها من الدبابات.

سمع أعضاء المجلس أزيز الطائرات فوق مبنى المدرعات المواجه لمبنى القيادة بشارع الخليفة المأمون.. وتغير الموقف.

حدثت مشادة بينى وبين عبد الحكيم، عندما علم بأننى حركت هذه القوات، وخلع رتبه، وألقاها على الأرض أمام أعضاء المجلس وهو يقول لى ' «تعال إنت اعمل قائد عام».

فرددت عليه، بأننا الآن أمام مسئولية تاريخيـة، ولسنا أمام من الذى يقود.

سأل جمال سالم عن الطائرات، وعندما علم أننى أمرت بخروجها ، عاد السرور إلى وجهه، استدعى خالد محيى الدين، وأخبر عبد الحكيم بأنه إذا لم يخرج الضباط المتمردون، من مبنى المدرعات فسندك المبنى...

خرج الضباط ، وسلموا أنفسهم، وتوجه البكباشى عبد المحسن أبو النور قائد الحرس الجمهورى ، إلى بيت الرئيس السابق محمد نجيب.. فى حلمية الزيتون وجمع الحرس. وسلموا أسلحتهم.. وعاد بأفراده إلى الثكنات.. صحب كمال رفعت محمد نجيب إلى الصعيد حيث حددت إقامته..

هذا هو ملخص سريع للجانب العسكرى من أزمة مارس ١٩٥٤، وهو سرد سريع دون التعرض للخلافات داخل المجلس وتفاصيلها وأسبابها، وكذلك دون التعرض للدور الذى قامت به هيئة التحرير فى هذه الأحداث فقد كتب عنها الكثير.

** نعود إذن إلى قصة ارتباطك بالمخابرات كيف بدأت العمل فيها.. ولماذا أنت بالذات . وهل جهاز المخابرات جديد، وليد، أقامته الثورة، ولم يكن هناك من قبل جهاز للمخابرات. ؟

- جهاز المخابرات العامة جديد نعم .. لم يكن موجودا قبل الثورة لا.. لعلك لاحظت طوال حديثى أننى ذكرت اسم المخابرات الحربية، أكثر من مرة أثناء حديثى

عن تنظيم الضباط الأحرار قبل بداية الثورة. فقد كان فى مصر قبل الثورة جهاز للمخابرات الحربية ، يقوم بدور المخابرات العسكرية، بالإضافة إلى جزء من أعمال المخابرات العامة، وكان يقوم بالجزء الآخر قبل الثورة البوليس السياسى، التابع لوزارة الداخلية، وفى كتير من الدول ليس هناك فاصل بين المخابرات العسكرية والسياسية.. إذ تقوم المخابرات العسكرية بمهمة المخابرات السياسية.. مثل إيطاليا وألمانيا الهتلرية.. فيمكن أن تعتبره جديدا بعد الثورة، إذ كان المقصود بذلك هو فصل جهاز المخابرات العامة عن المخابرات الحربية، وهذا ما حدث فعلا ، لقد تولى زكريا محيى الدين رئاسة أول جهاز للمخابرات العامة، بعد إنشائها، وفصلها عن المخابرات الحربية بعد الثورة.

وعلاقتى بالمخابرات بدأت سنة ١٩٥٦، فى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٥٦ على وجه التحديد، كنت أعمل مديرا لمكتب القائد العام عبد الحكيم عامر، وذات يوم كنت أجلس مع عبد الحكيم عامر، أنا وعباس رضوان.. وتحدث عبد الحكيم عن أهمية المخابرات بالنسبة للثورة، وأنه لابد أن يعهد بهذا الجهاز إلى شخص أمين موثوق به.

طلب منا بصراحة ووضوح ، أن يتولى أحدنا قيادة هذا الجهاز، ولم نقبل نحن الاثنين، لقد رفضنا سويا.. ولم يجد عرضه قبولا عند كلينا. ومضت أيام قليلة، وإذا بعبد الناصر يطلبنى لأقابله، وكان يقيم فى قصر الطاهرة، فقد كانت بعض الإصلاحات تجرى فى منزله بمنشية البكرى.

ذهبت لمقابلته صباح يوم ٢٣أكتوبر سنة ١٩٥٦، أى قبل العدوان الثلاثى بستة أيام، وأخذنا نتبادل الحديث فى كثير من أمور الدولة، وفى مسائل بعيدة تماما عن موضوع المخابرات.

وفجأة إذا به يقول لى : إننى أريد أن أعينك نائبا لرئيس المخابرات.

كان على صبرى هو رئيس المخابرات، وكان زكريا محيى الدين يشرف عليها، والحقيقة أن تعيين على صبرى كان اسميا فقط، حتى يمنح درجة الوزير، فقد كان مشغولا فى عمله كمدير لمكتب عبد الناصر.

وبعد حوار دام أكثر من ساعة قال لى عبد الناصر :

- إننى بحثت فلم أجد سواك يصلح لهذا العمل ، ولم أشأ أن أخبرك بذلك حتى لا يصيبك الغرور... فأنت ستعين نائبا لرئيس المخابرات لفترة وجيزة، لأننى سأعين على صبرى وزيرا للدولة قريبا ، وستتسلم رئاسة الجهاز بعد ذلك.

واختتم كلماته قائلا : هذا تكليف من الثورة .. لرجل من الثورة .. وإلا «نفض» الثورة..

قبلت على مضض، ثم اكتشفت فورا أن الأمركان معدا من قبل، عندما قام عبدالناصر إلى مكتبه وأحضر ورقة عليها قرار جمهورى مكتوب ، وهو يقول لى ٠ سأوقع القرار الآن.

ووقع عبد الناصر القرار أمامى

وكان علىّ أن أخلع ملابسى العسكرية وألا أعود إليها مرة ثانية، وأن أذهب إلى المخابرات فى اليوم التالى بملابسى المدنية. ولكن ذلك لم يحدث إذ ما لبثت أن عدت لارتداء هذه الملابس العسكرية بعد أيام، أثناء حرب ١٩٥٦، عندما نشبت الحرب، رأيت أن عملى فى تلك الفترة لابد أن يكون هناك حيث المعركة، وارتديت ملابسى العسكرية برتبة البكباشى، وذهبت إلى القيادة العامة.. وفعلا أرسلتنى إلى الإسماعيلية بعد بدء عمليات الإنزال فى بورسعيد، وتحرك القوات البريطانية والفرنسية، على طريق بورسعيد الإسماعيلية..

وبعد الحرب طلب منى عبد الحكيم أن أعود إلى عملى الذى صدر به قرار جمهورى .. وعدت.

خلعت ملابسى العسكرية.. وارتديت ثيابى المدنية. ودخلت جهاز المخابرات على مضض. و بدأت صفحة جديدة مختلفة من حياتى .

2

المخابرات

** انتهينا فى الجزء الأول من هذه المذكرات إلى أنك بدأت صفحة جديدة بذهابك إلى المخابرات كنائب لرئيس الجهاز، لنكمل المسيرة معا.. كيف بدأت العمل فى هذا الجهاز، وما هى الخطوات التى اتبعتها لتنظيمه، وعلى أى الأسس تم هذا التنظيم؟

- بعد العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ خلعت كسوتى العسكرية إلى الأبد.. ودخلت مبنى المخابرات بخطوات ثابتة.. ولكنها مترددة . فالمسئولية كبيرة وضخمة، ومعلوماتى عن المخابرات محدودة.. ومحدودة جدا

كان تكليفا من الثورة لأحد رجالها. وكان علىّ أن أكون فى مستوى المسئولية.. ذهبت إلى المبنى فى شارع محمد سعيد بجوار شارع قصر العينى.. وكان علىّ أن أعرف أولا.. من هم الأفراد الذين سأتعاون معهم، وسيتعاونون معى؟ . ثم ثانيا ما هى المخابرات وكيف تنظم . وكيف تعمل.. وما هى واجباتها واختصاصاتها؟

بالنسبة للجانب الأول.. عن الأفراد، أقلقنى عدم الانسجام والثقة المفقودة بين المجموعات المختلفة.. وهذا مبدأ أساسى يؤثر على كفاءة أى تنظيم.. وكان الجهاز أيضا ضعيفا فى الحجم.. فقد كان حديث الولادة بعد فصله عن المخابرات الحربية عام ١٩٥٤

وبالنسبة للجانب الثانى، كان همى الأول أن أحصل على المعرفة فى هذا الميدان الجديد بالنسبة لىّ.. والمعرفة فيه واسعة لا حدود لها.. لجأت إلى المكتبة الموجودة بالمخابرات ، كان بها كتب عديدة ألفها كتاب الغرب عن المخابرات، والتجسس ومقاومته، وجدت أن أغلبها روايات.. الحقيقة أن هذه الكتب لم تشف غلتى بل إن معظمها أعطت صورة مشوهة عن وظيفة المخابرات.. ولم أستطع من خلال هذه القراءات أن أضع معالم محددة لإنشاء جهاز مخابرات على أسس علمية، كما لم أستطع أيضا، أن أحدد ما الذى يفصل بين المخابرات وأجهزة الأمن الأخرى التى تستخدمها معظم الدول.

ففى كل دولة، تتعدد أجهزة المخابرات والأمن، وتتشابك اختصاصاتها وتتداخل،

وهذا عيب كبير فى التنظيم لم تستطع حتى الدول الكبرى أن تتحاشاه ففى أمريكا مثلا هناك المخابرات المركزية الأمريكية، والمباحث الفيدرالية. ومخابرات الدفاع، ومخابرات الجيش، والطيران، والبحرية، ولجنة الطاقة الذرية، وغيرها

وكل هذه تدخل فيما يسمى «مجتمع المخابرات».

وفى الاتحاد السوفيتى - السابق - هناك مكتب أمن الدولة، والمخابرات العسكرية والحدود، وغيرها وكلها تقوم بأعمال متشابكة، وإن كان الحزب الشيوعى يلعب دورا بارزا فى تنظيم أمن الدولة.

وفى إيطاليا هناك المخابرات العسكرية، وهى تقوم بجميع مهام المخابرات العسكرية والسياسية والاقتصادية، وتتبع رئيس أركان القوات المسلحة الإيطالية، فإيطاليا ليس لديها مخابرات سياسية منفصلة. وهناك تنظيم «الكاربونارى» وهو تنظيم عسكرى يقوم بأعمال الشرطة المدنية، ويتبع الجيش ويقوم بدور الأمن الداخلى فى إيطاليا.. وكثيرا ما تتضارب هذه الأجهزة بينها وبين بعضها، فيكون الفشل والإخفاق، المهم أننى استطعت أن أحصل على تنظيمات المخابرات لعديد من الدول ــ وهذا ليس سرا فهو مطبوع ــ من بينها المخابرات المركزية الأمريكية، والمخابرات السوفيتية والألمانية، ومخابرات «كناريس» الألمانية فى عهد هتلر، والمخابرات الإيطالية، والفرنسية والبريطانية.

وبعد دراسة امتدت حوالى شهر لهذه التنظيمات ، وصلت إلى شكل عام لتنظيم قد يصلح لظروفنا . كان هذا التنظيم أقرب إلى تنظيم المخابرات الأمريكية.

وفى ١٢ مايو ١٩٥٧ عينت رئيسا للمخابرات، وكان ذلك بداية لنشاطى الحقيقى فى إعادة تنظيم الجهاز وتدعيمه

** قبل أن نتعرض لنشاطك الحقيقى فى إعادة تنظيم الجهاز. أقترح أن نقف هنا لنلقى ضوءا على أنشطة المخابرات.

- الواقع أن نشاط المخابرات فى أى دولة يشمل بعدين رئيسيين لكى يحقق الاستراتيجية العليا للدولة.

الأول: مايطلق عليها.. المخابرات الهجومية وأعنى هنا أعمال التجسس، بمعناها الواسع. أى الحصول على المعلومات عن الدول الأجنبية سواء بالوسائل العلنية أو السرية، كما يدخل فيها كثير من النشاطات غير المشروعة، والتى لايقرها القانون الدولى، مثل أعمال التآمر والتخريب والحرب النفسية، والتدخل فى شئون الدول الأخرى.

الثانى: مايطلق عليه فى حرفة المخابرات . المخابرات الوقائية وهى تلك النشاطات التى تهدف إلى شل أنشطة مخابرات الخصم، فى المجالات سالفة الذكر، وقد اصطلح على تسميته مكافحة التجسس

إذن فالحكومات كلها، تستخدم التجسس كإحدى المؤسسات المعترف بها من الدولة، ولكن مراعاة لآداب العلاقات الدبلوماسية، فضلا عن أن الدول لا تستطيع أن تعترف علانية أنها تقوم بأعمال التجسس على بعضها البعض، فقد استبدلت بكلمة أفضل.. هى المخابرات .!

وربما كان اعتراف الولايات المتحدة بحادث طائرة التجسس الأمريكية على الأراضى السوفيتية، يعد أول حادث اعتراف لدولة بأنها قامت بأعمال التجسس على دولة أخرى، وفى عصر الحرب الباردة التى نشأت بين المعسكرين الشرقى والغربى، لم يتوان قطبا المعسكرين عن استخدام كل أساليب المخابرات والتكنولوجيا الحديثة، فنشأت معركة حامية الوطيس، بين أجهزة مخابرات كل منهما، وكانت للمعلومات أهمية كبيرة فى الحرب الباردة التى دارت بينهما..

وكان من بين الأساليب التى استخدمها الكرملين:

١ـ استخدام الأحزاب الشيوعية على مستوى عالمى، ذلك أن معظم هذه الأحزاب الموجودة خارج الكتلة الشيوعية . تستجيب للنظام المرسوم من الحزب الأم فى موسكو، وإن كان هناك عدد محدود يترسم خطى الحزب الشيوعى الصينى.

وأن مؤتمرات الحزب الشيوعى التى تعقد فى موسكو، على مر السنين، تعد مجالا لنشاط المخابرات السوفيتية على مستوى عالمى..

٢ـ منظمات الجبهة، وذلك باستخدام اتحادات العمال العالمية، وفروعها الكثيرة

بالسيطرة على منظمات العمل فى بلاد كثيرة من العالم. وقد يكون مثل هذا النشاط خطيرا فى أوقات الأزمات، وقد يصيب اقتصاد البلاد بالشلل. كما تضم منظمات الجبهة، مؤتمر السلام العالمى، وعديدا من منظمات الشباب، والمنظمات النسائية، والمهنية، وهى تحاول أن تجتذب إلى عضويتها الذين لا يتطرق الشك إلى نفوسهم، والذين يتسمون بالسذاجة مستخدمين مواضيع مثل السلام، وحظر استخدام الأسلحة النووية.

وليس معنى ذلك أن كل من يعمل بهذه المنظمات يخدم المخابرات السوفيتية، ولكن ما أعنيه أنها قد تستخدم كمنظمة ساتر تستطيع المخابرات السوفيتية أن تختار من تجندهم من بين أعضائها.

٣ـ استخدام مؤتمرات الشباب : قام السوفيت بعقد مؤتمرات الشباب على فترات متفاوتة ودعوا إليها شباب العالم شيوعيين وغير شيوعيين، وكانوا يدفعون نفقات الشباب الشيوعى فقط.

كانت هذه المؤتمرات تعقد فى بادىء الأمر فى المناطق الواقعة خلف الستار الحديدى: موسكو، وبرلين، وبراغ. ولكن أصبح المشرفون فيما بعد أكثر جرأة إذ عقدت اجتماعات خارج الستار، كالمؤتمر الذى عقد فى فيينا، والآخر الذى عقد فى هلسنكى.

ويبدو أن المشرفين وجدوا من خلال هذين المؤتمرين أن الرأى العام فى هذه العواصم غير متجاوب لدرجة أنهم فكروا فى إعادة النظر فى أماكن عقد هذه المؤتمرات.

٤ـ استخدام موظفى جهاز الأمن السوفيتى فى الخارج، وهؤلاء يستخدمون فى السفارات السوفيتية، وفى البعثات التجارية. ذلك أن جهاز أمن الدولة بجانب وظيفته الخاصة بالمخابرات يستطيع أن يوجه نشاط الحركات المحلية فى دولة من الدول فى مجال البرامج الخاصة لقيام الثورات.. إذ يقوم بتمويل عمليات الحرب المحلية، والجبهات، ويقوم جهاز الأمن محاولا بقدر الإمكان أن يدس الشيوعيين من المتعاطفين معهم لتولى المناصب الحكومية الرئيسية فى الدولة المستهدفة، كما

يحاولون أن ينفذوا إلى بنيان هذه الدولة فى مجالى الأمن والقوات المسلحة، وقد نجحوا فى ذلك إذ غرسوا رجالهم فى لجان الرقابة الخاصة بالحلفاء التى تكونت بمعظم بلاد أوربا الشرقية فى نهاية الحرب العالمية الثانية، عقب انسحاب الألمان مباشرة حيث كان الأعضاء السوفيت فى هذه اللجان هم ضباط مخابرات.

٥ ـ استخدام التشهير.. وإن كان هذا الأسلوب تستخدمه أيضا المخابرات الأمريكية وغيرها من مخابرات الدول الكبرى، وذلك ببث الاتهامات للحكام والمسئولين فى الدول المستهدفة.. حتى يفقد الشعب ثقته فى حكومته

هذه نماذج على سبيل المثال لا الحصر.

فإذا انتقلنا إلى المخابرات المركزية الأمريكية نجد أن الأساليب لاتختلف إلا فى الشكل أو الوسيلة . فمنذ قيام الثورة البلشفية، دخلت الولايات المتحدة فى معركة نفسية مستمرة مع النظام الجديد مستخدمة الأساليب الآتية:

١ـ الرشوة والتجسس:

فمثلا يمكن أن نرجع بذاكرتنا إلى مؤتمر قناصل الولايات المتحدة الذى عقد فى شهر أغسطس سنة ١٩١٨ وخطط للعمل فى ثلاثة اتجاهات:

(أ) إشاعة الفرقة فى الجيش الأحمر عن طريق الرشوة والتخريب وعرقلة التموينات.

(ب) إشعال النار فى مخازن الأغذية وأعمال التخريب.

(ج) القيام بأعمال التجسس.

٢ـ التشهير:

وهنا بالطبع يكون التشهير ضد النظام السوفيتى، وقد تكونت فعلا لجنة فرعية تحت إشراف اللجنة القضائية بالكونجرس، كانت مهمتها نشر أكاذيب عن روسيا السوفيتية، كانت برئاسة «أوفرمان» متهمين الدولة السوفيتية بأنها مركز تغلغل الشيوعية الدولية فى الدول النامية، ويرد الشيوعيون على هذه الفكرة بأنها ليست إلا ستارا ابتدعته الإمبريالية الأمريكية لتخفى وراءه ماتقوم به من نشاط ضد الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الأخرى.

٣ ـ المنظمات الأمريكية شبه الرسمية:

وقد بدأ استخدام هذا الأسلوب بعد الحرب العالمية الثانية، ففى صيف عام ١٩٤٩ تألـفت ما تسمى بلـجنة أوربـا الحرة برئـاسة «جرو» وزيـر الدولة المسـاعد، وسفـير الولايات المتحدة فى اليابان سابقا، وكان الجنرال ايزنهاور أحد مؤسسى هذه اللجنة، كما أنشئ ما يسمى باللجنة الأمريكيـة لتحرير الدول من خطر البلـشفية وكان هدف هذه اللجـنة استخدام المهاجريـن من روسيا ليكونـوا أداة طيعة لممارسة التـخريب فى دول المعسكر الشيوعى

٤ ـ استخدام التجسس والتخريب:

كان تـقدير المخـابرات الأمريكـية فى بـادئ الأمر أنهـا تستـطيع أن تثـير السـخط والشغب داخـل أى دولة اشتراكية، عـن طريق القيام بـأعمال التخريـب والاستفزاز، ومد الـثائريـن بكل عون مـستطـاع، ولكن إخـفاق الثورة المجـرية سنـة ١٩٥٦ وثورة تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨ لقن الأمريكيـين درسا بأن تلك السياسة قد أصيبت بخيبة كبيرة، ولذا عمدوا إلى استخدام أسلوب جديد ببث الجواسيس والعملاء داخل دولة الخصم

٥ ـ التجسس الإذاعى والفنى:

وقد استخدم الأمريكيون الأراضى الإيرانية لممارسة هذا النوع من التجسس على الاتحاد السوفيتى، كما استخدمت منشآت الـرادار التى كانت بتركيا لرصد السفن فى البحر الأسود. وتسـجيل رحلات الطائرات، وطلقات الصواريـخ فى القسم الأوربى من الاتحاد السوفيتى.

وليسـت هذه هى كل الأسـاليب، فقـد ذكرنا البعـض فقط لنـعطى فكـرة على أن المخابرات، وأعمال التجـسس لاغنى عنها لأية دولة كبيرة أو صغـيرة فى هذا العصر الذي نعيش فيه.

وهناك نظريـة تفرق بين المجتمعات المفتـوحة، والمجتمعات المغلقة مـن وجهة نظر المخابـرات ، وفى رأينـا أنهـا فكرة غـير مقـبولـة ودعاية سـخيفـة، تسـتحق الـدراسة والاجتهاد، فمن المعـروف أن الحكومات على مختلف أنواعها، وعقـائدها ومذاهبها،

تتخذ جميع الخطوات الضرورية لحفظ أسرار الدولة، وليست الحكومات هى التى تبرر أن مجتمعها المفتوح أو المغلق يملى عليها سياسة معينة، فليس هناك مجتمع عاقل سواء كان مغلقا أو مفتوحا، يستطيع أن يكشف عن أسراره دون أن يناله ضرر بالغ، ولدينا مثل واضح فى دولة كبرى هى الولايات المتحدة، فأسرار أمنها القومى مصونة فى حرز أمين بعيدا لا عن الخصوم فحسب بل وحتى عن دافع الضرائب، ورجال الحكومة ومعظم أعضاء الكونجرس، وهم الذين يعتمدون المبالغ لتلك الشئون، ولا يعلمون شيئا عن الأسرار العسكرية الهامة بالولايات المتحدة.

** نعود إلى الحديث عن إعادة تنظيمك لجهاز المخابرات المصرى.. وتدعيمه.. كيف تم ذلك؟

ـ فى البداية لابد من تحديد الهدف . كان الهدف أمامى واضحا أننا نواجه عدوا شرسا، هو إسرائيل . وقرأت كثيرا.. وكثيرا جدا عن إسرائيل ومؤسساتها السياسية وأجهزة مخابراتها، وتاريخها . وكان هذا مؤشراً لى عن الأخطبوط الذى تمتد فروعه فى قلب الأمة العربية، ولذا كان همى الأول أن أقوم ببناء جهاز مخابرات يقوم على أسس علمية ويستطيع أن يواجه هذه المخابرات الإسرائيلية بقدرتها الرهيبة.

وكان هذا يتطلب تكاليف باهظة، فى المال والخبرة والرجال والمعدات، فى وقت لم يكن كل ذلك متوافرا

وكانت أم المشاكل هنا هى الخبرة.. فالأفراد والمعدات والمال يمكن تدبيره، ولكن توفير العنصر البشرى الكفء والمدرب هى المشكلة.

فكرت فى السعى إلى بعض الدول الكبرى ـ شرقية وغربية ـ التى يمكن ان تعاوننا فى هذا المجال، واستطعت باتصالاتى المباشرة مع رؤساء أجهزة المخابرات فيها أن يقدموا لنا عونا كبيرا، فأخذنا عنهم كثيرا من خبراتهم وطبقنا ما يتناسب منها مع طبيعة مجتمعنا، والاستراتيجية العظمى التى سوف تحققها الدولة.

كنت أخشى أن أرسل بعثات إلى الخارج بأعداد ضخمة فقد قرأت فى بعض الكتب أن أجهزة المخابرات تعد المركز الأول لتغلغل الأجهزة الأجنبية، ولذا قررت ان يقتصر إرسال رجال المخابرات على كبار التسخصيات بالجهاز.. وبأعداد قليلة . اثنان أو ثلاثة.. لينقلوا الخبرات ثم يعودون فيلقنونها لرجالنا داخل الجهاز..

استطعنا بمجهودنا الخاص، أن نبحث عن المعدات الفنية التى تمكننا من تحقيق أهدافنا . فالآلة أصبحت اليوم هى العامل الأول الذى ييسر جميع سبل الحياة.

الآلة بالنسبة للمخابرات، وسيلة تمكنها من الوصول إلى المعرفة بدلا من الأسلوب البدائى، الذى كان يتبع فى الماضى، إذ لم يكن الإنسان يستطيع أن يصل إلى المعلومات إلا إذا اتجه إلى مكانها ثم دخل مكان حفظها.. ثم اطلع عليها..اليوم يمكن للإنسان أن يتبين من الصور التى يلتقطها القمر الصناعى أن يفرق بين الموتوسيكل والدراجة اليوم . المخابرات بدون مساعدات فنية، تساوى صفرا، مهما أنفق عليها من أموال ومهما بلغ ذكاء رجالها.. فالمعركة اليوم هى معركة تكنولوجيا.

مثلا. فى الماضى كان تبويب المعلومات التى نحصل عليها من جميع الدول يحتل مساحات ضخمة فى مبنى كبير، ولكن العلم الحديث بواسطة الميكروفيلم ، والعقل الالكترونى استطاع أن يحتفظ بهذه المعلومات الضخمة فى مساحة صغيرة، وأن يستخرج المعلومات المطلوبة ، وبعد تبويبها فى أقصر وقت ممكن ... وكما هو معروف فإن الوقت عامل ذهبى فى المخابرات إذ لو ضاع الوقت حتى لو كانت هذه المعلومات قيمة فقدت قيمتها وأصبحت عديمة الفائدة.

لقد تطور العلم الآن وأنتج من المعدات مايستطيع أن يحدد أجهزة إرسال العدو الموجودة فى الخارج وأجهزة الإرسال والاتصال للعملاء الموجودة فى الداخل، بمنتهى الدقة، ويمكن تتبعها حتى يصل إلى الشقة التى يرسل منها، كما أن التطور التكنولوجى لاستخدام الشفرة قد جعل أصعب الشفرات وأعقدها يمكن حلها فى وقت قصير، وليست هنالك شفرة فى العالم لايمكن حلها، بل الشفرة الجديدة هى التى تستنفد من الجانب الآخر وقتا طويلا لحلها ومن ثم تصبح المعلومات عديمة القيمة. لأن معلومات المخابرات تفقد قيمتها بمرور الوقت.

فكرت كيف يكون شكل الجهاز.. ما هى المهام المطلوبة منه ماذا نريد من جهاز المخابرات العامة؟

كانت المهمة المحددة لجهاز المخابرات العامة، هى أن يكون نظام مخابرات سياسية

اقتصادية، وكما سبق أن بينا.. فصلت المخابرات الحربية، وأصبحت تتبع القائد العام للقوات المسلحة. وكان هناك أيضا المباحث العامة، التى تتبع وزير الداخلية وواجبها هنا يتصل بالداخل، ويختص بالجماعات والنشاط الحزبى والعمالى، والصحفى والطلابى وغيرها، أى أن نشاطها يتعلق بالداخل، أى الأمن السياسى الداخلى

ومن الطبيعى أن يحتاج جهاز بهذا الشكل ـ المخابرات العامة ـ إلى معلومات عن الدول الأجنبية، شأنه فى ذلك شأن أى جهاز مخابرات فى العالم، لكى نضع صاحب القرار السياسى فى الصورة الصحيحة، التى تمكنه من تقدير موقفه السياسى، واتخاذ القرار، وذلك على ضوء تقارير المعلومات وتقديرات المواقف السياسية التى تقدمها المخابرات عن الدول الأجنبية.

وفى التحليل النهائى كان تصورى فى جهاز بهذا الشكل أن تكون له سمات تتشابه مع طبيعة ثلاث مؤسسات:

أولا: أن يكون قريب الشبه بأكاديمية كبرى. فالمخابرات تجمع ، وتدرس وتحلل، ثم تبوب هذه المعلومات لاستخدامها وقت الحاجة أو توزعها أو تحفظها. والأكاديمية وظيفتها البحث، والمخابرات كذلك أيضا وإن اختلف الأسلوب، فالبحث والدراسة فى الأكاديمية قد يستغرق سنين، أما فى المخابرات فإن عامل الوقت هام لكى تصل المعلومات بدقة وفى الوقت المناسب.. وهنا يتضح الجهد الذى يقع على الذين يدرسون الموضوعات المختلفة ويحللونها.

ثانيا: أن يكون الجهاز له سمة دار صحفية كبرى فيها المندوبون الذين يجمعون الأخبار. ثم هناك المحررون، وهم أشبه بالمحللين فى جهاز المخابرات، ثم التبويب ثم التخطيط ثم التوزيع.. أى النشر للمستهلك وهنا وجه الشبه بين المخابرات والصحافة، فالمندوب هنا يجمع المعلومات عن الدول الخارجية أو من الدول التى يعهد إليه بها، ثم يسلمها إلى رئاسة المخابرات التى هى بمثابة دار الصحيفة ويتسلمها المحللون للدراسة، ثم يبوبونها ، ويوزعونها على المستهلك.. وهم هنا رجال السياسة

الفرق هنا فقط هو فى نوع المعلومات، وفى المستهلك، وأسلوب النشر، المعلومات فى المخابرات سرية.. والمعلومات فى الصحافة علنية.

ثالثا: أن يكون الجهاز مثل دار أعمال كبيرة منتظمة . فأى مؤسسة أعمال تتطلب تنظيما جيدا وتخطيطا دقيقا، وأفرادا مؤهلين يعتمد عليهم يتمتعون بالقدرة على الخلق والمبادأة ونظام عمل ومتابعة ، ومعرفة لذوق المستهلك.

سأعطى لك مثلا بسيطا يوضح الصورة، نفرض أنه يعد تقريرا عن مشكلة ما، قامت فى منطقة ما، ولتكن مثلا مشكلة كشمير بين الهند والباكستان.. فى موقف مثل هذا فإن على المخابرات دون أى توجيه من أحد، أن تقدر الموقف، فتقوم بدراسة المشكلة، وأبعادها، وآثارها على الموقف الدولى وموقف مصر من المشكلة والحلول المقترحة أمامها، ورد الفعل لدى كل من الهند وباكستان . الخ . مما يتطلبه رجل السياسة من معلومات

ومثل هذه التقارير لا ترسل فقط لرئيس الجمهورية، بل ترسل إلى عدد كبير ممن يعملون بالسياسة، بعض منهم يكونون على دراية بالمشكلة، ولايهمهم أكثر من آخر تطورات الأحداث عنها، وهؤلاء قد يعكر مزاجهم التقارير المطولة . وهناك من يعرف جزءا من الصورة ولكنها غير مكتملة أمامه، وهناك من يريدون معرفة أكثر بالخلفية التاريخية لهذه المشكلة . وهكذا.

كيف نوفق بين هؤلاء جميعا.. إذ ليس من المعقول أن نرسل لكل منهم تقريرا بشكل خاص ؟. ويمكن التغلب على ذلك بعمل تقرير يلبى كل هذه الاحتياجات.

إن ما أريد أن أبينه، هو أن تنظيمات المخابرات فى جميع أنحاء العالم معروفة وليست سرا. وأن أساليب العمل متوافرة فى الكتب والدراسات التى قام بها الكثيرون فى كل البلاد.

وهنا نجد أن كل جهاز يختار أساليب معينة للعمل بها، وينبغى أن تكون فى سرعة مخابرات الدول الأخرى ، كما ينبغى إخفاء أفراده فقد يتعرضون للموت من عملاء الأعداء اذا ما سافروا للخارج وباشروا نشاطهم أو من عملاء لعدو يرسلهم إلى الداخل.

ويكمن الخطر كله فى الحديث عن هذه الأشياء.. وليس معنى ذلك أن يعمل الجهاز دون ضوابط.. ودون رقابة ولكن ما أعنيه هو أنه لاينبغى الخوض فى تفاصيل أعمال الأجهزة.. فإذا ما حدثت أخطاء أو انحرافات نجد أن معظم الدول تحرص حماية لأسرارها على تشكيل لجنة على مستوى عال من الخبرة والمسئولية للتحقيق والتقصى ، ففى الولايات المتحدة الأمريكية مثلا تشكل لجان من أعضاء الكونجرس ، ويسأل رئيس مخابراتها أمام الكونجرس، وقد حدث ذلك فعلا مع « آلان دلاس» و«جون ماكون» مديرى المخابرات المركزية السابقين ، وفى بعض الدول الأخرى تشكل لجان قد تتكون من وزير العدل والنائب العام وبعض أعضاء البرلمان ، وبعض الخبراء حتى يصلوا إلى الحقيقة.

** عندما بدأتم تنظيم جهاز المخابرات هل استعنتم بالنازى فى تنظيم هذا الجهاز. ؟؟

- قلت أننا وجدنا أن تنظيم المخابرات على أساس تنظيم مجتمع المخابرات المركزية الأمريكية كان أفضل الأنظمة بصورة عامة وليس تفصيلا، فقد أخذنا أيضا من تنظيم المخابرات الفرنسية، والإيطالية، وبدأنا تنظيم جهاز المخابرات على أساس إيجاد جهاز مخابرات سياسى واقتصادى منفصل عن المخابرات العسكرية، وأجهزة الأمن أسوة بما هو معمول به فى الولايات المتحدة، حيث هناك المخابرات المركزية وهى تماثل المخابرات العامة، ومكتب المباحث الفيدرالى وهو يماثل إلى حد كبير مباحث أمن الدولة لدينا.

وقد كان جهاز مخابرات هتلر الذى يعمل به هو مخابرات عسكرية سياسية اقتصادية تتبع القائد العام للقوات المسلحة النازية، وهو هتلر ، وإذا كان قد حدث كثير من التطوير بإعادة تنظيم الجهاز على امتداد السنوات العشر التى رأسته فيها، فقد كان نتيجة للتطور العلمى والفنى فى عالم المخابرات وكشف ثغرات وأخطاء فى تطبيق النظام الذى وضعناه

لم يكن التنظيم الألمانى أبدا مجال أخذ ، فلم نأخذ منه شيئا، ذلك لأنه كان لايتناسب مع ظروفنا .

ولست أفشى سرا إذا قلت أن تنظيم المخابرات العامة منذ بدأ تنظيمه أقرب إلى تنظيمات الدول الديمقراطية، ولم نأخذ شيئا عن الفاشية أو النازية أو الشيوعية فى يوم ما، ويسعدنى لو قامت لجنة الدفاع بمجلس الشعب وزارت جهاز المخابرات العامة كما يحدث فى الدول الكبرى للوقوف على المجهود الجبار الذى قام به الجهاز ، ولتتعرف على تنظيماته، ونشاطاته، وتتيقن بما يخرس كل دعى وكل كاذب، وليس هذا الإجراء بمستحدث، فهو يحدث فى جميع الدول الديمقراطية.

لم يدخل نازى واحد جهاز المخابرات ولم نستعن بأية خبرة نازية طوال مدة رئاستى للجهاز.

والسبب هنا بسيط، وهو أن عقدة الذنب التى كانت مسلطة على كل نازى بعد الحرب العالمية الثانية ، كانت من الممكن أن تسئ إلى علاقاتنا مع ألمانيا الغربية لو حاولنا اللجوء إليهم.

** ماهو طابع المخابرات فى النظامين النازى والفاشى؟

- من المعروف أن النازية والفاشية قامتا على أساس حزب عدوانى يرأسه زعيم ملهم، إحداهما ترى سمو الجنس الآرى، وحقه فى سيادة العالم بموجب هذا السمو، وأن باقى الشعوب عبيد.. والآخر يستمد سمو جنسه من عصر الدولة الرومانية، وكل منهما يسعى لغزو العالم واستعباده وكان لابد من وجود جهاز يحقق هذه الأطماع، ويحقق للزعيم أطماعه وتعصبه، ولقد برز نشاط هذه الأجهزة بصورة واضحة خلال الحرب العالمية الثانية، حينما اجتاحت الجيوش الألمانية دول أوربا بصورة ذكرتنا بجحافل جانكيز خان، وقامت هذه المخابرات بأعمال استثنائية مثل التخريب والنهب والاغتيال وأعمال الطابور الخامس بأن أدخلت أشخاصا داخل بعض الدول لبث الشائعات ، واستمالة بعض الخونة لخيانة أوطانهم، للاغتيال والقتل وغير ذلك

إن مخابرات هتلر التى أطلق عليها اسم «مخابرات كنارس» لم تكن الجهاز الوحيد الذى يعمل فى ميدان الأمن، بل كان هناك «الجستابو» وهو بمثابة شرطة سياسية تقوم بأعمال الأمن، وكثيرا ما كانت تتدخل فى أخص الدقائق فى حياة الناس.

وكانت هناك أيضا قوات العاصفة، وهم شباب هتلر الذى يحميه.. وكان هناك أيضا الشرطة العادية.

وكان الصراع يتزايد بين هذه الأجهزة وبخاصة بين «هملر» قائد الجستابو، و«كنارس» قائد المخابرات ، وكانت النهاية الأليمة المحتومة أن اتهم «كنارس» بالتآمر ضد هتلر.. وأعدم.. وضاعت الحقيقة بين هذه الأجهزة المتعددة وكانت الصورة أمام الناس... هى صورة الجستابو، فتحمل «كنارس » أخطاء النظام كله.

ولعل من حقى بعد ذلك أن أسال : هل كان هناك داع أن تستخدم الثورة فى مصر مثل هذه الأساليب؟

الاجابة المنطقية هى : لا.. الهدف إذن من المخابرات هو حماية مصرمن المؤامرات الخارجية والداخلية التى كانت ستتعرض لها، كأية ثورة جديدة جاءت بمبادئ وأفكار جديدة قد تضر بقلة فى الداخل ، وقد تتعارض مع مصالح الدول التى عاشت لأحقاب طويلة صاحبة الامتياز فى المنطقة

** قد يكون سؤالى ساذجا.. ولكنه فى الواقع يلح علىّ .. منذ أن بدأت أطل على المخابرات من خلال لقاءاتى معك .. فإننى أوجه هذا السؤال إلى نفسى أحيانا . السؤال هو : هل للمخابرات ضرورة.. وألايمكن للدولة أن تعيش بدونها.. ثم لماذا تتعرض المخابرات إلى حملات نقد من الكتاب والمفكرين دائما فى كل أنحاء العالم..؟؟

- الحقيقة أن هذا السؤال ليس ساذجا .. ولكن لابد أولا من الإجابة على الشق الثانى من السؤال.

الواقع أنه من الصعب أن نتحدث عن أعمال تتعلق بأجهزة المخابرات دون أن ندلى ببيانات تتعرض إلى ما يمس أمن الدولة، لذلك شاب طبيعة المخابرات بعض التشوه نتيجة للغموض والإبهام الذى يكتنف كلمة المخابرات، وطبيعة العمل الذى تؤديه ، كما نتج سوء فهم نتيجة التنوع الكبير فى المعلومات ومصادرها ووسائل الحصول عليها وجمعها.

فإذا كان بعض الكتاب العرب قد انزلقوا فى كتاباتهم عن المخابرات فى خطأ سوء المعرفة ووصمها بصورة سافرة مهينة، إما عن عدم معرفة ، أو عن سوء قصد، أو نتيجة ضرر لحق بهم من الدولة، فقد سبقهم كتاب من الغرب فى هذا المضمار، ولذا ظهرت معظم المؤلفات التى تعرضت للمخابرات فى العالم بصورة تحط من كرامتها وهيبتها وجهودها. ولنذكر ما جاء على لسان الملك جون بطل المسرحية التى كتبها وليام شكسبير حيث عبر عن رأيه فى المخابرات بعد أن تخلى عنه عملاؤه وجواسيسه بقوله :

- هل كان رجال مخابراتنا سكارى. ؟ هل كانوا نياما ؟

وبهذا القول يكون قد دمغ المخابرات بوصمة ساخرة مضحكة إذا قلنا أن الذين تعرضوا للمخابرات لم يكونوا سيئى النية عامدين لتشويه الصورة منفذين لمخطط الحرب النفسية، بأن يفقد المواطن ثقته فى أجهزته، إذا قلنا ذلك جاز لنا أن نخمن بأن السبب وراء هذا النقد هو عدم الفهم العميق لطبيعة دور المخابرات وما تؤديه من أعمال.

ونعود إلى الشق الأول من سؤالك . والرد على ذلك بسيط للغاية فالدول تعيش اليوم فى عالم أشبه بغابة مليئة بالوحوش . ويبدو عمليا أن قانون الغابة هو الذى يتحكم فى العلاقات الدولية «عش لتأكل أو تؤكل» .

لقد ازدادت الصراعات والخلافات بعد أن سادت المعمورة مذاهب ونظم جديدة، وأيدلوجيات متتابعة، كل منها تجد الخير فيما تدعو إليه وترى الشر كله فيما يعتنقه الآخرون.. كل فريق يحاول أن يدمر الجانب الآخر بلا هوادة ولا رحمة مستغلا فى ذلك أرقى ما وصلت إليه التكنولوجيا الحديثة من أدوات الدمار ووسائل الإبادة

وهكذا أصبحت ضرورة جوهرية لأية دولة عصرية أن تحمى نفسها عن طريق المعرفة. والمخابرات فى سبيل تحقيق هذه المعرفة تحوى بين دروب نشاطها عملية ضخمة باهظة التكاليف، نتيجة تلك الحروب التى تشنها أجهزة المخابرات المعادية أو

المنافسة ضد بعضها البعض، حروب ليست ساخنة تستخدم فيها الأسلحة التقليدية ، بل حرب تعتمد على المواهب العقلية والذهنية سواء فى وسائل الحصول على المعلومات، أى عن طريق التجسس أوفيما يسمى فى حرفة المخابرات بالمخابرات الوقائية ومقاومة التجسس ..

ونحن فى مصر وفى أية دولة عربية عشنا ومانزال نعيش ما يزيد على نصف قرن من الزمان نواجه عدوا شرسا له أطماع توسعية كما تترصد بنا دول كبرى قاسينا من بعضها الاستعمار لحقبات من الزمان . كل منها تتصارع الآن لفرض نفوذها فى المنطقة، محافظة على مصالحها . وعدونا الأول هو إسرائيل. ومن أول المبادئ فى أى حرب أن يعد كل جانب نفسه ليكون أقوى وأكثر تقدما من الجانب الآخر فى جميع الميادين. وهنا ندخل فى معركة المخابرات، أى المعركة بين المخابرات المصرية والمخابرات الإسرائيلية.

* هنا ينبغى أن نطرح سؤالا طويلا يكون الهدف منه هو الوقوف على قدر من المعلومات عن المخابرات الإسرائيلية أهدافها أغراضها، أعمالها

- الحديث عن المخابرات الإسرائيلية قد يطول كثيرا، ولكنى سأحاول أن أوجزه لك .. فالمخابرات الإسرائيلية لها أهداف وأغراض تفوق قدرة دولة صغيرة مثل إسرائيل.. فهى بمثابة عيون وآذان لها سواء فى الداخل أو فى الخارج..

وهذه المخابرات جهاز ذو أغراض متعددة، فهو ذراع السلطة السرية التى تستطيع أن تنفذ أى مهمة تسندها لها الحكومة. إنه أكثر من جهاز للمخابرات المضادة..إنه أداة لإثارة الانقلابات لأعمال العنف. من اغتيال وتخريب. للتدخل السرى فى شئون الدول الأخرى لاسيما العربية والأفريقية.

وإذا كان هذا الجهاز يقدم خدمات لإسرائيل فى محاولاتها لتنفيذ مخططاتها العدوانية فى الدول العربية. والأفريقية فإنه أيضا سيف مسلط على رقاب العرب فى يد الاستعمار.

ولاتنس فضيحة « لافون» المعروفة باسم الصفقة المخزية. وترجع إلى عام ١٩٥٤

حينما شرع رجال «ش.ب» خدمة الأمن ببعض الأعمال التخريبية ضد عدد من المؤسسات الأمريكية فى مصر منها مركز الاستعلامات الأمريكى . وحادث «سينما ريو» بالإسكندرية، وكان الهدف من وراء ذلك الإساءة للعلاقات بين مصر والولايات المتحدة، وقد نسبت هذه القضية إلى «بنحاس لافون» الذى كان يتولى منصب وزير الدفاع فى الوزارة الإسرائيلية. وقد فشلت العملية وتم القبض على عدد من الذين عهد إليهم بتنفيذها، وحوكموا فى القاهرة، ونفذت الأحكام التى صدرت ضدهم.

فالمخابرات الإسرائيلية تستخدم كل السبل لتحقيق أغراضها من قتل وتخريب وتدبير الانقلابات، واستخدام الجنس. والخطف . ولاتنس خطف «ايخمان» النازى من أمريكا اللاتينية ومحاكمته فى إسرائيل.

كان نشاط المخابرات الإسرائيلية مركزا أساسا على مصر.. ويثبت ذلك القضايا العديدة التى كشف عنها وحوكم أعضاء شبكاتها.. كان منها مثلا قضية «موريس جود» الجاسوس الهولندى الدولى المحترف، وشبكته الكبيرة وكان ضمن أهدافها التخريب وعمل اختراق داخل القوات المسلحة..

ومنها مثلا قضية موظف جروبى الذى كان يعهد إليه بحفلات الرئيس عبد الناصر، وكان مكلفا بوضع السم له أو لزواره من الرؤساء والملوك الذين يريدون التخلص منهم، بناء على أوامر المخابرات الإسرائيلية.

ونشاط المخابرات الإسرائيلية فى أفريقيا يحتاج إلى مؤلف ضخم، تجنيدهم لبعض السياسيين فى الدول المستقلة حديثا.. صراعهم فى الحرب الاقتصادية فى أفريقيا.

ولنتذكر حينما ساءت العلاقات بين «نكروما» وإنجلترا، فرفضت إنجلترا استيراد محصول الكاكاو، وهو المحصول الرئيسى فى غانا فتقدمت إسرائيل فورا واشترت المحصول منه بثمن أكبر مما كانت تعرضه إنجلترا واحتكرت تصنيع الكاكاو حينئذ

إنه من المعروف دائما أن نظام الحكم . وشكل المجتمع، والدراسة الاستراتيجية للدول تنعكس على تنظيم أجهزة المخابرات بها.. وهكذا نجد أن سياسة إسرائيل العدوانية، وخلقها فى قلب الأمة العربية. وكونها آداة لتحقيق أهداف الاستعمار

بأنواعه، قد انعكس على تنظيم أجهزة المخابرات بها، وجهاز المخابرات الإسرائيلى هو أقرب إلى مجتمع المخابرات الأمريكى، الذى سبق أن تحدثنا عنه، وهو عبارة عن مكتب فى إسرائيل يتبع رئيس الوزراء مباشرة ، ويتكون من عدة أجهزة.. فهناك مجلس أمن الدولة، وهو الذى يتولى التوجيه وتخطيط سياسة الأمن الداخلى والخارجى للدولة، ويتكون من مستشارين لرئيس الوزراء ورؤساء أجهزة الأمن والمخابرات السياسية.. وهناك المخابرات السياسية، أو مايطلق عليها «الموساد» التى تتبع رئيس الوزراء، ومهمتها جمع المعلومات عن الدول العربية.. والإشراف على شبكة التجسس بها كما تشرف على الحرب النفسية الخاصة بالدول العربية، ونطاق عملها كله خارج إسرائيل وهنا ينبغى أن نركز على تلك الحرب النفسية التى تعرضت لها الدول العربية ولاتزال تتعرض لها حتى الآن منذ قيام إسرائيل سنة ١٩٤٨

وبالإضافة إلى ذلك هناك هيئة خدمات الأمن «شاباك» وهى المشرفة على هيئات الأمن والمخابرات التى تعمل داخل إسرائيل، وتتبع رئاسة الوزراء مباشرة، ومجال عملها مكافحة الجاسوسية، وتنظيم شئون العرب المقيمين فى إسرائيل ومقاومة أعمال الفدائيين العرب

أما المخابرات العسكرية ويطلق عليها «أمان» فتختص بأمن القوات المسلحة، وجمع المعلومات العسكرية عن الدول العربية، أما الشرطة الإسرائيلية فتتبع إداريا وزارة الداخلية ومهمتها حراسة الموانى والحدود والمطارات وحماية الأمن العام.. كما يتبع مجلس أمن الدولة إدارة الأبحاث الذرية. ومهمتها حماية المفاعلات الذرية فى إسرائيل وتحليل المخابرات العلمية «أى المعلومات العلمية عن الدول الأخرى»..

وهناك خدمات الأمن، وهو الجهاز الرئيسى لأمن إسرائيل فى الداخل والخارج. ففى الداخل يتولى أعمال الأمن فى النواحى الاقتصادية والسياسية وأعمال الرقابة على البريد واللاسلكى والتليفونات، علاوة على مكافحة الجاسوسية، ولهذا التنظيم عملاء فى معظم المنظمات والأحزاب السياسية داخل إسرائيل، ويعمل هذا التنظيم

لخدمة حزب الأغلبية أكثر مما يعمل لباقى الأحزاب ولذلك فقد تعرض مرات عديدة لهجوم شديد من الأحزاب المختلفة.

ومهمة هذا الجهاز فى الخارج كشف أية مؤامرات ضد إسرائيل وتتبع نشاط المخابرات العربية أو أى نشاط يتصل بها.

وبجانب هذا الخط التجسسى الضخم، هناك جهاز آخر يعمل فى خط واحد مع حكومة إسرائيل، وهو جهاز الوكالة اليهودية ويشرف على توجيه المكتب السياسى للوكالة اليهودية الذى تشترك فيه حكومة إسرائيل مع ممثلين للحركة الصهيونية العالمية ، وينقسم جهاز مخابرات الوكالة اليهودية إلى قسمين رئيسيين:

الأول: هيئة تخليد ضحايا النازى «يادشم» أى اليد والقلب، وقد أنشئت بعد الحرب العالمية الثانية لحصر ضحايا النازى والانتقام من أعضاء النازى الذين شاركوا في عمليات الإبادة والتعذيب، ولها مركز فى حيفا يسمى مركز الوثائق التاريخية، يقوم بجمع البيانات عن ضحايا النازى من اليهود وهو الذى خطط لعملية خطف« إيخمان» من الأرجنتين.

الثانى : هيئة الخدمة السرية، وتقوم بالتنسيق مع حكومة إسرائيل والمؤسسات اليهودية المنتشرة فى العالم لتحقيق أهداف الصهيونية العالمية، وتضم معهدا للرواد، وتشرف على معسكرات الشباب اليهود فى العالم. وتقوم بتهجيرهم إلى إسرائيل، كما تشرف على نوادى «المكابى» اليهودية المنتشرة فى جميع انحاء العالم لتجند من بينهم من يصلح للعمليات الخاصة.

ومن هنا يتبين - كما قلنا - قوة هذا الجهاز الضخم والقدرات المادية والفنية والنفوذ الذى يمكنه من تحقيق أهدافه.

وأسلوب إسرائيل فى التجسس يقوم على أساس ظروف إسرائيل الاستراتيجية والاجتماعية، ويمكن أن نستخلص السمات التى اتسمت بها هذه الأساليب وأهمها .

١ - العنف الشديد .. بسرعة التخلص من أعدائها الذين لهم تأثير مباشر على كيانها مثل الفدائيين العرب الذين يعملون ضد المؤسسات والمنشآت الإسرائيلية، كما أن هدفه إيهام الرأى العام العربى بصفة خاصة، والعالمى بصفة عامة بقوة

المخابرات الإسرائيلية وإثارة المشاكل والصعاب ضد مخابرات مصر فى اختيارها لعملائها الذين يعملون ضد إسرائيل.

ونذكر على سبيل المثال لا الحصر إرسال طرد مجهز بمفجرات«طرفية» أى تنفجر عن طريق اللمس إلى كل من الشهيدين مصطفى حافظ قائد مخابرات غزة سنة ١٩٥٥، وصلاح مصطفى الملحق العسكرى فى الأردن واستشهادهما.. ولاننسى ماقامت به إسرائيل سنة ١٩٦٣ إذ أرسلت بعض المتفجرات فى أحد الطرود الواردة إلى أحد مصانعنا الحربية. وقد عاونهم فى ذلك عملاؤهم الذين كانوا يعملون فى مصانع ألمانيا الغربية التى كانت تورد لنا المعدات، وقد استشهد بها بعض المهندسين وجرح آخرون بإصابات بالغة . كما لايمكن أن ننسى أبدا الخطاب الذى قام بإرساله الجاسوس الإسرائيلى «لوتز» عام ١٩٦٣ إلى الخبير الألمانى« بيرز» والذى انفجر فى سكرتيرته وشوه وجهها.

ولاننسى ما قام به «لوتز» أيضا من إرسال بعض الخطابات المتفجرة والتى انفجر بعضها فى مكتب بريد المعادى سنة ١٩٦٤ وأصيب رئيس المكتب.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل قام أحد عملاء إسرائيل بخطف بعض العلماء الألمان الذين كانوا يعملون مع مصر، ومنهم الخبير الألمانى «كروج» الذى اختطفوه فى مدينة ميونخ سنة ١٩٦٣.

كما قامت إسرائيل باستخدام المؤسسات التجارية المملوكة لليهود فى العالم كمراكز متقدمة لنشاط المخابرات الإسرائيلية ، وهيأ لهم ذلك فرصة صالحة لتجنيد الأفراد الصالحين منهم فى المراكز الحساسة بهذه الدول لخدمة أغراضها التجسسية والتآمرية.

٢ - استخدام اليهود ذوى الجنسيات الأخرى   ذلك أن إقامة اليهود فى معظم دول العالم، وتمتعهم بجنسياتها وأعمالهم المختلفة سواء كانت تجارية أو حكومية ، حقق للمخابرات الإسرائيلية ضمانات عديدة فهى فضلا عن كسبها ولاء هؤلاء الأفراد، هيأ لها ساترا مناسبا وإمكانيات واسعة للعمل.

٣ - استخدام الدين فى تحقيق مآربهم .. فقد استخدمت المخابرات الاسرائيلية الدين فى تحقيق مآرب إسرائيل فكونت الجمعيات الدينية مثل «شهود يهوه والماسونية» وهى تهدف إلى تمييع العقيدة الدينية التى يؤمن بها الأفراد غير اليهود، ونزع التعصب ضد اليهودية من الأديان الأخرى، والدعوة إلى أن المسيحية واليهودية دين واحد، وأن موسى وعيسى أخوان، لقد وصل نفوذهم إلى درجة أن تمكنوا من التأثير على الفاتيكان بإصدار وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح .

٤ - استغلال عقدة الذنب بالنسبة لبعض الألمان .. فقانون التقادم الذى أخذت تلوح به إسرائيل، كسيف مسلط على رقبة كل مسئول فى ألمانيا الغربية لاسكات كل لسان يحاول معارضة السلطات الألمانية فى مسايرتها لجشع إسرائيل ، وكان أقرب مثل لذلك فى عهد «أدينهاور» أن قاموا بشل يده بتقديم مساعده للمحاكمة بتهمة النازية وهذا العامل يوضح كيف استخدمت المخابرات الإسرائيلية عقدة الذنب لدى الشعب الألمانى فى تسخيره للعمل لخدمة الجاسوسية الإسرائيلية فى الدول العربية وتخريب الاقتصاد العربى والمجهود الحربى ..

وأكبر مثل لذلك نجاح المخابرات الإسرائيلية فى تجنيد الطالب الألمانى «فرد لالدو» تحت تأثير عقدة الذنب واستغلاله، كحامل رسائل بين المخابرات الإسرائيلية، والعميل المزدوج إسماعيل صبرى واللذين قدما للمحاكمة . وحكم عليهما فى قضية التجسس.

٥ - استخدام بعض العرب المقيمين فى إسرائيل للقيام بأعمال التجسس والاستطلاع على طول خطوط الهدنة والخطوط العسكرية بالإضافة إلى القيام ببعض عمليات التخريب خلف الخطوط العربية أثناء العمليات الحربية. وكذا العمل فى تجارة المخدرات ، وتوصيلها إلى بعض المهربين العرب ، والمصريين كمصدر لتمويل المخابرات الإسرائيلية والتخريب النفسى والمعنوى للشعب المصرى.

** نعود إلى الحديث الذى قطعناه بهذا العرض السريع والوافى لنشاط مخابرات إسرائيل وأسألك عن عمليات التجسس سؤالا محدداً هو.. التجسس هل هو فى الخارج، أم على المواطنين فى الداخل..؟

- كما قلت أن المخابرات فى نشاطها التجسسى ميدانها خارج حدود البلاد وقدصورت لك مراحل هذه العملية من جمع المعلومات وتحليل... الخ.

كما أوضحت لك الفرق بين التجسس، ومقاومة التجسس، وميدان عمله فى الداخل والخارج على حد سواء وهدفه نشاط مخابرات العدو ومتابعة عملائه وجواسيسه فى الداخل والخارج . وقد يكون ضمن هؤلاء العملاء مصريون أو عرب فهل مراقبة الجواسيس والعملاء ومتابعة نشاطهم يعد تجسسا على المواطنين، أولئك الذين يخربون وينخرون فى كيان وطنهم إنهم لا يستحقون أن يحملوا لقب المواطن المصرى.. ولذا حمل الجواسيس والعملاء على كاهلهم لواء حملة مضللة مزيفة بأن المخابرات تقوم بالتجسس على المواطنين وليس هناك أدل على ذلك من أن الذين يهاجموننى اليوم هم العملاء والمتآمرون.

** إذن فلماذا كانت المخابرات تراقب التليفونات مثلا؟

ـ عملية المراقبة المعروفة فى عرف الأمن ليست مراقبة تليفونية فحسب بل إنها مراقبة كل نشاط العميل، سواء فى بريده، أو تحركاته أو مقابلاته، أو فى مكالماته التليفونية .. الخ، وكل هذه توضع فى خطة عامة يقوم بها أفراد متخصصون من رجال مكافحة التجسس، وليست العملية ارتجالية أو هوجاء، بل توضع بضوابط معينة وبنظم دقيقة ولها سجلات مدرج بها هذا، ولذا لم يكن هذا الجهاز لمراقبة المواطنين وإنما كان عاملا مساعدا لتتبع النشاط التخابرى والتآمرى ضد الدولة

ففى مراقبة التليفونات مثلا لا يوضع أى فرد تحت هذه المراقبة لمجرد الشك ولكن نتيجة لدراسة النشاط التآمرى والتجسسى، وإذا ما وضع تحت المراقبة فيدرج ذلك فى دفتر خاص وتسجل الساعة التى وضع فيها ، كما تسجل الساعة التى يرفع فيها، وكل الأشرطة التى ليس لها علاقة بالقضايا تمسح فورا.. والدليل أنه ليس هناك مواطن استخدمت المخابرات العامة هذه الوسيلة ضده لسلوك شخصى أو عام بعيدا عن تآمر أو تخابر

وليست القضية كما صورها البعض للتشهير، لم تكن المخابرات فقط هى التى تقوم بهذه العملية، فجميع الأجهزة تستخدمها حتى بوليس الآداب، ورجال مكافحة

التهريب فى العالـم كله يستخدمونهـا، فما بال متـابعة الجواسيس والمتآمريـن على الوطن.. وما أريـد أن أوضحه أن التقدم الـكبير فى التكـنولوجيا وأجهـزة المساعدات الفنية قد قلـل من قيمـة مراقبة التـليفونـات، فالجاسوس والمـتآمر مدرب عـلى عدم الحديث فى التليـفون. وهو يعرف أنه هدف المخابرات، ولذا أصبحـت هذه الوسيلة ليسـت ذات قيمة كبـيرة فى كشف الـقضايا، بل إنـها مجرد عامـل صغير مسـاعد قد يكشف خيوطا رفيعة.

**كان الموظفون يخافون مـن أن تكـون أجهزة التسجيل فى مكـاتبهم.. وامـتد الخـوف حتى إلى الحـديث.. كان الناس يخافـون التحدث حتى عـلى المقـاهى وفـى البيـوت؟

- هذه أسطـورة بثها الخونة، وسـأجيب عنها فـى معادلة حسابـية بسيطة، لـو قامت المخابرات أو غيرها بهذا العمل لاحتاجت إلى أفراد يكونون جيشا كبيرا، ولاحتاجت إلى معدات لاتكفى عشـرات أضعاف ميزانية المخابرات لتغطيتـها، بل لو جندت كل مصرى ليقوم بهذه العملية، ما استطاع، فليست العملية بالبساطة التى يروجها الخونة، أو أولئك الذين يرددون ماتبثه إذاعة اسرائيل لإظـهار أنفسهم علماء ببواطن الأمور، فتجهيز غرفة واحدة للتصنت على من فيـها ولتكن مساحتها ٤ أمتار فى ٤ أمتار تحتاج إلى معدات وأفراد يتكـلفون آلافا من الجنيهات، فهل توجـه هذه إلى المواطنين أم إلى عشـرات قضايا الـتجسـس التى اكتـشفتـها المخابرات فـى عهدى والـتى بلغ بـعض العـملاء فى إحـدى هذه القضـايا ثلاثـين عميـلا مثل قـضية الـيونانيـين الذين كـانوا يتجسسون لحساب إسرائيل.

لقد نـشأ التشويـش، والاضطراب، وهذه القـصص الأسطوريـة نتيجة الـغموض الذى يكـتنف أعمال الأمن بـصفة عامة، وعدم مـعرفة الشعب بـطبيعة الأجهـزة التى تعمـل فى هذا المجال واخـتصاصاتـها، وقد ذكرت كثـيرا أنه كان هـناك مايزيـد على أصابع اليـدين من أجهزة الأمن حـمل عبد الناصر أخـطاءها على المخابـرات العامة، وعلى صلاح نصر لخصـومة سياسية . على أننى أود أن أؤكد لك أن الـصدفة تلعب دورا كبيرا فى اكتشاف كثير من الأنشطة المخربة.

** لماذا انفصلت المخابرات الحربية عن المخابرات العامة صحيح أن ذلك حدث سنة ١٩٥٤ .. ولكن، ما هى الدوافع التى أدت إلى ذلك؟

ـ كما أوضحت كان الغرض من إنشاء المخابرات العامة سنة ١٩٥٤ هو انشاء جهاز مخابرات سياسية واقتصادية، ولم تكن هذه موجودة من قبل، وذلك اسوة بالدول المتقدمة فى العالم، وكان أن انفصلت المخابرات الحربية، وتبعت القيادة العامة للقوات المسلحة، وهنا وضع حد فاصل بين الاختصاصين، فالمخابرات السياسية والاقتصادية مهمتها هى التنبؤ بالأحداث، ودق ناقوس الخطر فى الوقت المناسب والمكان المناسب، وتقديم التقديرات السياسية والاقتصادية التى تعاون واضع القرار السياسى فى وضع قرار سليم، وهنا تعتمد المخابرات السياسية على العنصر التأملى والتقديرى، وليس على عنصر الحساب أى الجمع والطرح. وهو ما يحدث فى المخابرات العسكرية، فواجب المخابرات العسكرية أو ما يسمونها مخابرات القتال، هو جمع المعلومات العسكرية حول البناء الحربى للعدو وخططه الحربية وجداول تنظيم القوات المسلحة التى يطلق عليها تنظيم القوات للمعركة التى بدورها تشمل المعلومات عن أماكن الوحدات البرية الجوية والبحرية وبيانات بأسماء الضباط، ورتبهم، والشارات المميزة للوحدات، كما تشمل تفصيلات عن تطورات التسليح والأسلحة المختلفة وتوزيع القوات المسلحة ومعداتها وتاريخ حياة الضباط . الخ.

هذه المعلومات بلا ريب تتطلب عملية حسابية ضخمة، وإذا أخطأ الحساب هنا تكون الكارثة . بعكس المخابرات السياسية لأنها تقوم على أساس العنصر التأملى التقديرى المبنى على أساس المعلومات الوفيرة، وطرق الاختيار العديدة المفتوحة، أمام واضع القرار ليتخذ أنسبها، وهكذا تقوم المخابرات الحربية فى هذا المجال ــ أى مجال المعلومات ــ بعمل التقدير العسكرى، ويدخل هذا التقدير ضمن التقدير السياسى أو الاستراتيجى الذى تقوم به المخابرات السياسية أو تقديرات رجال السياسة. وهى هنا لها مصادرها التى تأتى لها بهذه المعلومات.

ولقد عمد بعض العملاء إلى استغلال عدم معرفة الشعب باختصاص أجهزة المخابرات، وعدم معرفته أن القوة العسكرية للعدو ليست من واجب المخابرات السياسية... فنشروا أن «مخابرات صلاح نصر» قد ضللت القيادة العسكرية

والسياسية عن قوة العدو الحقيقية قبل حرب ١٩٦٧، ونحن لانرد على هؤلاء ولكننا نخرس كل دعى بالوثائق بأن دور المخابرات العامة فى ١٩٦٧ كان مشرفا، وقد أشرت بإيجاز لهذا الدور، وهو أن تقديراتنا السياسية قد عاشت مع الأحداث منذ ١٥ مايو حتى نهاية الحرب يوما بيوم، فتنبأت بالاحداث، ودقت ناقوس الخطر مرات عديدة، وحددت موعد الهجوم بالضبط قبل نشوب الحرب فى يوم ٢ يونيو.

** كشف المؤامرات داخل الجيش ... مهمة من. المخابرات السياسية أم العسكرية؟

ـ فى الواقع لم يكن هناك منذ قيام الثورة سنة ١٩٥٢ اختصاصات واضحة لمسئولية الأجهزة عن المؤامرات التى قد تقوم فى الجيش أو القوات المسلحة، والحقيقة أن اغلب المؤامرات إن لم أقل كلها ـ باستثناء واحدة أو أخرى ـ قد كشفت بطريق الصدفة نتيجة تبليغ أحد أعضائها لعبد الناصر أو لأحد رجال الثورة

وكانت الثورة تعتمد على تأييد القوات المسلحة فى بداية الأمر على الضباط الأحرار، ولما خرج معظم الضباط الأحرار من القوات المسلحة بعد اتخاذ مجلس الثورة قرارا بإبعادهم عن الجيش حيث اصطبغوا بالصبغة السياسية، أسندت عملية التأمين لمكتب القائد العام للقوات المسلحة، وبعد إنشاء المخابرات الحربية كان هذا من ضمن اختصاصاتها، ولكن للأسف كانت هناك تنظيمات أخرى بعضها كان يتبع السيد / سامى شرف، والأخرى تتبع السيد/ شمس بدران مدير مكتب المشير عبد الحكيم عامر، وهكذا بدأ التضارب وبدا وكأن هناك صراعا داخل القوات المسلحة.

وحينما كانت تكتشف مؤامرة كان عبد الناصر هو الذى يحدد الجهة التى تقوم بالتحقيق وتتولى أمورها.. ولم يكن للمخابرات العامة أى رجال داخل القوات المسلحة بل وصل الأمر أنه إذا تصادف واكتشفت المخابرات العامة نشاطا مدنيا أو تخابريا له علاقة بأى فرد من أفراد القوات المسلحة كان عليها أن تبلغ القائد العام للقوات المسلحة قبل أن تتخذ أى إجراء.

** خلال هذا الحوار رددت أكثر من مرة كلمة المخابرات الاقتصادية...فماذا تعنى بالمخابرات الاقتصادية؟

ـ من المؤكد أن الأقتصاد أصبح يلعب دورا حيويا فى بناء أية دولة، وهو أيضا يعد أساسا جوهريا للقوة العسكرية، وفى هذا العصر حيث أصبحت الحرب أكثر شمولا، أصبحت أبسط السلع تدخل فى المجهود الحربى، فلم تعد الحرب هى حرب بين قوات متقاتلة فقط، بل أصبح كل فرد فى الدولة معرضا لهذه الحرب، حتى ولو كان فى الخطوط المدنية، ومن ثم اهتم العالم بالاقتصاد ودراسة قيمته فى المجهود الحربى. وتعبئة الدولة الاستراتيجية وهذا لايتأتى إلا عن طريق معرفة الإمكانيات الاقتصادية للعدو وللدول الأخرى الأجنبية

وهنا تدخل عوامل كثيرة محل الدراسة والبحث فالموارد الطبيعية، والقوى البشرية، والقدرات الصناعية، ووسائل النقل والتجارة والتموين، وإجمالى الإنتاج القومى كل هذه عوامل رئيسية تكون محل البحث والتحليل،

ولنضرب مثلا بسيطا فى عمليات التحليل الاقتصادية، فلنفرض أن إحدى الدول ينقصها معدن معين فى صناعاتها، فهنا يصبح دور المخابرات الاقتصادية هو إجراء دراسة عن إيجاد سلعة بديلة متوافرة لتساعد فى هذه الصناعة كالبلاستيك مثلا، وتقوم بدراسة تحليلية للأسواق العالمية وعلاقات الدولة السياسية بها لاكتشاف هذه السلعة البديلة المتوافرة بعد أن تكون قد تغلبت على كل العوائق التى قد يضعها الخصوم أمام الدولة للحصول عليها، وفى هذه الناحية قد تجرى اتصالات بواسطة رجال المخابرات الاقتصادية فى الخارج مع المؤسسات العالمية للمساعدة فى توفير السلعة التى يحتاجها الإنتاج.

** من خلال الممارسة هل هناك نماذج لما قامت به المخابرات الاقتصادية فى مصر أثناء رئاستكم للجهاز؟

ـ النماذج كثيرة ولكنى سأكتفى بواحد منها الآن.. فى عام ٥٨ كنا نستورد بعض القمح من سوريا، وهو من النوع اللين الذى لايصلح كخبز فى مصر، وكان موضع شكاوى متعددة من المواطنين فقامت المخابرات بنشاط لها، واتصلت بشركة مسئولة

عن توزيع القمح فى المنطقة، وبجهود نجحت فى أن تدخل صفقة قمح استرالى، كانت متجهة إلى إيطاليا وفرغت وتم استبدالها بصفقة القمح السورى الذى يصلح لعمل المكرونة، وقد تمت هذه الاتفاقيات بعد قيام السفن من استراليا فصدرت التعليمات إليها فى عرض البحر، وتم التنفيذ. إن جميع التسهيلات الائتمانية بين إيطاليا وألمانيا الغربية من جانب، ومصر من جانب آخر، كانت جهود المخابرات العامة غير المعروفة وراء هذه العمليات، واستطاعت فى بعض العمليات أن تعدل بعض الشروط لمصلحة مصر بعد أن تم التعاقد وهذه قصص طويلة قد أدرجتها بالتفصيل فى مذكراتى، وأودعتها سجل التاريخ.

على أنه من النشاطات التى تفخر بها المخابرات العامة، دورها فى الحرب الاقتصادية فى كثير من دول أفريقيا، التى كانت معرضة للاستعمار الاقتصادى الإسرائيلى، إذ نجحت فى إبعاد هذه الدول اقتصاديا عن إسرائيل، وربطها مع حركة التحرر الأفريقى.

** دعنى هنا أطرح سؤالا أراه هاما. الناس فى مصر .. كل الناس أصبحوا ينفرون من كلمة المخابرات.. تلك حقيقة.. ربما كنتم مسئولين عنها بالدرجة الأولى؟

- المسئولية عن ذلك ذات شعب عديدة.. قد نتعرض لها فى بعض أجزاء أخرى من هذا الحوار.

هناك الأسباب السياسية التى أدت إلى التشهير بالمخابرات، وهناك الجواسيس والعملاء الذين أشاعوا عن المخابرات أشياء لم تحدث لأنها كانت وراء كشفهم، وهناك أخطاء أجهزة أخرى لصقت بالمخابرات. الناس لاتعرف بالتفصيل الأجهزة المكلفة بحمايتها، لاتعرف منها إلا المخابرات العامة. وفى ذلك مبالغة شديدة.

وفى رأيى أن توعية شعب أى دولة لمعرفة مهام ونشاط الأجهزة المختلفة فى الدولة بما لايسمح بتسرب أسرار عملها أمر حيوى لكى يدرك الشعب مسئولية كل جهاز، ومدى نشاطه فهدف هذه الأجهزة كلها حماية الوطن، والمواطن شريك فى هذه الحماية، فمثلا لو عرف ما قد يدمره جاسوس أو عميل نتيجة تسليم قصاصة من الورق إلى مخابرات دولة معادية. قد تؤدى لقتل آلاف من إخوته فى الحرب أو قد

تدمر اقتصاده لكانت عينا كل مواطن مفتوحة على كل جاسوس وعميل، ويمكن بذلك أن يلعب دورا كبيرا ويحمل عبئا ضخما عن كاهل رجال مقاومة التجسس

إن من بين أساليب المخابرات المعادية أن تبث فى داخل أرض الوطن بواسطة عملائها كراهية الشعب لأجهزة الأمن حتى يضعوا حاجزا بينهم، وبذا يفسح المجال للعملاء والجواسيس لكى يرتعوا ويحصلوا على مايريدون.

** سؤال آخر يدور هنا . عن مهمة المخابرات . مهمتها حماية مَنْ : الوطن أم النظام السياسى القائم فيه؟ وبمعنى آخر: هل هى عين المواطن أم عين الحاكم؟

ـ إذا نظرنا نظرة موضوعية فإنه يمكننا أن نقول أن النظام الحاكم فى أى دولة هو الممثل الشرعى أمام دول العالم . وهذا النظام يختلف من دولة لأخرى.. فهناك النظام الرأسمالى. أو النظام الشيوعى، ونظام الحزب الواحد، كما هو واقع فى كثير من الدول النامية.. النظام يقوم على أساس مؤسسات وأجهزة .. الجيش المؤسسة السياسية والاقتصادية والشعبية.. وأجهزة الإعلام جميعها من بين هذه المؤسسات .

النواحى التنفيذية وأعنى بها «الأمن» فهى من اختصاص أجهزة الشرطة وأجهزة الأمن الأخرى.

نشاط المخابرات الأساسى هو . الحماية.. يشمل مراقبة نشاط للأعداء فى الخارج. ومتابعة نشاط الجواسيس فى الداخل والا فما فائدة التنظيمات السياسية والمؤسسات والوزارات.. الخ..

فمثلا.. قانون المخابرات العامة .. الذى كنت أعمل على أساسه صدر من مجلس الأمة ، وينص على أن من بين مهام المخابرات .. حماية نظامها الاشتراكى.. دعنى أتساءل.. من هم أعداء النظام الاشتراكى، ومن هو عدونا الأساسى.. إذن، لقد أصبح من واجبى فى خدمة الأمن القومى للدولة بموجب القانون الذى آقره ممثلو الشعب فى مجلس الأمة أن أحمى أرض الوطن من أعدائه . وأن أحمى النظام الاشتراكى، وهنا لاتكون المخابرات عينا ولا أذنا للحاكم، بل عيناً وأذناً للوطن الذى ارتضى النظام الاشتراكى..

** إن هذا يطرح سؤالا آخر عن وسائلك لحماية النظام الاشتراكى؟

- قبل أن أجيب عن هذا السؤال.. لابد أن أوضح نقطة هامة وهى أن ثمة فارقا كبيرا بين الأمن القومى للدولة، وأمن الدولة.

الأمن القومى فى دولة ما، كما أوضحته فى كتابى«حرب العقل والمعرفة» هى تلك الجهود الضخمة الجبارة، التى يبذلها جهاز الدولة ككل، ابتداء من رئيس الدولة فى القمة إلى الجندى فى وحدته، والعامل فى مصنعه، والفلاح فى حقله، لتحقيق سلامة الدولة، ورفاهيتها وهيبتها، وهى كما بينت جهود متنوعة سياسية واقتصادية وعسكرية، بل ونفسية وغيرها .

إن الأمن القومى للدولة فى كلمات موجزة «مجموعة المصالح القومية بدولة ما» ومن ثم فإن مفهوم الأمن القومى يشمل مجموعة كبيرة من الاجراءات السياسية والعسكرية والاقتصادية والسيكولوجية، والعمل السياسى والأمن الداخلى وغيرها

ولذلك يجب أن نفرق بين الأمن القومى، الذى هو مسئولية كثير من المؤسسات والتى يرأسها رئيس الدولة. وبين دور المخابرات فى هذه العملية التى تشترك فيها كجزء من ناحية المعلومات والتقييم بالإضافة إلى النشاط الخاص بمواجهة المخابرات المضادة، وهو يتعلق بمقاومة نشاط مخابرات العدو، أو مايسمى بمكافحة التجسس .

ومقاومة التجسس هى المرحلة النهائية من عملية الأمن، إنها جميع الإجراءات الوقائية التى تتخذها الدولة للتحفظ على أسرارها لإخفاء السياسة القومية والمعلومات العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية والعلمية وغير ذلك من المعلومات ذات الطابع السرى والتى تؤثر على أمن الدولة وسلامتها. ودور المخابرات هنا ليس تنفيذيا، ولكنه يعتمد على نشر وعى الأمن لدى المسئولين فى الوزارات والمؤسسات المختلفة وبين أفراد الشعب

** اسمح لىَ أن أسألك هل إذا تحرك أعداء النظام الاشتراكى فى الداخل.. فهل هذا الأمر يعنى المخابرات.. أم لايعنيها.. وما هو نوع واجبها فى هذه الحالة..؟؟

ـ هذا يتوقف عـلى نوع النشاط.. فإذا كان نشاطا تنظيميا فهو ليـس من اختصاص المخابرات بـل من اختصـاص المباحث الـعامة، وإذا وصلـت إلينا مـعلومات بـذلك نحولها إلى جهة الاختصاص.. وإذا كانت مؤامرة لقلب نظام الحكم أو لاغتيال رئيس الدولة والحكام.. فإن رئيس الدولة كان هو الذى يحدد الجهة التى تباشر هذه العملية وبمعنى آخـر.. فقد تصل إلى رئيـس الجمهورية معـلومات عن مؤامرة فيـوكل بحث هذا الأمر إلى جهاز معين.

وقد نص قـانون المخابرات العـامة فى البنـد الخاص بمهمـتها أن تقوم «بـأى مهام أخرى تتكلف بها من رئيس الجمهورية»..

** مازال مفهوم الأمن ومكـافحة التجسس غير واضح بالنسـبة لى . فهل هناك حدود فاصلة بينهما أو خط يميز كل منهما عن الآخر . أم انهما أمر واحد؟

ـ تحدثت عن مفهوم الأمن القومى.. وللأسف هـو ليس واضحا فى ذهن الكثيرين فيخلطـون بينه وبين الأمن. ولما كان دور المخـابرات فى خطة الأمن القومـى ينحصر فى العمليـات ومكافحة التجسس، أما الأمـن فهو يتعلق بحمايـة الدولة فى الداخل. هو جزء أيضا من خطة الأمن القومـى وإذا كان اختصاص الأمن من واجب الشرطة، والأجهزة الأخرى التى تتـبع وزارة الداخلية، وأن مكافحة التجـسس تتبع المخابرات نجد أنه من الـعسير أن نضـع خطـا فاصلا بين نـشاطيهما، وإن كـان كل منهمـا يتبع جهـة مختلـفة. ونضـرب لـذلـك مثلا فـرجـال الأمـن سواء السـياسى أو الجنـائى مسئولون عن حمايـة الدولـة مـن أى نشاط فى محل عملهم، فـلو فرض أنهم فى أثناء متابعـتهم لنشاطهـم اكتشفـوا أن أحد الذيـن يتابعونهم يـقوم بأعمال تخابـر مع جهة أجنـبية فعـليهم حـينئـذ أن يبلغـوا جهاز مـكافحة الـتجسـس عن نشاطـه وتسليـمه المعلومات التى لديهم.

ومن ناحية أخرى إذا اكتشف جهاز مكافحة التجسس أن هناك آحد المواطنين يقوم بتهـريب أموال للـخارج فعلـيه أن يبلغ فـورا جهاز مكـافحة التـهريب التـابع لوزارة الداخلـية، ليتـخذ إجراءاته.. فمـثلا فى عام ١٩٥٩ وصل إلـى المخابرات تقـرير من مندوب يعمل فى مكافحة التجسس، وهو أجـنبى أن «فرانسو تاجر» باع عمارته بمبلغ

١٩٠ ألف جنيه واشترى عمارة أخرى بمبلغ ٩٠ الف جنيه، وقام بتهريب باقى المبلغ..ماذا كان دور مكافحة التجسس؟

لقد حولت هذه الأوراق من إدارة مكافحة التجسس فى المخابرات إلى إدارة أخرى فى المخابرات تسمى إدارة الأمن، وكانت مسئوليتها نشر وعى الأمن بين أجهزة الدولة، وبالتالى كان رئيس هذه الإدارة فى ذلك الوقت السيد كمال الغر، رئيس الرقابة الإدارية بعد ذلك فأرسل التقرير إلى إدارة مكافحة التهريب وانتهى الموضوع عند هذا الحد

** هل يقتصر التجسس على جمع معلومات أم يتناول الحصول على وثائق؟

ـ ٩٥٪ من المعلومات التى تحصل عليها المخابرات فى العالم تحصل عليها عن طريق الجمع العلنى للمعلومات، أى من المصادر العلنية التى سبق أن تحدثنا عنها. أما الجمع السرى للمعلومات ــ أى عن طريق التجسس ــ وهو باختصار أن يذهب العميل إلى مكان المعلومات السرية ثم يطلع عليها، أو يحصل على وثيقة منها، إما بالتصوير أو بالتسجيل الصوتى، فهو جوهر التجسس أى الجمع السرى، وهى الخمسة فى المائة الباقية هذه النسبة الصغيرة لها قيمة أكثر بكثير من المعلومات العلنية وهى تؤكدها. والتى يمكن أن يضع راسم السياسة قراره على أساسها.. ولكن هناك ثمة نقطة جوهرية وهى أنه ربما تكون هذه الوثائق مزيفة، أو مدسوسة، وهنا تظهر كفاءة المخابرات فى تحديد قيمة هذه الوثائق.

إن وسائل الحصول على هذه الوثائق متعددة للغاية، وأصبحت شيئا يسيرا مع التقدم التكنولوجى فى العالم.. ولكننى لا أستطيع ــ بالطبع ــ أن أخوض فى هذا الحديث فلكل جهاز مخابرات وسائله الخاصة.

وقد يؤخذ كلامى النظرى البحت على أنه أسلوب المخابرات العامة المصرية بحكم المدة الطويلة التى رأست فيها هذا الجهاز، وهذا غير صحيح.

** هل حصلتم على وثائق. واتضح أنها مزيفة..؟؟

ـ بدون ذكر الأماكن أو الأشخاص.. سأروى لك حادثة تدخل تحت عنوان مايسمى فى حرفة المخابرات «بإلقاء الطعم» أو «نشاط تجار الورق».

فبعض الأجهزة تحاول أن تدس معلومات كاذبة تغلفها بجزء من الحقيقة لإيهام الجهاز الآخر بصدقها، وبأنها وثيقة.

وأجهزة المخابرات فى العالم خبيرة فى مثل هذه المسائل بغية استدراج الجهاز الآخر والوقوع فى الفخ لكى يضلل هذا الجهاز عن النوايا الحقيقية لحكومة المخابرات التى دست هذه المعلومات.

أما تجار الورق فهم أشخاص لا أخلاق لهم، ووظيفتهم جمع المعلومات من المصادر العلنية ثم «فبركتها» وإخراجها فى صورة وثائق، وتقوم هذه الجماعات وهى عادة أشبه بعصابة دولية بعرض إنتاجها على الحكومات المختلفة..

إن أجهزة المخابرات الواعية سرعان ماتكتشف هذا التزييف حينما تناقش المعلومات التى حصلت عليها مع مصادر أخرى. فالمعروف فى عرف المخابرات أن الخبر لايؤكد إلا إذا اتفق عليه من ثلاثة مصادر مختلفة على الأقل .

ولنذكر واقعة حدثت معنا.. تقدم أحد العسكريين فى دولة ما إلى موظف بإحدى سفاراتنا فى الخارج، وقدم له وثيقة خطيرة تبين مخططا معاديا لمصر، وطلب ثمنا لهذه الوثيقة، وعندما وضع الأمر أمامنا للبحث ، كان هناك أحد احتمالين. إما أن نشترى الوثيقة وربما تكون مزيفة، وإما أن نرفض. وقد تكون صحيحة.

أصدرت تعليماتى بأن يدفع ٢٠٪ من المبلغ للرجل مقدما، ويسلم له المبلغ الباقى بعد فحص الوثيقة، وهذا أقرب إلى المقامرة التى هى مسألة حيوية فى حرفة المخابرات إذ لايقوم جمع المعلومات عن طريق البيع والشراء.

ولم يجد الرجل أمامه إلا أن يوافق أمام إصرارنا على أن يكون هذا هو العرض النهائى. أحضرنا الوثيقة فحصها خبراؤنا . اتضح أنها مزيفة.. ولكن بها بعض الحقائق التى أعطتها شكل الجدية.. وبالدراسة العميقة لهذه الوثيقة اتضح أنه كان المقصود بها أن يدس لنا الجزء الخاص بالمعلومات المزيفة لتضليل واضع القرار السياسى. وفعلا أرسلنا تعليمات برفضنا لاستلامها وإعادتها إلى صاحبها.

وحينما حاولت سفارتنا الاتصال بالرجل الذى سلم الوثيقة كان قد اختفى تماما من مكانه، ويبدو أنه صدرت إليه تعليمات من منظمته بالاختفاء.

** هل تقوم أجهزة المخابرات بتزييف الوثائق؟

ـ منذ وجدت المخابرات فى دول العالم.. كان التجسس على الدول الأجنبية أحد انشطتها الرئيسية. ولأبسط لك المسألة.. الجاسوس الذى يرسل ليعيش فى دولة أجنبية لا يعيش حياته كأى مواطن عادى، لأنه يكون غريبا عن هذا البلد. وقد يتحدث بلغة أخرى، وقد تكون لهجته مختلفة تكشفه، ولابد أن يبحث له عن عمل ليكون ساترا له، وإلا تسرب الشك فيه إلى أجهزة الأمن.

عليه أيضا أن يلم بعادات هذه البلاد، وأسلوب حياة الناس فيها وطبائعهم.. الخ، كما أنه معرض دائما لمراقبة أجهزة الأمن والاحتكاك بالمواطنين، خلال مباشرته حياته اليومية.. لذلك كان على جهاز المخابرات الذى يجنده أن يعطيه الساتر المناسب، هذا الساتر يتطلب أوراقا، ومستندات لاتمثل الواقع.. ومن ثم فإنه يمكن أن نحسبها بأنها «مزيفة».

فمثلا لابد للجاسوس من جواز سفر، لايمثل حقيقته من ناحية الاسم والوظيفة والبلد الذى ينتمى إليه..

فمثلا إذا أردنا أن نزرع جاسوسا فى إسرائيل، ليس معنى ذلك أن نستخرج له جواز سفر مصريا أو عربيا نذكر فيه اسمه الحقيقى. فذلك يجعله موضع الشك..

فى هذه الحالة نعمل له ساترا فنستخرج له جواز سفر من إحدى الدول التى لاتشك فيها إسرائيل، ثم توضع له خطة ساتر. كأن تنشأ له قصة حياة سابقة وهمية، فإذا كان لم يعش فى هذه البلاد فإنه يرسل إليها ليعيش فيها، ويتعرف على أهلها، ويعرف طبائعهم ويصادق بعض الناس بها، ثم تستكمل قصة الساتر ببعض الأوراق . مثلا يوضع ضمن أوراقه بقية من تذكرة سينما، وأكثر من تذكرة أتوبيس، أو المترو، وخطاب مرسل إليه على هذه البلدة. ويستمر فى تدريبه على هذه القصة.. وإذا وصل إلى مكان عمله وبدأ العمل، وحاول رجال مكافحة التجسس تعقبه، فإن هذه المسائل كلها تبعد الشكوك عنه، وإذا ما استجوب فإنه يستطيع أن يرد على الأسئلة دون تردد عن طريق ما تم تدريبه عليه أثناء خطة الساتر.

هذا النوع . إذا أردت أن تطلق عليه كلمة تزييف.. فهو أسلوب تستخدمة كل أجهزة المخابرات فى العالم، فتحاول كل منها أن تدس للأخرى معلومات زائفة.. مغلفة بجزء من الحقيقة، فمعركة المخابرات هى معركة عقل تستخدم فيها كل القدرات الذهنية، والعقلية لكى يضلل كل جانب الطرف الآخر، وهى مهمة شاقة.. ومريرة.

** مكاتب الأمن التى أنشئت داخل بعض الوزارات والمؤسسات والشركات ماذا كانت مهمتها؟ وما هى صلتها بالمخابرات؟ .. وهل كانت تكتب تقارير عن المواطنين؟ وهل اقتصر إنشاء هذه المكاتب على الداخل؟

ـ مسئولية هذه المكاتب ، أمن تلك الإدارات أو المؤسسات ، وتنفيذ تعليمات الأمن المستديمة والدورية، وهذه التعليمات تضعها المخابرات حسب خطة ويدخل فى واجب هذه الإدارات أمن المبنى، ومراقبة كل نشاط تجسسى داخل هذه المرافق

رئيس مكتب الأمن فى أى مرفق منها، يرشحه الوزير أو المدير المختص فى المرفق، وتقوم المخابرات بالموافقة عليه بعد التأكد من صلاحيته، إنه موظف فى المرفق يمكن لوزيره أو رئيسه المباشر نقله ومحاسبته، ومجازاته كسائر الموظفين، وهو يقوم بما يطلبه منه رئيسه فى عمله، وللرئيس الحق فى تغييره بعد أن يرشح آخر ليعمل مكانه، فهو أحد موظفيه المسئولين أمامه كما قلت، وليس تابعا للمخابرات، إنه فقط يتلقى توجيهاته من المخابرات فيما يختص بالحفاظ على الأمن، فمثلا عندما كانت إسرائيل تقوم بعمليات التخريب عن طريق إرسال الطرود أو الخطابات الناسفة، وزعت المخابرات نشرة وعى على المكاتب تبين هذا النشاط، وكيفية التعامل مع الطرود الواردة من الخارج، وضرورة الكشف على الخطابات المشتبه فيها، بواسطة الأجهزة الفنية.

إن هذه المكاتب لاتقدم أية تقارير إلى المخابرات إلا إذا اكتشفت أن هناك نشاطا هداما، أو معاديا، ويتم ذلك بعلم الوزير أو المدير المختص..

بقيت النقطة الثانية من سؤالك حول أمن السفارات ومؤسساتنا الاقتصا والاستشارية فى الخارج وهذه أيضا لها احتياطات أمن وتعليمات ترسلها المخابرا عن طريق وزارة الخارجية لتنفذ هناك . ولوأننا قارنا هذه الإجراءات بما تتخذه بعض الدول الكبرى لوجدنا أننا متساهلون إلى حد ما فى إجراءات الأمن فهذه الدو تعمل على أن تكون سفارتها أو منشآتها اشبه بقلعة ذات اكتفاء ذاتى فلا يدخلها ـ استثنينا المناسبات الاجتماعية ـ إلا قليل من الغرباء ، فهم يدربون موظفيهم عا القيام بكل الأعمال على قدر الاستطاعة ـ حتى عمليات إدارة البيت الصغيره م اللحام والسمكرة والكهرباء، يقوم بها هؤلاء الموظفون، ويجب ألا نسخر من ه الاحتياطات الخاصة بالأمن، كما أننا لسنا فى حاجة إلى أن نحول سفاراتنا إلى قلا ولكن ما أعنيه أن أمن هذه المنشآت يتطلب إعداد خطة شاملة لتغطيته، والأحدا الغريبة التى تنشرها صحف العالم من اعتداءات على السفارات توجب اتخ إجراءات أمن تحمى رجالنا الدبلوماسيين داخل السفارات وتحمى أيضا ما بها م وثائق وأسرار.

** هناك قضية هامة.. لابد من مناقشتها بصراحة، هى قضية حرية المواطن أين تقف المخابرات من هذه الحرية. . أو بمعنى آخر ماهو مفهوم حرية المواطن من وجهة نظر المخابرات؟

- إنها فعلاً قضية هامة.. ولكن لنبدأ بأرضية نظرية سريعة.. الواقع أن هنا اجتهادات ونظريات تعبر عن مدى السرية التى يجب أن تتميز بها أعمال المخابرات.

هناك من يقول أنه يجب أن يعرف المواطن الحقيقة بأكملها حتى عن أوسع أجهز الدولة وأهمها . ولم يخل أى جهاز فى العالم من نقد أو هجوم، سواء من الصحاف أو من المواطنين، إننا لاننسى الهجوم العنيف - فى الستينيات - على المخابرات المركزي الأمريكية التى وصفها كتاب الغرب بأنها «حكومة خفية أو مستترة» تمثل أحيانا أهمي قصوى فى رسم السياسات والاستراتيجيات

وفى الدول الشيوعية.. حيث تفرض سرية شديدة على هذه الأجهزة، فإنه من الصعب على الشعب وعلى كثير من أعضاء الحزب أن يعرفوا الكثير عن جهاز أمن الدولة.

وأخرج لنا كثير من كتاب الغرب مئات من الكتب والمطبوعات . عن المخابرات معظمها مبنى على التكهنات، وقصور الفكر أو الخبر، لذلك خرجت مشوهة لرسالة المخابرات.

وفى مصر اتهمت المخابرات العامة ــ يوما ما ــ بأنها كانت دولة داخل الدولة. وأطلق عليها دولة المخابرات . ويرى الكثيرون أن المناقشة العلنية لموضوع المخابرات أمر يضر بمصلحة البلاد، السناتور الأمريكي «هنرى جاكسون» قال ذات مرة : أنه يجب ألا تناقش التفصيلات الخاصة بالمخابرات فى «الكونجرس» لأن هذا يؤدى دون قصد إلى إفادة العدو ومساعدته .

والرئيس الأمريكى الراحل «كيندى» قال فى رسالة وجهها إلى«الكونجرس» عام ١٩٦١ : «أن المخابرات موضوع لاتفيد فيه المناقشة العلنية».

ولكي نعرف حدود الحرية يجب أن نتبين كيف يقاس نشاط المخابرات، وإلى أى مدى يمكن أن يقاس هذا النشاط، وهل من حق الدولة أن تحاسب المخابرات على أسلوب عملها، ونتائجه. والواقع أن ذلك أمر صعب، فبأى معيار مثلا يمكننا أن نحكم على النتائج غير مرئية لدور المخابرات فى العمليات السياسية، بأى معيار مثلا يمكن أن يقاس النشاط غير المرئى للمخابرات فى أزمة لبنان سنة ١٩٥٨ أو فى حرب اليمن، أو الكونغو، أو تحرير اليمن الجنوبية ودول الخليج العربى.

** إن هناك عددا من الأسئلة لابد أن يطرح هنا.. هل من الممكن أن تكون هناك رقابة جماهيرية على أعمال ومهام تتطلب السرية؟

ــ فلنسأل هل من حق المواطنين أن يعرفوا أسرارا قد تضر الأمن القومى إذا تسربت للعدو، وهى أسرار لاتقل قيمة ـ إن لم تزد ـ عن أى سر من الأسرار العسكرية، ويجب أن تحفظ فى خزائن ولا يلم بها إلا فئة من المسئولين عن الأمن القومى للدولة . ؟

لقد اختلط نشاط المخابرات بأنشطة أجهزة الدولة الأخرى التى لم يكن للمخابرات بها أى علاقة أو ولاية أو وصاية مثل المخابرات الحربية والمباحث العامة، والمباحث الجنائية، والشرطة العسكرية والرقابة الإدارية، ومن الطريف أننى فى احدى مناقشاتى مع أحد المثقفين البارزين عن موضوع المخابرات وعلاقاتها مع باقى الأجهزة، وجدت أن الصورة لديه حول هذا الموضوع هى أن المباحث الجنائية ليست سوى الجهاز التنفيذى للمخابرات. واستغرقت ساعة ونصفاً أصحح له سوء فهمه وإذا كان هذا تفكير بعض المثقفين فإنه يمكن أن تختلط كل هذه الأنشطة فى ذهن المواطن، هذه الأجهزة تحتك بالمختصين بأمن الدولة من المواطنين، لقد لصقت فى أذهان المواطنين الذى يتعرضون لإجراءات أمن من هذه الأجهزة ، مع صورة واحدة. هى صورة المخابرات، وهكذا انتشرت شائعة بأن المخابرات تحد من حرية المواطنين، وتراقبهم وتتجسس عليهم مع أنها فى الواقع بعيدة كل البعد عن هذا العمل. إن الانسان السليم لايهمه حتى أية إجراءات أمن تتخذها هذه الأجهزة البعيدة عن المخابرات.

إن الذين يبثون الإرهاب فى نفوس المواطنين هم فئة واحدة، العملاء. لأن المخابرات هى عدوهم الأول الذى يكشفهم، لذلك فإن همهم الأول هو تخريب هذا الجهاز وتدميره حتى يصبح غير قادر على نشاطه الإيجابى، من جمع معلومات عن العدو، ومقاومة أجهزة المخابرات المعادية فى الخارج..

لقد حدث ذلك فى اليابان ــ مثلا ــ كان جهاز المخابرات اليابانى المسمى «بالكامبتاى» من أقوى الأجهزة فى ميدان التجسس والحصول على المعلومات، تعرض هذا الجهاز قبل الحرب العالمية الثانية لعمليات تخريب، ووجه للعمل فى داخل اليابان، ولهذا حينما جاءت الحرب العالمية الثانية، كان الجهاز ضعيفا لمواجهة أنشطة المخابرات المعادية فى حرب عالمية شاملة.

المخابرات المصرية لم تتعرض لأى مخلوق . لم تحد من حرية أى مواطن الشخصية جزافا أو بناء على رأى أبداه

* امتد بنا الحديث طوال جلسات عديدة إلى دور المخابرات العامة وأعمالها.. ولكننا نريد أن نخرج قليلا من الإطار النظرى إلى الواقع . وهنا لابد من طرح عدة أسئلة حول علاقة المخابرات بكثير من الأجهزة التنفيذية.. والتشريعية.

ـ الواقع أن الإجابة على هذا السؤال لابد أن تتضمن جانبا يمكن أن نعتبره نظريا .لأنه يتصل بهذه العلاقة فى دول أخرى، فإن علاقة المخابرات بالسلطة التشريعية تختلف وفقا لنظام الدولة السياسى

ففى الأنظمة الشيوعية، يكون الحزب مرتبطا ارتباطا وثيقا بنشاط المخابرات، أى منغمساً فى تفاصيلها، ومن ثم تصبح هنا خاضعة للحزب، وجميع موظفيها أعضاء فى الحزب الذى هو السلطة العليا، وليست السلطة التشريعية

أما فى الديمقراطية الغربية فالمخابرات تخدم حزب الأغلبية، أى الحزب الذى يحكم، ولذا تجد على سبيل المثال، أن أجهزة المخابرات الأمريكية تقوم فى فترة الانتخابات الأمريكية بإمداد الرئيسين المتنافسين فى الحزب الديمقراطى أو الجمهورى بكل ما يجرى فى تلك الفترة. حتى يكون الرئيس المنتخب فى الصورة الكاملة، حينما يباشر سلطته، ورئيس المخابرات الأمريكية هنا مسئول أمام الكونجرس، وتخضع الخطوط العريضة لنشاط المخابرات المركزية للرقابة البرلمانية، وقد حدثت مناقشات عديدة حول أحقية الكونجرس فى الدخول فى التفاصيل الخاصة بالمخابرات، وأخذت الأصوات فى عدة مناسبات، ولكن فاز الرأى الذى يقول بعدم التدخل فى تفاصيل هذه الأعمال بأغلبية فى مناسبات عديدة، فقد قرر الأعضاء أن ذلك يؤدى إلى إفشاء أسرار الدولة، ولن يستفيد منه غير العدو، كان الحل للتغلب على هذه المشكلة بإنشاء لجنة صغيرة تختص ببحث أمور المخابرات وأعمال الرقابة.

ونحن فى مصر يختلف وضعنا عن هذا وذاك، فليس لدينا حزب واحد، وليس لدينا حزب أغلبية يحكم، والاتحاد الاشتراكى كان يمثل تحالف قوى الشعب العاملة، وهو ليس حزبا.. فى مثل هذا التحالف تتباين الأفكار والميول والاتجاهات، وتختلف. هناك إذن كثير من الاتجاهات بين الأعضاء، وحتى إذا كان هناك التزام فهو فى الخطوط

العريضة. ولقد ظهر ذلك واضحا فى التجربة التى عشتها إذ كان الالتزام اسميا وعلى الورق فقط أكثر منه عقائديا.

ومجلس الأمة كان ينبثق عن هذا التحالف العريض، ولما كانت المخابرات لايسمح لها بالعمل السياسى، وليس لافرادها حق الانضمام إلى التنظيمات السياسية بموجب القانون، بل حقهم فى هذا الصدد مقصور على التصويت فى الانتخابات العامة والاستفتاء على رئيس الجمهورية، وذلك لكون المخابرات العامة هيئة مستقلة بحكم تكوينها القانونى الذى نص عليه قانونها. بهذه الصورة أصبحت هناك فجوة بين هذه السلطات، وبين المخابرات إذا لم يوجد نوع من الشك والتشويش، من هنا يكون خطيرا أن تطرح أعمال المخابرات بصورة مطلقة على المجلس النيابى .

وهناك مثل قريب من ذلك فى قضية مصطفى أمين عندما قام بتجنيد عضوين من مجلس الأمة لجمع معلومات عن لجان المجلس وإمداده بها.

إن ذلك لابد أن يدفعنا إلى تصور خطورة تسرب الأسرار خارج المجلس إذا ما نوقشت فيه أعمال المخابرات.

وفى رأيى أن الرقابة يمكن أن تتحقق بتشكيل لجنة برلمانية من المجلس تباشر أعمال الرقابة، وألا تطرح معلوماتها وأعمالها الا وفقا لما تراه السلطة التنفيذية المسئولة عن السياسة الخارجية والداخلية.

وهذا ليس بمستحدث وليس ابتكارا وإنما تستخدمه الدول الكبرى التى عانت من إفشاء أسرارها

وحقا فإن المخابرات العامة تعمل وفقا لقوانين أصدرها مجلس الأمة، - مجلس الشعب فيما بعد- ولكن لو كان رئيس المخابرات مسئولا أمام مجلس الشعب لتهيأت الفرصة لتوضيح أى أمر قد يستغل فيما بعد كأداة للتشهير .

ولقد كنت أتمنى أيام كنت رئيسا للمخابرات أن أكون مسئولا أمام البرلمان، بل طلبت أن تشكل لجنة من مجلس الأمة للتحقيق فى الاتهامات التى ألقيت عليّ جزافا

وبعد تقديم استقالتى المسببة فى ٢٦ أغسطس ١٩٦٧ ذكرت فى رسالتى إلى السيد محمد حسنين هيكل التى طلبت نشرها فى الأهرام وجهة نظرى فيما يختص بهذا الأمر .

** إذا كان مصطفى أمين قد استطاع أن يجند اثنين من أعضاء مجلس الأمة كما ذكرت فكم عضوا جندتهم فى المخابرات؟؟

ـ هذا من وجهة نظرى يعد اتهاما لا سؤالا، فليست المخابرات فى حاجة إلى تجنيد أى عضو من الأعضاء، إذ أنها جهاز من أجهزة الدولة، والصورة لديها كاملة عن الطريق الرسمى، فهى تستطيع بالوسائل القانونية والشرعية أن تطلب أية أوراق أو محاضر من أجهزة الدولة جميعها. إذ أنها ـ عن طريق آخر ـ تخدم هذه الأجهزة كلها.

أما الآخرون. فإنهم يقومون بذلك للحصول على معلومات ممنوعة عنهم لخدمة أهداف أخرى لمصلحة دول أجنبية.

** ألم يكن هناك أى ارتباط بين مجلس الأمة والمخابرات؟؟

- فى الواقع لم يكن هناك أى ارتباط، ولكنى أرى لو رتبت لأعضاء مجلس الشعب، زيارات للمخابرات يطلعون فيها على أمور كثيرة من نشاط المخابرات التى لاتؤثر على إفشاء الأسرار وهناك الكثير من ذلك.. لكان هذا أفضل

لو تمت هذه الزيارة لتهيأت علاقة طيبة تجعل أعضاء مجلس الشعب يتفهمون رسالة المخابرات، وهم بدورهم يستطيعون أن ينقلوا ذلك لممثليهم من الشعب، وبذلك نستطيع أن نبث وعى الأمن، ومفهومه بين أفراد الشعب، وهو أمر حيوى إذا ما شارك المواطنون فيه.

** وبالمناسبة ما هى علاقتكم بالتنظيم الطليعى الذى أقامه عبد الناصر داخل الاتحاد الاشتراكى؟

ـ لم تكن لنا أية علاقة به، فهو جهاز سياسى، وأعضاء المخابرات ممنوعون من الاشتغال فى العمل السياسى.

** وعلاقاتكم بالقضاء؟؟

ـ لم يكن لنا ـ أيضا ـ أية علاقة بالقضاء، إلا فيما يختص بقضايا التخابر والتآمر، وهذه علاقة قانونية، إذ تقوم المخابرات وهى جهاز الكشف بإبلاغ النيابة العامة لاتخاذ الإجراءات القانونية نحو المتهمين الذين تكتشفهم المخابرات.

وتقوم النيابة بدورها من قبض وتحقيق ، وتصرف سواء بالإحالة إلى المحاكمة أو الإفراج.

** هل هناك أشخاص قبض عليهم فى قضايا أعدتها المخابرات وأفرج عنهم؟؟

ـ بالطبع، هناك الكثيرون، كانت النيابة تفرج عنهم إذا لم تجد الأدلة الكافية من وجهة نظرها. ولديك مثل فى قضية مصطفى أمين، قبض على اثنين من الصحفيين والسائق الذى كان قد نقل الأوراق المهربة وطباخه ومساعده، الذى كان يعد الجلسات «لبروس أوديل تايلور» وقد أمرت النيابة بالقبض عليهم، وأفرجت عنهم بعد التحقيق معهم، وفى كل القضايا أمثلة لذلك، بل إن هناك من قدمتهم النيابة للمحاكمة وبرأهم القضاء وهذا يوضح أن مهمتنا تتعلق باكتشاف الجريمة .أى أننا جهاز بحث واستقصاء.. لانحاكم.. ولانحكم.

** وعلاقة المخابرات بالصحافة؟؟

ـ ذكرت لك أن الصحف تعد مصدرا من المصادر الرئيسية لأى جهاز مخابرات فى العالم سواء الصحافة المحلية، أو العالمية، وكذلك وكالات الأنباء والإذاعة والتليفزيون والكتب والمجلات. والدوريات وغيرها..

وتستخدم مخابرات الدول الكبرى الصحافة كمنظمات ساتر، وتلجأ بعض الدول إلى استخدام المكاتب الصحفية فى خارجها لخدمتها .

أن ما يهم المخابرات هو سيل المعلومات التى تتراكم من صحف العالم. وتصبح أشبه بتل من الرمال، وعلى المخابرات أن تنتقى من بين هذا التل بضع حبات من الرمال، وذلك عن طريق الجمع والغربلة والتحليل والتبويب، وهى مهمة شاقة للغاية. ولكن هذا الجهد لايضيع هباء إذ من حبات الرمال القليلة هذه قد تحصل

المخابرات علـى معلومات، يكون لـها تأثير كبير عـلى واضع القرار السيـاسى، أما ما يردده البعض من أن المخابـرات تتجسس على صحفيين، أو تراقبـهم فهذا يدخل فى مضمار الحرب النفسـية.. فالصحفى ــ قبل كل شىء ــ مواطن كـبقية المواطنين. فإذا لم يتورط فى تخابر أو تجسس أو تآمر، فليس هـناك مجال لمراقبته أو تتبعه كأى مواطن عادى.

** يتردد فى كل مـؤسسة صحفية، أن عددا مـن الصحفيين جندتـهم المخابرات لمعرفة أخبار زملائهم وكتابة تقارير عنهم؟

ــ لايهم المخابـرات التجسس على الصحـفيين بقدر ما هم أفراد ذوو قيـمة كبيرة فى الحصول على معلومات خارجية تفيد بلدهم، أى أنها تتعاون مع بعض الصحفيين بإمدادها بمعلومات عن الدول الأجنبية بحكم عملهم أو موقعهم. والغريب أن الذين يتهمـون المخابرات الآن بالتجسس عـلى المواطنين، هم الذيـن تطوعوا بأنفسهـم لنقل أخبـار زملائهم الـصحفـيين إلى رئيـس الجمهوريـة السابـق ويقف علـى رأس هذه الجماعة السيد مصطفى أمين الذى كان يتصل يوميا بالتليفون قبل أن ينبذه عبد الناصر لينقل إليه أدق أسرارهم الشخصية

** هناك جزء آخر من عـلاقة المخابرات بالصحف، هو تلك الـصحف الخارجية التى كانت تمولها المخابرات..؟

– كل الدول يكون لها صحف فى الخارج تدعم خطها السياسى، فمثلا فى بيروت لايخفى أن هناك عـدة دور صحف معروفة تقوم بتمويـلها دول أخرى، وفى الحرب الباردة الـتى كانت تـدور فى الستيـنيات، لجأت دول مـختلفة إلـى تدعيم بـعض هذه الصحف. وقد قامت مصر بهذا التدعيم بواسطة أجهزة المخابرات.

** تعرضـت التورة لمؤامرات عـنيفة وقـاسية من الداخـل والخارج .. وأذكر أن عبد الناصر قال أنه أمضى أغلب سنوات الثورة فى خندق يحمى الثورة من مؤامرات أعدائها فى الداخل والخارج.. هل يمكن أن نلم سريعا ببعض هذه المؤامرات، وتشرح لنا دور المخابرات العامة فيها ؟

ــ الـثورة أمل الأغـلبيـة فى حيـاة أفضل بـعيـدا عن الاستـغلال، محـققة الـعدل

الاجتماعى إذا تصورنا الثورة هكذا، فإن الاغلبية تكون معها، والأقلية ضدها، هناك القوى صاحبة المصلحة فى الثورة والقوى التى أضيرت من الثورة.. هذه القوى القليلة التى أضيرت، هى التى كانت تحكم قبل الثورة، بالمال وبالسلطان، وبمعاونة الدخيل الأجنبى، إذن فالبديهى أنها ستحاول ما وسعها الجهد للانقضاض على الثورة وهذه مشكلة أى ثورة، ولقد كانت ثورتنا سلمية، تركت كل القوى القديمة تعيش فى سلام، وربما تكون قد جردتها من سلاح المال، ولكن ذلك قصاص اجتماعى، فهو حق وعدل من أجل الشعب، وربما تكون قد اتخذت إجراءات استثنائية وهو شىء طبيعى لأى ثورة قامت فى التاريخ. حتى تحمى الثورة نفسها

ومن البديهى أن تحاول بعض هذه القوى أن تتآمر لاسترداد نفوذها ولذلك فقد تعرضت الثورة منذ يومها الأول لمؤامرات داخلية وخارجية عديدة.

وكان لهذه المؤامرات أثر كبير على حركة الثورة السريعة نحو التنمية وتنفيذ أهدافها، كان أمن الثورة فى المقدمة، فإذا ما ضربت الثورة ضاع كل شىء المؤامرات الخارجية موضوعها طويل طويل يحتاج إلى وقت، وإلى كتب . إننى أعتقد أنك تقصد بسؤالك المؤامرات الداخلية..

كانت هناك مؤامرات داخلية . نعم، بما فى ذلك عمليات التخريب الإقتصادى الذى يؤثر على التنمية .

منذ البداية واجهت الثورة قضية تخريب مصنع نسيج كفر الدوار . كان وراءه استفزازات الرأسمالية المستغلة، التى أحست مبكرا بخط الثورة..

بعض صغار ضباط البحرية جندهم أحد أفراد الإخوان المسلمين بالإسكندرية اسمه مصطفى فهمى.

مؤامرات خفية قامت بها بعض عناصر من الأحزاب المنحلة. ولكنها لم تتبلور فى صورة تنظيمات لقلب نظام الحكم.

سنه ١٩٥٤ كان هناك قصة الأزمة الشهيرة.. وتحدثت عنها من قبل..

وفى نفس العـام كانت قضية الإخوان المسلـمين، ثم بعض التنظيـمات فى الجيش كقضية رشاد مهنـا، وقضية تزعمها النكلاوى. وهو ضابط كبـير فى المدرعات وقضية عاطف نصار..

هذه أمثلة بعض القضايا ولقد عالجها مجلس قيادة الثورة..

وبعد تنظيم جهاز المخابرات عام ١٩٥٤ أصبـحت المخابرات الحربية مسئولة عن أمن القوات المـسلحة وكشف أى تنـظيمات بها ولـقد اكتشفت المخابـرات الحربية التنظيم الذى كونه الضابط طارق شرف شقيق سامى شرف

وتـنظـيم عـبد الـقادر عـيد، ومـجمـوعة المـدرعات، ومـحاولات أخـرى كانـت المخابـرات الحربية تـكشفـها فى مهـدها قبـل أن يستفـحل أمرهـا. كان يتصـرف فى معظـمها عن الـطريق الإدارى وليـس بالمحاكمـة، والهدف عدم الـسماح للـعدو أن يستغل هذه المعلومات دعائيا ليوحى بأن النظام فى مصر غير مستقر

لم يكن للمخابرات العامة دخل بهذه القـضايا، القضايا التى أوكلها رئيس الدولة للمـخابرات العامـة هى قضية المـنشورات، وقضـية عبد الرحـمن مخيون.. وقـضية مصطفى أغا.

هذا بالإضافة إلى ما كلـفنا به من عمليات بحث وتقصى لعـملية ضباط المدرعات هذه هى قضايا التآمر التى أوكلت إلينا..

عشرات من قضايا التخابر والتجسس كـانت عملنا الأساسى. هذه القضايا سوف تخلد هذا الجهاز، وتضع وساما على صدركـل جندى مجهول ساهم فى هذه المعركة الشرسـة التى خاضـتها مخـابراتنا ضـد مخابرات الـعدو الرئيـسى إسرائيـل ، وضد مخابرات بعض الدول المعادية.

* ننتقل إلى تفاصيل هذه المؤامرات..

ـ لابد مـن كلمة أولا أعتـقد أنها ضروريـة، فهى لازمة قـبل الحديث عن قـضايا التآمر كما تريـد الكلمة هى تأكيد بأن جهاز المخابـرات . جهاز وطنى لاشرقى ولا غربى، والدليل.. أنه فـى الوقت الذى أمسكنا فيه قضية تجسـس المخابرات الأمريكية

نـتابع قضية شـرقية تعمـل لحساب الصين الشـيوعية، وقد ثـبت أن المتهمين فـيها
وا آلاف الجنيهات من سفارة كوريا لمساعدة نشاط التنظيم.

** أعود إلى سؤالى عن تفاصيل هذه المؤامرات؟

ـ سوف أتحدث عنـها بالتفصيل.. بعد أن شـوهت الحقيقة فيها وتحـدث عنها من
لمون بـكلام مشوه.. حقيقة أنـا لم أكن أريد الحديث عن مثـل هذه الأمور ولكن
ا تحدث عنهـا البعـض بشكل خـاطئ ليـخدم مخطـطا تآمـريا.. فلا مفـر إذن من
ث.

ود إلى الوراء . إلى عام ١٩٥٦ وما قبلها كان هنـاك تنظيم سياسى داخل الكلية
بة يشرف عليه السيد/ إبراهيم الطحاوى أطلق عليه تنظيم حماية الثورة

ان عبد الناصـر على علم بهذا التنظيم يـشجع قيامه، اكتشف عبد الحـكيم عامـر
ود التنـظيم مــن خــلال لقــاءات الطـلاب الدائمــة بالـسيد الـطحاوى بـعد
نهم.

دت خلاف بـين عبد الناصـر وعبد الحكيـم حول هذا الموضوع، كـان رأى عبد
م أن يبـتعد طلاب الكلية الحربيـة عن العمل السياسى. وحـسـم الأمر بحل هذا
م.

الستينيـات ــ لا أذكر الآن التاريخ بالضبط ــ ذهب اثنان مـن الضباط أحدهما
ـ ألحـق فى وظيفة مدنـية، وأبلغا عبـد الناصر أن جزءا مـن هذا التنظيـم القديم
يعمل وأنه يمارس نشاطا مناهضا. وأعـطياه أسماءهم وهم الرواد والنقباء حسن
، عـبد الجـواد، خـالـد علـم الدين، عاطف عـرفة، وعـلى عطـية.. استـدعـانى
ـاصر، وطلب منى بحث هـذا النشاط. لم يكن تحـقيقا.. ولكنه كان اسـتفسارا
الحقيقـة ومن الأشخاص أنفسهم، وفى نـفس الوقت طلـب عبد النـاصر من
بدران أن يرسل لىَ هؤلاء الضباط بحيث يكون استدعاؤهم عن طريقه.

ـر الضباط إلـى مكتـبى، والتقـيت بكـل منهم عـلى انفـراد، اتضحت أمـامى
ة كاملة.. مجموعـة من الضباط الوطنيين، يجلسون معا أحيـانا، تجمعهم أفكار

التنظيم القديم يتكلمون كأصدقاء يتبادلون الرأى. وليس هناك ضرر على أمن الثورة من أحاديثهم، تحدثت مع عبد الناصر، وأبلغته أن النبأ الذى سمعه ليس صحيحا. فهم مجموعة من الضباط الوطنيين..

قال لى عبد الناصر الأولاد امتنعوا عن الكلام بصراحة معك لأنك صديق البلتاجى.. كان حسن رفعت عبد الجواد أحد أقارب السيد محمد البلتاجى المحافظ السابق.

استأت من إجابة عبد الناصر، وقلت له. أنا أعرف حدود الواجب، وحدود الصداقة، وأعرف كيف أفرق بينهما . وهذا هو رأيى على كل حال.

طلب عبد الناصر أن يعاد البحث، وأن يحضر معى السيد شمس بدران، فقبلت حتى أبعد عن نفسى أى شك

جاء شمس بدران وأجرى البحث، وكانت النتيجة أن أمر عبد الناصر بتركهم، وعلمت بعد ذلك أنهم نقلوا إلى وظائف مدنية، هؤلاء الضباط جميعا على قيد الحياة ويمكن الرجوع إليهم

قصة أخرى أرويها لك لمجرد التاريخ، وليست للفخر ــ ضابط صغير اسمه مدحت يوسف شعبان اتهمته المخابرات الحربية فى قضية طارق شرف ــ شقيق سامى شرف ــ وفصل من الخدمة أرسل لىَ وأنا فى الصيف بمدينة الإسكندرية يطلب منى معاونته فىْ السفر للخارج لتكملة دراسته، فساعدته فعلا بإحساس منى بأنه مظلوم، تصورت أنه ابنى، وذهب ــ فعلا ــ إلى لندن ودرس الهندسة وهو الآن مهندس ناجح

** والقضية الثانية. قضية «عين».. ولى وجهة نظر فيها لقد نشر حديثا طويلا فى إحدى المجلات المصرية..؟

قال أنه التقى فى المخابرات بالجنود من قوات الشرطة العسكرية الذين عذبوه وأذاع سرا هاما، هو أن القرارات الاشتراكية صدرت فى مصر بناء على إنذار من الاتحاد السوفيتى .. المهم الآن دعنى أسألك أولا، عن مدير مكتب المشير.. وكيف تآمر؟

ـــ من هو«عين» هذا.. إنه لم يكن مديرا لمكتب المشير عامر كما قال.

كان يتولى هذا المنصب بعد الثورة جمال عبد الناصر ثم عبد الحكيم عامر ثم صلاح نصر ثم عباس رضوان ثم شمس بدران، وكان هذا المكتب هو مكتب القائد العام للشئون العامة.. المسئول عن شئون الأفراد.. البعثات.. الخدمات الطبية.. سفر الضباط للعلاج. أمن القوات المسلحة وكان يتبعه إدارة كاتم أسرار، والمخابرات الحربية.. بعد تعيين عبد الحكيم عامر قائدا عاما كنت أول من تولى هذا المكتب، ثم تولاه من بعدى عباس رضوان..

ثم حدث خلاف بين شمس بدران وعلى شفيق صفوت حول هذا المنصب، فقد كان على شفيق أقدم فى الرتبة، وكلاهما من الضباط الأحرار، حسم المشير الخلاف وعين شمس بدران .

كيف جاء «عين» إلى القائد العام، نرجع إلى الوراء قليلا، عندما كنت مديرا لهذا المكتب، وصل إلى علمنا قبل حرب سنة ١٩٥٦ أن هناك مجموعة من الضباط فى مدرسة الشئون الإدارية يتجمعون لتكوين تنظيم يهاجم الثورة، ويتكون من «عين» وعلى فهمى عبد الستار سعد شحاتة. عبد الرحيم حجاج.. وضابط يدعى زياد، على حد ذاكرتى الآن .

بحثنا الأمر.. تبين أن التنظيم لم يدخل فى مرحلته الخطيرة قررالمشير إبعاد الضباط بنقلهم إلى أماكن متفرقة. فى وحدات مختلفة..

نقل «عين» الذى كان متخرجا حديثا من كلية أركان حرب إلى شرم الشيخ، وعندما نشبت حرب ١٩٥٦ وحدث بها ما حدث من مآسى. حاول «عين» أن يتقرب إلى المشير من وراء ضابطين أركان حرب هما اللواء رءوف محفوظ زكي. والعقيد حنا نجيب رزق الله، أحيل الثانى إلى المعاش.. وبقى الأول .

ووصل إلى وظيفة فى القيادة العامة للقوات المسلحة، كان شمس بدران أحدث منه فى الأقدمية، أخذ يحاول بكل الطرق أن يأخذ مكان شمس، ولكنه لم ينجح، لأن هذا المنصب لا يشغل بأمر القائد العام وحده بل كان لابد من موافقة جمال عبدالناصر، فهو منصب سياسى أكثر منه عسكرى، ولا يوضع فيه إلا من يكون موضع ثقة، ولم يكن هو من الضباط الأحرار كما لم يكن يتمتع بالثقة..

أعود إلى ماتسأل عنه حول تفاصيل ما تسميه بقضيته، هذه القضية لم يكن للمخابرات العامة دخل فيها فهى لم تكتشفها، فقد اتصل بى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وأبلغنى أنه علم من المشير عامر أن الجيش اكتشف مؤامرة لاغتياله وقلب نظام الحكم يتزعمها «عين» الذى كان يعمل مساعدا لمدير مكتب المشير، وطلب منى أن أعد مكانا فى المخابرات العامة يقوم شمس بدران بالتحقيق فيه بعيدا عن الجيش حيث إن بالمؤامرة عدداً من الضباط، وليس من الصالح أن تتناثر الشائعات حول وجود مؤامرة بالجيش..

ولا أريدأن أسترسل فى الحديث عنه، فجميع ضباط القوات المسلحة الذين عاصروه.. يعرفونه جيدا

** نعود إلى ماذكره . حول القرارات الاشتراكية فى مصر وكيف أنها صدرت بناء على إنذار من الاتحاد السوفيتى.

ـ هل تعتقد أن هذا السؤال يحتاج إلى إجابة، هل القرارات الاشتراكية التى كانت أمل الغالبية العظمى من أبناء الشعب الذين عانوا مئات السنين، تحتاج إلى إنذار من السوفيت، أو من غيرهم، ألم يكن فى ذلك الوقت كل فرد فى المجتمع يسبح بالاشتراكية وبالقرارات التى حققت العدل الاجتماعى.. ولوتتبعنا القرارات منذ بداية الثورة، لجاز لنا أن نسأل من الذى أنذر بأول قانون للإصلاح الزراعى عام ١٩٥٢، ومن الذى أنذر بتمصير البنوك والشركات الأجنبية وإنشاء المؤسسة الاقتصادية.. وفرض مجانية التعليم.. الخ.

ويقينا إننى لأعجب من هذا السفه، لأننى كنت أول من عمل مديرا لمكتب المشير عامر فى منصب لم يصل هو إليه كما أوضحت ولم تكن تناقش فى القيادة أى أمور سياسية بل كنت أعلم بها من اتصالاتى الشخصية بالرئيس عبد الناصر، وأعضاء مجلس الثورة، ولو فرض أن هذا قد حدث فإننى أعتقد أنه لا هو ولا غيره من أمثاله يستطيعون أن يعرفوا ذلك.

أما حقيقة قصة القرارات الاشتراكية فقد تمت بناء على دراسة عميقة، استمرت وقتا طويلا، وتمت فيها مناقشة واسعة، اختلفت فيها الآراء حول مدى تحديد حجم

هذه القـرارات فكان هناك من يـنادي بأن الاشتراكـية لا حدود لها ومن يـرى أن تتم على مراحل..

وفى رأيـى أن مايردده «عـين»، عن هذا الأمـر، استهـانة بعـقلية القارئ المـصرى الواعى..

أنا هنـا لا أدافع عن الاتحاد السـوفيتى ولا عن أحد غـيره وموقفى سـنة ١٩٦٧ كان واضحا.. دائما أذكر ذلك فى مجال كلمة للتاريخ.

** كانت هناك مؤامرة بعد الانفصال مباشرة، هل يمكن أن تلقى ضوءا عليها؟؟

ــ لم تـكن هنـاك مـؤامرة بعـد الانفصـال. كـل مـاحدث هـو أن منشـورا قد صدر وإصدار المنشور ليـس مـؤامـرة فالمـؤامرة لها تنظيمها والإعداد لها.. وغير ذلـك..

الذى حـدث شىء مـختـلف، فـبعـد الانفـصال مـباشـرة صدر مـنشـور يهـاجم عبدالناصر ويطالب بتغيير بعض من أسماهم بالانتهازيين

** وأين وزع هذا المنشور؟؟

ــ وزعـت منـه نسـخ بالـبريـد ومن بـين الذيـن وصلـهم جـمال عـبد الـناصـر، وعبدالحكيم عامـر وزكريا محيى الـدين، وصـلاح نصر، وعبـاس رضوان، وتوفيق عبد الفتاح..

وقد أحدث هـذا المنشور إزعاجـا لعبد النـاصر بالنسبة للتـوقيت الذى ظهـر فيه، واستطـاعت المخابرات أن تصـل إلى واحد من الذين كـتبوه، وهو داود عويـس مدير مكتب عبد الحكيم عامر وزير الحربية فى ذلك الوقت..

وفى اليـوم الذى اكتشفـت فيه المخابرات اسم هـذا الشخص، توجـه داود عويس إلى منزل العقيد أحمد علوى، وكان يعمل كاتم أسرار فى الجيش السورى، وعاد إلى مصر بعد الانفصال وأخبره عويس أنه تورط فـى كتابة منشور، وأبدى أسفه على ما قام به، وطلب منه النصح.

كانت نصيحة أحمد علوى له أن يتوجه إلى مـنزل المشير بثكنات الحلمية ويعترف له بكل ماحدث

ولكـن داود أجاب بأنه لايـستطيـع أن يواجه المشـير، وترك لأحمـد علوى مهـمة إخطار المشيـر..أخبر عويس صديقه بأن الذيـن كتبوا المنشور معه هـم وحيد رمضان. ولطفى واكد، وعـلم به محمد السقا الملـحق العسكرى فى استكهـولـم الذى كان فى أجازة وأن الذى كُتـب المنشور على الآلـة الكاتبة هو عـبد الحفيظ الشـناوى الذى كان يعمل معى فى المخابـرات. وقد كتبه فى نادى الهليوليدو، وعلـى آلة كاتبة من النادى، أمر عبد الناصر بأن تلقى النيابة القبض عليهم والتحقيق معهم

وقبض على بعضـهم، واتصل بى المشير عامر، وذكر لى أن داود عـويس منتظر أن يذهب إليه أحـد فى منزل أحمد علوى لـيأخذه، ثم أخبرنى لأول مرة أن عـبد الحفيظ الشناوى مشترك فى هذه العملية وأنه هو الذى كتب المنشور على الآلة الكاتبة

استدعـيت نائبى طلـعت خيرى، وطلبـت منه أن يحقق مـع عبد الحفيظ الـشناوى بصفته عضوا فى الجـهاز، وكان يجلس معى فى ذلك الوقت السيـد كمال أبو الفتوح المحافظ السابق .

خرج طـلعـت خيرى واسـتدعى الـشنـاوى أمام بعـض أفراد الجهـاز، وسألـه عن اشتراكه فى المـؤامرة، فاعترف، واستأذنه أن يـذهب إلى دورة المياه لأنه يحس بـغثيان فسمح له

كنت مازلت أجلس مع الـسيد كمال أبو الفتوح، وإذا بمدير مكتبـى حينئذ زغلول كامل يدخل منفعلا ليقول أن «عمر» أطلق على نفسه الرصاص.. «وعمر» هو الاسم الكودى لعبد الحفيظ الشناوى.

ثم دخل طلعت خيرى بعد ذلك، وذكر ما حدث وطلبنا كبير أطباء الجهاز المرحوم الدكتور أحمد ثروت بأمل إسعافه، ولكنه حينما حضر، وكشف عليه كانت روحه قد فاضت، واستدعـينا النيابة فورا، وحضـر النائب العام الأستاذ/ حافـظ سابق، وقامت النيابة بـالتحقيق واستدعـيت أسرته، وقام الجهاز بعـمل الترتيبات اللازمـة نحوه بعد انتهاء النيابة. وأسرة المرحوم عبد الحفيظ الشـناوى على قيد الحياة وهى تعلم تفاصيل هذه القضية .

* هناك عدد من المسائل لابد من مناقشتها بوضوح لأنها تختص بقضايا شغلت الرأى العام المصرى والعربى كثيرا.. ولأنها أيضا تمس إلى حد كبير حرية المواطن وأمنه. وأذكر هنا ثلاثة نماذج محددة لهذه القضايا .. الإخوان المسلمين والقبض عليهم.. وما أصابهم .. الشيوعيين والقبض عليهم، وما لحق بهم.. رجال الأحزاب السابقين واعتقالهم ذات مرة دون مبرر معروف

ــ دعنا نجيب عن هذه المسائل بالترتيب فلنبدأ بالحديث عن الإخوان المسلمين.. هناك قضيتان رئيسيتان للإخوان المسلمين إحداهما عام ١٩٥٤ والأخرى عام ١٩٦٥، فى الأولى كنت مازلت ضابطا فى القوات المسلحة، ومن المعروف أنها حققت بإشراف السيد/ زكريا محيى الدين، واشترك فى التحقيق بعض ضباط الثورة، وشكل مجلس الثورة دوائر لمحاكمتهم ولم يكن لى فيها أى دور. القضية الثانية عام ١٩٦٥ ، ومن المعروف أيضا أن المباحث العسكرية هى التى اكتشفتها وحققتها متعاونة مع المباحث العامة، ولم تشترك المخابرات العامة فى هذه العملية من قريب أو بعيد.

لم يدخل «إخوانى» واحد مبنى المخابرات العامة ، وليس للمخابرات العامة أدنى صلة بقضايا الإخوان أو ما يكون قد لحقهم، نحن نتحدى إذا كان دخل مبنى المخابرات العامة إخوانى واحد عام ١٩٦٥ أو قبلها .. أو بعدها..

وأذكر أنه حدث خلاف بينى وبين الرئيس الراحل عبد الناصر بخصوص قضية الإخوان المسلمين، فبعد أن قامت المباحث العسكرية بالقبض على عدد كبير منهم وإيداعهم فى مبنى الشرطة العسكرية، وبعد أيام من بداية التحقيق معهم، حدث أن اتصل بى السيد/ شمس بدران تليفونيا وأخبرنى بأن الرئيس أمر بأن تقوم المخابرات العامة بالتحقيق فى هذه القضية فرفضت

كان رأيى أن مؤامرة الإخوان لم يكن التحقيق فيها من اختصاصى. وبعد فترة لاتتعدى دقائق طلبنى الرئيس عبد الناصر على التليفون وقال لى بغضب شديد:

ــ هو أنت كل حاجة نقول لك عليها تقول لا..

كان فى مكتبى أثناء حديثى مع عبد الناصر أحد مساعدى وهو السيد/ شوقى القيعى.. أفهمت عبد الناصر أنه من الأصوب أن تستمر المباحث العسكرية فى التحقيق مادامت هى التى اكتشفت المؤامرة، وقامت بإجراء التحقيق.. وغضبت من لهجة عبد الناصر لذلك قررت الاستقالة.. وأرسلتها إليه فعلا

كان يوم خميس ظهرا حينما اتصل بى عبد الناصر، طلب منى أن أمر عليه، توجهت إلى منزله بمنشية البكرى، لم يفتح لى موضوع الاستقالة، تكلم فى أمور عديدة معى، قال لى أنه فكر ووجد أنه من المستحسن أن تستمر المباحث العسكرية فى قضية الإخوان وأن رأيى على صواب.. لم يشر إلى الاستقالة واعتبر الموضوع منتهيا..

لقد ملأ الحقد قلوب البعض فحاولوا أن يلصقوا بنا أموراً أخرى غير الإخوان مثل قضية كمشيش، وقضية كرداسة، والعالم أجمع يعلم بأن الذين قاموا بجميع ما يتعلق بهاتين القضيتين .. هم رجال المباحث الجنائية العسكرية

** والشيوعيون؟؟

ــ النشاط الشيوعى من اختصاص المباحث العامة وأقصد هنا النشاط التنظيمى لعملياتهم السرية، ولكن إذا تعدى هذا العمل إلى علاقات مع دول أجنبية مثل قضية مصطفى أغا التى كانت تدبر قلب نظام الحكم لحساب الصين الشعبية، أصبح للمخابرات الدور هنا ودخلت مضمار التخريب والتآمر، ومن هنا كانت هذه هى القضية الشيوعية الوحيدة التى كشفتها المخابرات، وقد حوكموا وأدينوا، ومن الغريب أننى في عملى عشر سنوات رئيسا لجهاز المخابرات لم يتقدم أحد ببلاغ يتهمنى بالتعذيب ويهاجمنى سوى الذين اجتمعوا فى سجن طرة لينفذوا المخطط بعد خروجهم وقد اعترف بذلك أخيرا مصطفى أمين فى كتابه سنة ثانية سجن.، حيث ذكر فى آخر الكتاب مقابلة لهذه المجموعة فى سجن طرة وتحدثوا معه أنهم عذبوا وأنهم رأوا مصطفى أمين وهو يعذب..

وقد سبق أن قدموا بلاغا عام ١٩٦٧، وأنا معتقل فى السجن الحربى، لاحول لىَ ولاقوة، بل كان يتصيد لىَ البعض الأخطاء، وحقق رئيس نيابة حلوان فى هذه البلاغات وانتهت إلى الحفظ.

** وماذا كان بالنسبة لرجال الأحزاب السابقين؟؟

ـ لم يكن لرجال المخابرات العامة أية علاقة برجال الأحزاب السابقين، ولابغيرهم فسبق أن شرحت لك أن هذا ليس من اختصاص المخابرات.

سأقص عليك واقعة أذكرها فقط للتاريخ، ليس من باب الزهو أو الفخر، حين قامت المباحث العامة بعد نشوب حرب يونيو ١٩٦٧ بالقبض على عدد من رجال الأحزاب السابقين، واعتقلتهم، علمت بهذا الأمر، وأبلغنى أيضا بعض مساعدى بذلك، وكانوا متأثرين من هذا الإجراء على أساس أنه ليس هناك داع لاعتقالهم، فاتصلت بالرئيس الراحل عبد الناصر وأبلغته بهذه القصة وأخبرته بالأثر الذى سيتركه هذا الإجراء فذكر لىَ أنه لايعلم وأنه سيأمر وزير الداخلية بالإفراج عنهم فورا وقد تم ذلك فعلا..

** ما هى علاقاتكم بفرض الحراسة على عدد من المواطنين؟

ـ لم يكن لنا أى دور فى هذه العملية وحتى لم يؤخذ رأينا فيها، نحن لم نوص بشىء سواء بفرض الحراسة أو رفعها، فهذه العملية كانت بعيدة عنا تماما، وسجلات المخابرات تثبت ذلك

** وعلاقاتكم بلجنة تصفية الإقطاع؟

ـ عينت بصفتى الشخصية عضوا فى لجنة تصفية الإقطاع بقرار جمهورى، وهى اللجنة التى كان يرأسها المشير عامر، وأعضاؤها. على صبرى وكمال رفعت وعباس رضوان وعبد المحسن أبو النور وأنا.. وشكلت اللجنة لجانا فرعية أخرى ضمت بعض الوزراء وأمين الفلاحين ومدير المباحث العامة.

ومن المعروف أن مهمة هذه اللجنة كانت بحث حالات المتهربين من قانون الإصلاح الزراعى، وتصفية ما كان يسمى بالإقطاع الإجرامى الخاص بالمهربين وتجار المخدرات، والنفوذ والسيطرة الإجرامية، وفى رأيى أن تشكيل هذه اللجنة كان قانونيا، بل إنها كانت من أنجح اللجان إذ كان بها ضمانات يمثلها رجال القضاء والإصلاح الزراعى.

كانت اللجنة تسير على أسس، وأذكر موقفا لعبد الحكيم عامر حينما عرض وة
ورثة حمد الباسل تحت الحراسة إذ قال:

- إن هذا الرجل له تاريخ وطنى يجب أن يوضع فى الاعتبار وفعلا رفع الجلد
واتصل بعبد الناصر فأقره على رأيه.. ولولا ما ارتكبه بعض أفراد الشرطة العسكر
من إجراءات عنف، وما نسب إليهم من عمليات إذلال لبعض المواطنين لكانت ه
اللجنة من أفضل اللجان التى شكلت فى ذلك الوقت .

ولاشك أن تلك الأخطاء مسحت كثيرا من الأعمال الأخرى التى قامت بـ
اللجنة فظهرت الصورة مشوهة.

إنه حتى تتحقق العدالة فقد كانت اللجنة تطلب معلومات من عدة أجهزة مختلفة
ضمانا لإعطاء الصورة السليمة، فشكلت لجان لجمع معلومات من المباحث العامة
والمخابرات العامة، والمخابرات الحربية، والاتحاد الاشتراكى، وكان أعضاء هذ
اللجان يحضرون الاجتماعات ويعرضون ماتوصلوا إليه، فإذا اختلفت الآراء كا
يطلب إعادة البحث ومحاضر هذه الجلسات مسجلة ويمكن الرجوع إليها.

وثمة قصة تبين موقفا لىَ فى هذه اللجنة فقد عرض على اللجنة نتيجة المعلومات
التى قدمتها المباحث العامة عن حالة ضابط بالقوات المسلحة هو المقدم على رحمى،
وطلب من اللجنة أن يخرج هذا الضابط من القوات المسلحة لأنه متزوج من سيد
كانت تعمل بالسلك الدبلوماسى وهى السيدة/ ميرفت التلاوى، وكل ما أخذته
المباحث عليها هو أن عمها اتهمته المباحث العامة بالإقطاع، وكان رأيى ألا يؤخذ
إنسان بجريرة أحد، وكنت أعرف أن على رحمى من أنزه وأكفأ ضباط الجيش،
فتصديت لهذا الموقف وهذا مسجل فى محضر اللجنة، وأصررت على
عدم خروجه، ولكن أغلبية الأصوات أيدت خروجه من الجيش وخروج زوجته من
الخارجية(*) . ومن الطريف أن زوجته عادت بعد ذلك إلى وظيفتها ولم يعد
زوجها.

(*) الدكتورة ميرفت التلاوى أصبحت بعد ذلك سفيرة لمصر فى طوكيو ثم أصبحت وزيرة للتأمينات
والشئون الاجتماعية فى وزارة للدكتور كمال الجنزورى

** كثر الحديث عن عمليات تعذيب متعددة قامت بها المخابرات. وهذا الحديث يطرح أسئلة مختلفة..

أولا: أن المخابرات استوردت أدوات تعذيب من الخارج.

ثانيا: أن المخابرات عذبت كثيرين من المواطنين.

ثالثا: أن عددا من رجال المخابرات وأنت منهم أمضوا فترة فى السجن الحربى قبل محاكمتهم سنة ١٩٦٧.. فهل عذبوهم؟؟

- بالنسبة للشق الأول من السؤال.. عن أدوات التعذيب التى قالوا أن المخابرات استوردتها فتلك أضحوكة. لماذا تستورد المخابرات أدوات تعذيب وهل أدوات التعذيب تستورد من الخارج وهل إذا أرادت دولة ما أن تعد أجهزة تعذيب تلجأ إلى دولة أخرى لاستيرادها، لقد كنت متصلا بعديد من أجهزة المخابرات فى العالم، وأتحدى أى إنسان سواء كانت مخابرات أو شركات أو أفراد أن يقول أن مخابرات مصر استوردت أو حتى صنعت أجهزة للتعذيب.

** الدور الأرضى فى مبنى المخابرات نشر البعض أنه ملىء بهذه الأجهزة..

- لو أننى طلبت أن تقوم لجنة فورية من مجلس الشعب وتفحص بدروم جهاز المخابرات فإنهم سوف يضعون ـ بعد ذلك ـ وساما على صدر كل رجل يعمل فى المخابرات فليس فيها أجهزة تعذيب ولكنهم سيتأكدون مما يرون من جهد المخابرات المشرف فى الميدان العلمى.

** من أين كانت تستورد المخابرات أجهزتها الفنية؟؟

- المعدات الفنية تحصل عليها المخابرات من الأسواق العالمية، وليس من دولة معينة، وهى معدات تساعد رجال المخابرات فى الحصول على المعلومات، فرجل المخابرات الذى يعين فى الخارج، ومهمته جمع المعلومات، لابد أن يكون مزودا ومدربا على أحدث ما تنتجه التكنولوجيا من أجهزة فنية، كذا عملاؤنا فى الخارج، وفى قلب إسرائيل، بالإضافة إلى الوسائل الفنية التى تلعب دورا كبيرا فى اكتشاف نشاط الجواسيس، الذين يزرعهم العدو بيننا فى الداخل، وفى هذا المقام أريد أن أنوه

عن الجهد العظيم الذى بذله بعض علمائنا المصريين وبعض المصانع المصرية بتطوير الأجهزة الفنية لتتمشى مع التطور العلمى فى العالم

** الشق الثانى من السؤال الأصلى حول مايتردد عن تعذيب المخابرات لعدد من المواطنين؟

ـ الإجابة عن هذا الجزء من السؤال بسيطة للغاية، فإن ما يخص المخابرات العامة من البلاغات ـ وعددها ٢٤٠ بلاغا ـ المقدمة من المواطنين ليست لنا علاقة بها سوى مصطفى أمين وستة من قضية مصطفى أغا الذين يدخلون فى مخطط المؤامرة التى تحدثت عنها فى كتابى، وآخر ضبط متلبسا بقتل الوزير السورى طعمة العودة الله، وحوكم وأدين وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة أما باقى البلاغات، وبها على حد ماسمعت جرائم قتل وتعذيب من الدرجة الأولى، فلا تخص المخابرات من قريب أو بعيد.

والغريب أن قضية العميل مصطفى أمين الذى أدين بالتخابر والتهريب سنة ١٩٦٥ هى التى لقيت اهتماما.. وسأتحدث معك بالتفصيل فى هذا المخطط.

لقد قدم مصطفى أمين بلاغا ـ سنة ١٩٦٨ ـ بعد أن قبض عليه ولكن النائب العام وقتها السيد/ محمد عبد السلام كتب إلى رئيس مكتب التحقيق والادعاء بمحكمة الثورة كتابه رقم ١٥٩/ ٦٨ يقول فيه بالنص: إلحاقا لكتابنا رقم ١٥٩/١٩٦٨ بشأن تجديد البلاغ المقدم من المسجون مصطفى أمين المحكوم عليه فى القضية رقم ١٠ لسنة ١٩٦٥ أمن دولة عليا وردا على كتابكم رقم ١٥٧ سرى المؤرخ ١٦ أبريل ١٩٦٨ نفيد أنه بعد مراجعة الحكم فى ضوء ماقرره المحكوم عليه فى ذلك التحقيق الأخير رأينا أنه لاوجه لإعادة النظر فى هذا الحكم ، وسنرسل لسيادتكم صورة من الحكم بعد الانتهاء من نسخه.

الخطاب بتاريخ ١٧/ ٤/ ١٩٦٨ وكان ردا على ما قدمه مصطفى أمين بطلب التحقيق فى تعذيبه.

** الشق الثالث من السؤال.. كان حول المدة التى أمضاها عدد من رجال المخابرات فى السجن الحربى حينما قبض عليهم عام ١٩٦٧ وهل عذبوا..

ـ بالنسبة لـيَ فإنني لم ألاق تعذيبا فى السجن الحربـى ولا فى السجن المدنى وإن كانت هناك بعض المضايقات، ولكن الإنسان الصلب يمكن أن يتغلب عليها

** هل معنى ذلك أنكم لم تقوموا بالتعذيب؟

ـ من السهل أن أقول لـك كلمة لا . ولكن هذه الكلمة ليست مـقنعة إن لم تثر الشك.. لكن ماقيل عن التعذيب يرجع إلى الحـرب النفسية المسعورة التى تعرض لها الجهاز سـواء سنة ١٩٦٧ لأسباب سيـاسية محضـة سأكشف النـقاب عنها قريـبا بإذن الله. أيضا يرجع إلى حملة الخونة والمأجورين في فترة السبعينيات.

وهنا نريد أن نقول أن المخابرات العامة ليـست عصابة من الأفراد تتابع المواطنين وتقبـض عليهم وتـعذبهم ليـعترفوا إنما هى جـهاز علمي. أنـشئ على أساس عـلمى مستفيدا من كل الخبرات فى الدول التى سبقـتنا، وسوف يكون لنا حديث عن الناحية العلمية عند مناقشة بعض القضايا التى تابعتها المخابرات العامة..

** بقى عندى سؤالان حول التعذيب، الأول هو مـاقيل من أنك كونت مجموعة خاصة بالتعذيب؟

ـ المخـابرات جـهاز منـظم تنـظيـما علـميـا، على أسـاس التخـصص وتـوزيع المسئـوليات علـى الأفراد كل فيمـا تؤهله قـدراته، وليست المخـابرات مجمـوعة من ضباط الجيش أو الشرطة كما يتصور البعـض ولكنها تضم كفاءات ومؤهلات علمية من خـريجي الجامـعات فى مـجالات متعـددة ففيـهم القانـونيون، وخـريجو العـلوم السياسية والآداب، والألسن، وكلية العلـوم، والمهندسون . الخ . وهنا تختص إدارتا التجسس والأمـن بمكافحة التخابر والـتآمر وهما اللتان قـامتا بجميع العمـليات التى اكتشفتها المخابرات.

وهل من المعقـول أن ينشأ قسم للتعـذيب يرأسه رئيس الجهاز وهـو بدرجة نائب رئيس وزراء وهو المسئول عن النشاطات الضخمة التى شرحتها لك.. والتى تعد هذه القضايـا جزءا ضئيلا منهـا . هل من المعقول أن يتـفرغ رئيس الجهاز هذا ومـعه نائب وزير ووكيل وزارة للـتحقيق فى بعض القـضايا ومعهم جندى الحراسـة كما نشرت بعض الصحف.

** نتنقل إلى الحديث عن السموم؟

سؤالى الأول والأساسى هو .. هل كان هناك بالمخابرات قسم للسموم.. ولماذا أنشئ.. وما هى الأعمال التى قام بها؟

ــ أقول لك نعم. كان هناك قسم للأبحاث الكيماوية والسموم والأحبار السرية، هدفه شقان:

الأول: هو إجراء أبحاث تجارب على الأحبار السرية التى يمكن استخدامها وأنواع السموم التى قد تستخدم ضد رئيس الدولة وكبار رجالها.

الثانى. هو استعمال السموم ضد إسرائيل . وهذا الشق لم يستخدم. أبدا ضد أى إنسان.. بدأ التفكير فى إنشاء هذا القسم على ضوء مسألتين أساسيتين:

الأولى: أن المخابرات الإسرائيلية أرسلت طرودا ناسفة إلى الشهيدين صلاح مصطفى ومصطفى حافظ وكانت التنبؤات تقول أن إسرائيل يمكن أن تستخدم السموم ضدنا، وينبغى مواجهة أسلوبها بالمثل

الثانية: هو ماتبين فى إحدى قضايا التجسس بأن إسرائيل جندت أحد موظفى محلات جروبى الذى كان يشرف على حفلات عبد الناصر لوضع السم لجمال عبدالناصر أو لضيوفه الذين يريدون قتلهم ولست أفشى سرا إذا قلت أن وزير الصحة المصرى حينئذ كان يشرف على هذا القسم وهو المرحوم الدكتور النبوى المهندس وقد عمل فيه أساتذة بعضهم كانوا وزراء مثل الدكتور أحمد مصطفى وزير البحث العلمى الذى عمل معنا أيام كان أستاذا والدكتور المرحوم صلاح عبدالنبى أستاذ الأمراض النفسية فى طب القاهرة والدكتور صلاح عبد التواب أستاذ الفارماكولجى، والعلماء الذين كانوا يعملون بهذا القسم مع الخبراء الفنيين من الجهاز، حضروا مؤتمرات دولية علمية على سبيل المثال مؤتمر لندن الخاص بالسموم سنه ١٩٦٣، وكان الوفد برئاسة الأستاذ الدكتور صلاح عبد النبى، والمؤتمر الثانى فى برمنجهام وكان الوفد برئاسة الدكتور صلاح عبد التواب، وكان هذا المؤتمر يختص بأثر استخدام العقاقير فى عمليات الكشف عن الكذب، ولست أفشى سرا أيضا إذا

قلت أنه كان فى منزل جمال عبد الناصر مسئول للتفتيش عما يدخل من طعام يومى للتأكد من أنه لم يدس له شيء من السموم، إذ كانت مواد الغذاء تشترى من الأسواق، وكان يقوم بذلك معمل صغير مكون من المرحوم الدكتور أحمد ثروت كبير أطباء رئاسة الجمهورية والصيدلى صلاح جبر كبير الصيادلة وطبيب آخر لا أذكر اسمه الآن.

فكيف يمكن أن يعرف هؤلاء أنواع السموم الموجودة دون أن تكون الأبحاث لديهم من جهاز المخابرات..

والطب الشرعى به نفس القسم، وأنا أتحدى أن يكون هناك أى مخلوق مصرى أو عربى أو أجنبى قتلته المخابرات بالسم فى عهد رئاستى لها. ولعل من المفيد ان تقوم لجنة ببحث تاريخ إنشاء هذا القسم وجرد كل مابه والتفتيش على دفاتره

** والملك فاروق هل مات مسموما؟

ـ فاروق مات يوم قيام ثورة يوليو ١٩٥٢، هل كنا محتاجين لجهد حتى ندبر مؤامرة لقتله، لماذا؟ وما هو الدور الذى كان يمكن أن يلعبه؟ هل يتصور إنسان فى مصر أن فاروق كان يمكن أن يعود ليحكم مصر.. إذا كان هناك من يقول أنه قتل بالسم، فليقل هذا علانية.

** الدكتور أنور المفتى. هل قتلته المخابرات بالسم؟

ـ هذا الزعم أيضا من ضمن المخطط الذى حمل لواءه حزب العملاء، وهى قصة وفقا لما سمعته وقرأته لا يمكن إلا أن تكون قصة وهمية، الهدف منها تكملة دائرة المخطط للتشهير والتضليل وكل ما أستطيع أن أقوله هو أننى أجزم بأن المخابرات العامة فى عهد رئاستى لها لم تقم بمتل هذا العمل الإجرامى لامع أنور المفتى، ولا مع غيره، وأتحدى أن يثبت ذلك على أى فرد من أفراد المخابرات فى تلك الفترة.

** تحدثت عن مؤتمرات دولية لاستخدام العقاقير فى الكشف عن الكذب .

فهل استخدمتم هذا الأسلوب.. وإذا كان لم يحدث.. فلماذا أرسلتم من يحضر هذه المؤتمرات؟

ـ هذا نوع من الأبحاث العلمية التى يجب أن تلم بها المخابرات تمشيا مع التطور المستخدم فى الدول المتقدمة، وفعلا تستخدم الدول الكبرى أجهزة كشف الكذب فى التحقيقات مع المتهمين فى جرائم جنائية، وكان لابد لنا من تطوير جهاز المخابرات بأن نقف على أحدث ما أخرجه العلم، واشترينا بعض الأجهزة، ولكن لم يسعف الوقت لاستخدامها حيث كانت تتطلب خبرات، وتكاليف كبيرة هناك مسائل أخرى أولى بها، وفي رأيى أن هذا القسم هام جدا بالنسبة لأى مخابرات. وبخاصة أن تعاملها مع الجواسيس الدوليين المحترفين الذين يكونون قد لقنوا تلقينا دقيقا من الأجهزة التى يتبعونها، عن كيفية مواجهة المحقق إذا ما وقعوا فى قبضة رجال مكافحة التجسس إذ يحاولون أن يعطوا صورة مختلفة تماما عن حقيقتهم والجاسوس المحترف أشد إجراما من المجرم العادى، الذى قد يتهم فى جريمة قتل أو سرقة أو اختلاس.

** بهذه المناسبة يتردد كثيرا أن أجهزة المخابرات تقوم بعمليات غسيل مخ. فهل يمكن أن نلم سريعا بهذه العمليات وهل استخدمت المخابرات المصرية هذا الأسلوب؟

ـ الواقع أن بعض المضلين استخدموا هذا الاصطلاح غير الواضح فى أذهان الناس كى يغرسوا فى عقولهم معلومات مضللة عن هذه العملية، وتسعفنى الذاكرة الآن بما نشر على لسان أحد الجهلاء حينما صوروا له أن غسيل الأمخاخ يتم بواسطة آلات توضع على رأس المتهم.

إن غسيل المخ اصطلاح استخدم منذ القدم فى تحويل الناس عن معتقدات معينة بجعلهم ينبذون أفكارهم القديمة بوضعهم تحت ظروف معينة يعمل فيها المخ تؤدى إلى توقف كامل ثم غرس الأفكار الجديدة التى يريدون غرسها مكانها

والحركات السياسية التى قامت باسم الدين. والتى عرفت منذ القدم استخدمت هذا الأسلوب، فمثلا استخدمت طائفة الاسماعيلية، والتى ـ عرفت باسم الحشاشين

ـ مخدر الحشيش فى عمليات غسيل المخ مع الذين كانوا يجندونهم. إذ كان شيخ الطائفة يحضر الفرد المطلوب غرس الأفكار فيه، ثم يقدم له الشاى، به المخدر وبينما يؤثر المخدر عليه، ينقله إلى مكان معد من قبل يمثل قطعة من الفردوس، خضرة . وزهور . ونساء. وخمر.. وعندما يفيق فينقل إلى الشيخ، فيسأله الفتى عما رآه، فيدخل فى روعه أنه لم ينقل من مكانه، وأن كل ما رآه هو الجنة التى وعد بها المتقون .

وحيث إن شيخ القبيلة هو وليهم فإنه إذا نفذ أوامره فسيدخل الجنة، ثم يذكر له أن الحاكم الفلانى كافر، وأنه إذا قتله سيصبح من المتقين، و بهذا الأسلوب أيضا استخدمت الكنيسة عمليات غسيل المخ فى محاكم التفتيش المعروفة، وكان الشيوعيون فى عهد «لينين» هم أول من طوروا هذا الأسلوب ليقوم على أساس علمى مستخدمين نظرية «بافلوف» الخاصة برد الفعل المنعكس الشرطى، وملخص هذه النظرية أن الإنسان والكلاب تتشابه فى ردود الفعل المنعكسة، وذلك إذا وضعت تحت ظروف معينة، وبالطبع تختلف طبيعة الإنسان من فرد إلى آخر، فمنهم الهادئ وغير المكترث، والثائر وقد استطاع «بافلوف» أن يقسم هذه الطبائع إلى أربع ويجرى تجاربه على كلابه الأربعة بوضعها تحت ظروف معينة تدريجيا

والغرض من عمليات غسيل المخ عموما هو الوصول بعقل الإنسان إلى حالة من التوقف الكامل بحيث يصبح العقل مستعدا لتلقى الأفكار التى تعطى إليه، أى أنها عملية الغرض منها غرس أفكار فى عقل الإنسان عن طريق وضعه تحت ظروف معينة، وهى تختلف عن التحول الذى يتم عن طريق الحجة والإقناع مثل ما يحدث فى عمليات التبشير، أو نشر الدعوة للأديان. كذلك أجريت أبحاث دولية على أثر العقاقير وجراحة المخ كنوع لعلاج بعض الأمراض العصبية والنفسية وهى قريبة الشبه بعملية غسيل المخ

والأسلوب الذى استخدمته الدول والجماعات واحد، وإن اختلفت فى الشكل، وأساس هذا الأسلوب هو التجويع، ووضع الإنسان تحت ظروف معينة من القلق وحبسه انفراديا . الخ.. من وسائل غسيل المخ المعروفة.

وقد تقدم العلم وجاءت التقارير تفيد بأنه استخدمت بعض العقاقير لطرد الأفكار، وفى رأيى أن عمليات الهيبيز التى انتشرت فى الولايات المتحدة واستخدامهم عقار الهلوسة هو نوع من أنواع غسيل المخ، يهدف إلى طرد القيم والمبادئ من عقول الشباب الأمريكى وبث الجريمة والانحلال فيه، ولا نستطيع أن نتصور كيف يمكن لشعب أن يتقدم وقد انتشر الانحلال والجريمة بين شبابه مهما وصل به العلم وفى رأيى أن هذا الأسلوب هو من أساليب الصهيونية العالمية إذ أن هذه العمليات أخذت تنتشر فى جميع أنحاء العالم .

نعود الآن وبعد هذه المقدمة الطويلة للإجابة عن سؤالك عن عمليات غسيل المخ، فأقول لك إننى لا أعتقد، ولا أظن أنه كان هناك داع كى نحول الناس عن معتقداتهم أو مذاهبهم فهذه ليست مهمة المخابرات

** هل يمكن أن نتحدث عن حرب اليمن ودوركم فيها.. وفى هذا الصدد فإنه يهمنى أن ألقى إجابة على عدد من النقاط بينها قصة حضور الملك سعود إلى مصر، وزيارته لليمن؟

ـ قصة حرب اليمن لايمكن أن تعطى عنها إجابة وافية فى سطور أو صفحات، فلها أبعادها السياسية والعسكرية والدولية والعربية، ولا يمكن أن ننظر إلى هذه المسألة إلا إذا تعرضت لكل هذه العوامل مجتمعة، وأعتقد أن الأوان ليس مناسبا لذلك الآن، ويكفى فخراً للمخابرات ماقاله عبد الناصر أنه لولا المخابرات العامة لما استطعنا أن نحارب فى اليمن وفى مجاهل جبالها وصحاريها

أما قصة حضور الملك سعود إلى مصر فقد بدأت فى صيف عام ١٩٦٦ حينما حضر لىَ فى الاسكندرية السيد/ رشاد الحسينى سكرتير الملك سعود وأبلغنى أن الملك سعود يريد الإقامة فى مصر. وأنه مكلف منه بطلب ذلك. كما ذكر لىَ أن العراق أرسلت ترحب به.

كانت العلاقة بين الرئيس عبد الناصر ، والملك فيصل قد وصلت إلى ذروة التوتر. وأشار رشاد الحسينى بأن الملك يريد أن يبدأ صفحة جديدة من

التعاون مع عبد الناصر مؤيدا سياسته.. والحركات التحررية.. وأنه سيعمل على مناهضة الاستعمار بكل طاقاته، وأنه يؤيد موقف مصر من تحرير اليمن.

عرضت الأمر على عبد الناصر.. وتمت مناقشته فى جلسة طويلة، وقد تحفظ عبدالناصر ثم طلب أن يقوم الملك سعود بإرسال خطاب يقول فيه أنه اختار مصر للإقامة بها لأنها مركز إسلامى. حتى لا تهاجمه بعض الدول لأنه يهادن الرجعية على حد تعبير بعض الدول.. ولذا كان طلبه على أساس استضافته كعربى مسلم، وتم الاتفاق على أن أرسل أحد نوابى لمقابلة الملك سعود فى اليونان حيث كان يقيم، وفعلا أرسلت السيد كمال لطفى . السفير بالخارجية بعد ذلك وكان أحد نوابى فقابل الملك سعود وكان قد وصل إلى القاهرة على فترات متقاربة بعض أولاد الملك سعود وقد قابلتهم. وكان حضورهم يؤكد رغبة الملك الشديدة فى الإسراع فى الحضور إلى مصر.

وفى مقابلة السيد كمال لطفى مع الملك سعود تم الاتفاق على ترتيبات إدارية لإقامته فى مصر وأرسل الخطاب الذي طلبه عبد الناصر وحضر بعد ذلك ابنه الأمير خالد بن سعود للإعداد لوصول الملك.. كان ثمة موقف محرج . وهو كيف سيعامل الملك عند استقباله .؟

لقد كان الملك فى إقامته فى الدول المختلفة يعامل على أنه ملك فى تحركاته وإقامته.. ومعاملته.. واقترحت حلا لهذا الموقف المحرج.. أن يستقبله فى المطار أحد نواب رئيس الجمهورية تكريما له .. ولكن عبد الناصر رفض.. وطلب أن يكتفى بمحافظ القاهرة وكان السيد/ سعد زايد وبعد حضور الملك سعود إلى القاهرة . استقبله عبد الناصر فى مصر ولم يحضر هذه المقابلة سواى.

** ماذا دار فى هذه المقابلة؟؟

ـ تحدث الملك سعود عن موقفه من التضامن السعودى المصرى، وقال أنه يجب أن ننسى الخلافات، وخاصة أنه يؤيد خط عبد الناصر السياسى. وقال أنه سوف يعمل على استرداد عرشه بمعونة فخامة الرئيس «على حد تعبيره» وعلق عبد الناصر على ذلك بقوله «أنه لاينبغى أن يترك الخلاف السياسى أثرا فى نفوس الحكام، بل

ينبغى أن يكونوا على مستوى مسئولية أكبر من ذلك». ولم يحاول أن يشير من قريب أو بعيد إلى مؤامرة سعود أيام الوحدة.

تحدث عبد الناصر عن مطلب الملك سعود فى استرداد عرشه، وقال: إن هذه المسألة ليست سهلة فهى تحتاج إلى تخطيط وإلى وقت طويل وأن على الملك أن يتذرع بالصبر فقد يستغرق ذلك سنوات.

سأل الملك سعود عبد الناصر. ومن سيكون حلقة اتصال بينهما فى مصر . فرد عبد الناصر قائلا

ـ الأخ صلاح. هو الذى أثق فيه.. وهو الذى سيكون حلقة الاتصال المباشر.

وفعلا كنت المسئول عن إقامة سعود فى مصر، ومعاونته فى النشاط الذى كان يزمع القيام به لاسترداد عرشه

ـ وفى هذه الأثناء ذهب الملك سعود إلى اليمن ورافقه فى الرحلة المشير عامر وقد أذيعت تفاصيل رحلته.. ونشرت بالصحف

ورصد الملك سعود مبلغا من المال لمعاونته فى استرداد عرشه . فكتب شيكا باسمى قدره ٢ مليون دولار للصرف منه فى الأوجه التى تحقق أهدافه وبموافقته.. ولكن وقعت حرب ١٩٦٧. وتطورت الأحداث ولم يتعد الأمر الدراسة

** ماذا كان دوركم فى هذه العملية وكيف أنفقت الأموال؟؟

ـ كان دورى هو رئاسة هذه اللجنة المشتركة والخاصة بالدراسة والتخطيط، وعمل الاتصالات اللازمة لها. ولكن كما ذكرت. المسألة لم تتعد مرحلة التخطيط والدراسة لقيام حرب يونيو، ولذا لم يصرف مليم واحد على هذه العملية.

** هل استرد الملك سعود الشيك الذى كتبه باسمك؟؟

ـ بعد الحرب مباشرة استدعانى عبد الناصر، وشرح لى الموقف الاقتصادى. المتدهور فى مصر بدرجة أنه لم يكن فى الخزينة عملة أجنبية لشراء المواد الغذائية للشعب، وطلب منى أن أذهب إلى الملك سعود وأطلب منه قرضا لمدة عام، وحينما سألته عن حجم القرض أجاب بقوله: أى مبلغ تنقذ به الموقف حتى نعد أنفسنا.

اتصلت بالملك سعود فدعانى إلى الغداء.. وبعد تناول الغداء تحدثت معه فى القرض ذاكرا له أن قناة السويس قد أغلقت وهى تدر عملات أجنبية وأن الرئيس يأمل أن يقدم قرضا يحدده هو وفقا لقدرته.

واستجاب الملك فورا ولازلت أذكر كلماته التى تقول:

ــ أنا وأولادى ملك لمصر ولا أبخل عليها بشىء أبدا.

ثم سألنى الملك عن كيفية إتمام القرض فقلت له.

ــ إن ذلك سيتم بموجب بروتوكول بين جلالته وبين الحكومة المصرية، وأن عليه أن ينيب شخصا للتوقيع على هذا القرض مع السيد/ حسن عباس زكى وزير الاقتصاد.

نادى الملك سعود ابنه خالد، وسكرتيره أحمد غنيم، وأعطاهما تعليمات بأن يتصلا فى اليوم التالى لترتيب لقائهما مع حسن زكى . رتب اللقاء، وتم عقد القرض

** ما قيمة القرض..؟

ــ ١٠ ملايين دولار .

** ما هو مصير الشيك الذى كتب باسمك؟؟

ــ بعد الحرب، وبعد عقد القرض كان هم عبد الناصر أن ينقذ الموقف الاقتصادى المتدهور، ولذا كان يبحث بكل وسيلة عن عملات صعبة، فرأى أن تجمع كل العملات الصعبة الموجودة في الدولة، وتسلم للسيد/ حسن عباس زكى. بصفته وزيرا للاقتصاد.. وطلب منى عبد الناصر أن «أظهر» هذا الشيك لوزير الاقتصاد فاعترضت قائلا : «ألا ينبغى أن نستأذن الملك سعود »

فقال : إن ما طلبه الملك منا، سيتكلف أكثر من هذا المبلغ وأننا سنعوضه أو نرده له إذا شاء فى المستقبل

فقمت «بتظهير» الشيك محولا إياه باسم السيد/ حسن عباس زكى وزير الاقتصاد . وسلمته لوزير الاقتصاد.

وكان الملك سعود قد تبرع بمبلغ خمسة ملايين دولار أخرى للمجهود الحربى كتبها باسم عبد الناصر، كما تبرع بثلاثة ملايين دولار أخرى، حينما أعلنت التعبئة باسم حاكم غزة . اللواء/ عبد المنعم حسن حسنى. وكل هذه الأموال حولت لوزير الاقتصاد.

** أين ذهبت هذه الأموال؟؟

ـ كل هذه التسيكات حولت إلى السيد/ حسن عباس زكى الذى كون لجنة من البنك المركزى، وسافرت وأحضرت هذه المبالغ من البنك فى أمستردام

كما أننى كنت قد مهدت لقرض آخر من الحكومة الإيطالية، قدره عشرة ملايين دولار، ومما يدعو إلى السخرية. أن خبر هذا القرض نشر فى الصحف المصرية فى شهر أغسطس ١٩٦٧، فى العمود المجاور لخبر إحالتى إلى المعاش بعد تقديم استقالتى

** هل سددت هذه المبالغ للملك سعود؟

ـ قدمت استقالتى فى ٢٦ اغسطس ١٩٦٧ وكان أول ماقمت به هو أننى ذهبت إلى الملك سعود وسلمته صورة الشيك المستظهر والمحول إلى / حسن عباس زكى.. وكنت قد قمت بتصويره من عدة نسخ، وذكرت له أن الشيك الذى حرر باسمى، قد حول إلى وزير الاقتصاد، وأننى قد استقلت.

أما الشيكات الأخرى الخاصة بالقرض والتبرعات فيمكن الرجوع إلى وزير الاقتصاد الأسبق، وإلى محافظ البنك المركزى لمعرفة مصير هذه الأموال

** هل تعتقد أن عبد الناصر كان له حساب باسمه فى الخارج وأنه هرب أموالا للخارج؟

ـ إذا كان عبد الناصر قد هرب أموالا للخارج فهل يمكن إخفاء ذلك حتى الآن؟ وهل لاتستطيع الدولة بأجهزتها وشرعيتها أن تعرف ذلك وتستعيد هذه الأموال.. وللرجوع بالذاكرة إلى الأموال التى كانت مودعة فى الخارج باسم الزعيم الجزائرى «حيضر» لحساب جبهة التحرير وبعد مصرعه طلبت الحكومة الجزائرية،

من البنك المختص استعادة هذه الأموال، علـى أساس أنها أموال عامة تخص معركة التحرير، وإن كانت مودعة باسم شخص

وفى رأيـى أن هذا الأمر ينبـغى أن يـحسم فـإما أن يحـاكم عـبد النـاصر . عـلى التهـريب إذا ثبت ذلـك، وإما أن يحاكـم الذين يثيرون هذه الأمور دون وجـود سند حقيقى، فالمسألة قضية تاريخ أمة، وليست قضية فرد، ولاينبغى أن تستخدم للإثارة أو للتشهير

** كان لعبد الناصر حساب شخصى باسمه فى بنك مصر فهل هذا جائز؟

ـ إذا كان هذا صحيحا، وهو غير صحيح ففى رأيى أنه جائز، وبخاصة إذا كانت تودع به تبرعـات باسمه الشخصى، فهى أمـوال تخضع لسلطته، شأنـها فى ذلك شأن المصاريف السريـة، التى يكون أمر التصرف فيـها منوطا بضمير من لـه حق التصرف فيها وهـذا هو الموقف بالنسبـة لجميع المصاريف الـسرية فى الدولة وفى جمـيع أنحاء العالم، فلا يطلب ممن يصدر الأمر بإنفاقها أية مستندات، وهذه الأموال من المفروض أن تصـرف على أعمـال تخدم الـدولة، ولا يمكن إدراجـها فى الميزانيـة العامة، مـثل الإنفاق عـلى دور النشر والـصحف فى الخارج، والإنـفاق على أى نشـاط فى الخارج لأمور سيـاسية والإنفـاق عـلى أنشطـة المـخابرات فـى الخارج ، كما يمكن الإنـفـاق منهـا فى الـداخل، فـى شـكـل تبرعـات لهيئـات أو مـؤسسـات اجـتماعيـة مـثل صندوق الطـلبـة مثلا أو جمعيات طبية علاجية، أو مراكز ثقافية وغيرهـا

** هل تعتقد أن عبد الناصر كان يسرق أموال الدولة؟

ـ لقد عـرفت عبد الناصر حتـى ٢٦ أغسطس ١٩٦٧، واختلفـنا ووصل الخلاف إلى ذروته وسجننى، وبالرغم مما بيننا من خصومة شديدة، فإننى لا أستطيع تصديق أنه يمكن أن يكون عبد الناصر لصا أو مهـربا . وكان رأيى دائما رغم الخصومات أن عبد الناصر هو أعظم من أنجبت مصر

** هل كـان عمـل المخابـرات أثنـاء رئاسـتكم لـها قـاصرا عـلى الحـصول عـلى المعلومات بالطرق الـسافرة والسرية، بواسطة العملاء الذين تجـندونهم خارج البلاد،

وعلى مكافحة التجسس والتآمر فى الداخل، أم أن هذا النشاط امتد إلى أعمال أخرى خارج البلاد.. أو داخلها. وما هى هذه الأعمال؟..

ــ بالنسبة للداخل أعتقد أننى كنت واضحا معك فى المهام التى قمنا بها، وان مايثيره البعض من أمور أخرى مثل وضع الحراسات، والتجسس على المواطنين، ومراقبة رجال الأحزاب السابقين، والنقابات والعمال. فهذا لم يكن اختصاصنا، بل ربما دخل بعضه فى اختصاص الأجهزة الأخرى التى تحدثت عنها من قبل، إن اهتمامنا الأكبر هو الخارج، حيث تدبر المخططات، وحيث تتفاعل العوامل الدولية المختلفة والصراعات بين الدول لتؤثر على السياسة الدولية.

ومصر الثورة فى وسط هذا الخضم، لابد أن تكون لها استراتيجية عليا، تحدد سياستها الخارجية، وعلاقاتها بالدول فى المجتمع الدولى ومن الغباء أن يتصور أحد، أن دولة عصرية تستطيع أن تعيش بدون جهاز مخابرات، يعرف نوايا العدو الحقيقية، وقدراته، ويلم بصراعات الدول الكبرى. وأثرها على دول العالم، بصفة عامة وعلى دول المنطقة بصفة خاصة.

كما أن عليه أن يكون قادرا، ليس فقط على أن يتنبأ بالنوايا، بل أن يكون قادرا على التأثير فى الأحداث التى قد تؤثر على كيان بلدنا.

وكانت مصر فى الفترة التى عاصرتها، تعيش ظروفا قاسية، حرب باردة بين الإخوة العرب، حرب نفسية بين نظم سياسية مختلفة، كل منها تدعى حق الزعامة، حركات تحررية تجتاح المنطقة وحركات أخرى تحررية تتسارع فى أفريقيا بسرعة فاقت تقدير السياسيين

الدول الكبرى. تراقب وتتربص.. وكل منها لها مصالح وأطماع متفاوتة ومتعارضة، وتيارات فكرية تتفاعل فى العالم، وكل هذه العوامل تنعكس على المنطقة فى شكل واسع. انتفاضات ثورية فى بعض الدول العربية ودول أفريقيا.. وأمريكا اللاتينية

إذن ما هو دور جهاز مخابرات فى مثل هذه الظروف للتأثير على هذه الأحداث؟ هنا يدخل مايسمى بالعمل السياسى، ويدخل فى هذا الأمر مسائل عديدة تصل إلى

عمليات غزو، كما حدث من المخابرات الأمريكية المركزية حينما أعدت لغزو
وحينما غزت الجيوش السوفيتية المجر وتشيكوسلوفاكيا، وحينما نزلت
الأسطول السادس لبنان سنة ١٩٦٨ كلها عمليات مخابرات، بدعوى المحافظة
أمن واستقرار البلاد، من الذى ـ أصلاً ـ هيأ وطلب النزول فى لبنان مثلا. ـ
المخابرات المركزية الأمريكية .

كان هدف الدولة المصرية هو مساندة الحركات التحررية فى دول أفريقيا
عامة والدول العربية خاصة. ومن الطبيعى أن الانتفاضات الثورية، فى الدول ال
والأفريقية كانت تجابه بشراسة عنيفة من دول الاستعمار القديم والحديث،
كانت عملياتها لابد أن تتم بطريقة سرية، فتحرير الجزائر حيث نعرف مدى ال
الذى تعرض له المجاهدون الجزائريون والضحايا الذين بلغ عددهم مليون شه
هذا يبين كيف كان الفرنسيون فى ذلك الوقت يسيطرون سيطرة كاملة لضرب
الثورة، ووصل الأمر بهم إلى أن فرضوا حصارا بحريا فى يوم ما على الموانئ
لاتصل السفن المحملة بالأسلحة، وكان الفدائيون الجزائريون أيضا يحتاجون
تدريب، وهذا التدريب يحتاج إلى خبرات، لم تكن متوافرة لديهم، وهنا لـ
المخابرات العامة دورا كبيرا فى هذه العمليات.. إذ قامت بإرسال الأسلحة
الجزائر. وقام رجال من المخابرات على هذه السفن معرضين أنفسهم للضرب
الأسطول الفرنسى، وفعلا أرسلت شحنات الأسلحة، وأود هنا أن أذكر أن بع
السفن لم تكن من سفن مصر التى تحمل العلم المصرى.. بل كانت سفنا تجـ
استؤجرت لهذه العمليات.

كما قامت المخابرات بواجبها فى إعداد معسكرات التدريب، والإشراف عل
ومن الطبيعى أن هذه العملية ليست سهلة كما يتصور البعض، ويمكننا أن ت
المسافة البعيدة بين الجزائر ومصر لنعرف مدى المجهود الذى ألقى على عاتق
قاموا بهذه المهمة، كما اتصلت المخابرات بزعماء الثورة وهيأت لهم كثيرا
التسهيلات، والسبل التى عاونتهم فى جهادهم، هذا نموذج من عمل المخابرات
شل نشاط مخابرات العدو بكل الطرق.

مثل آخر: تحرير اليمن الجنوبية.. تنبأت المخابرات منذ وقت مبكر، حتى قبل أن تعلن بريطانيا عن نية انسحابها من قواعدها فى شرق السويس، بمدى أهمية عدن واليمن الجنوبى بالنسبة للمنطقة العربية، ومن المعروف أنه كانت تتصارع عدة قوى فى داخل اليمن الجنوبى وصل بها الأمر إلى حد التناحر والاقتتال بين بعضهم البعض، كل منهم يريد أن يعمل مستقلا عن الآخر. كانت الثقة بينهم مفقودة.

كان هناك حزب الشعب، على رأسه عبد الله الأصنج، وكان هناك المستقلون وعلى رأسهم عبد القوى مكاوى، والجبهة القومية وكانت نابعة من تنظيم القوميين العرب، وكان هناك السلاطين أيضا. وكان التوفيق بين كل هؤلاء عملية شاقة، وعقدت لقاءات واجتماعات عديدة وطويلة، جمعت فيها كل الأطراف فى القاهرة والإسكندرية حتى نجحنا فى تكوين جبهة التحرير التى ضمت حزب الشعب والمستقلين والجبهة، وكان لابد من إنشاء كيان اقتصادى للدولة، وأن يفكروا فى المستقبل الاقتصادى بدلا من اهتمامهم الذى كان موجها للصراع والخلافات بينهم، وفى هذا المجال قمنا بالمساهمة فى تكوين جيش وأعددنا قاعدة للتدريب فى اليمن الشمالية، وكانت مصر تتحمل كل النفقات، وأشرف على هذه العملية رجال المخابرات

جاءت حرب ١٩٦٧ واستقلت من الخدمة، ولم يكن مصير اليمن الجنوبى قد تقرر، وتتابعت الأحداث وأنا فى السجن حتى قرأت خبر إعلان بريطانيا أنها قررت تسليم عدن إلى الجبهة القومية.

أيضًا مقاومة النشاط الإسرائيلى فى أفريقيا. فقد وصل النشاط الإسرائيلى فى كثير من دول أفريقيا لدرجة أنه سيطر على اقتصادياتها، كما استطاعت المخابرات الإسرائيلية أن تقيم علاقات مع أجهزة مخابرات بعض هذه الدول، بل استطاعت أن ترشو قلة من المسئولين فى بعض دول أفريقيا فى تلك الفترة. كما كانت سفن الشحن الإسرائيلية تعبر البحر إلى أفريقيا رافعة العلم الإسرائيلى، ويمثل حجم التجارة بينها وبين أفريقيا قدراً كبيراً بما يؤثر على خططنا للتنمية وعلى علاقاتنا الاقتصادية بأفريقيا، ولذا فإن ترك هذا النشاط كان سوف يؤدى بالطبيعة إلى تدعيم العلاقات السياسية بين

إسرائيـل وأفريقيا، الأمر الذى سوف يؤثر علـى علاقاتنا مـع أفريقيا سـواء فى المجال الاقتصادى أو السياسى.

وهنا كان دور المخابرات فـى ضرب هذا النشاط من الأعمال التى تفـخر بها مصر والدول العربـية، إذ استطاعت أن تـشل تجارتها مع كثـير من الدول فى غرب أفـريقيا وشرقها، بل إن بعض الـدول قامت بطرد الاسرائيليين من بلادها ومنـعتهم من إقامة أية مشروعات بداخلهـا، كما استطعنا أن نبعد نشاط المخابرات الإسـرائيلية من عديد من هـذه الدول، وذلك بـاتصالات مـع الزعمـاء هنـاك، وحللـنا مكـان إسرائيـل فى المساعدة على إنشاء أجهزتهم

وفى هذه المعركة قد يتساقط الجواسيس والعمـلاء نتيجة البحث العلمى والنفسى واستخدام التكنولوجيا

وقد تسـتمر المعـركة سنين بـعضها وصـل إلى خمس سـنوات وفى هذه المـعركة نستطيع بوسائـلنا أن نحصل على الوثائق التى تدين هذا الـنشاط الإجرامى وتدين كل عميل إما بالوثائق المكتوبة أو المصورة أو الصوتيـة. غالبا مانحصل عليها كلها فى كل قضية ولكى أبسط لك الموضوع سأعطى مثالين لأسلوب كشف هذه القضايا.

١ــ شبكة الجاسوسية لحساب حلف الأطلنطى:

كان رئيس هذه الشبكة هو المدعو: لازوراس ــ سكرتير الملحق العسكرى اليونانى فى القـاهرة. قد اعتمـد فى شبكتـه على ثلاثين فـردا من الجالية الـيونانية فـى مصر، واستطاع بـحكم جنسيـتهم، وتعاطفـهم بعيدا عن أرض الـوطن ومهارة «لازوراس» وخبرته أن يجند هؤلاء، إن الوثائق التى حصلنـا عليها لإدانة هذه الشبكة كانت تملأ ما يقرب من خمسة عشر دولابا للأوراق، منها تـقارير عديدة بخط أيديهم وقد تصور البعض أنة بمجرد الكشف عن «لازوراس» أو أحد أعضاء الشـبكة تبلغ النيابة للقبض عليـهم مباشرة، ولـكن الأمر استمـر سنوات فالمـطلوب هنا أن نـعرف نشاط الشـبكة بأجمعه، ولـلجواسيس فى عملهـم أساليب ملتوية وسـواتر مختلفة.. وحيل لـتضليل رجال مكافحة التجـسس، والجهاز الفاشل الذى يعجل بتصفيـة القضية، اللهم إلا إذا كان الوطن سيتعرض لخطر عاجل نتيجة ترك الجواسيس

بل قد ندس عليهم معلومات زائفة أو صحيحة ولكن ليس لها قيمة استراتيجية ، أردت بذلك أن أوضح فى سطور المجهود الذى يقوم به رجال مكافحة التجسس . وحينما قررنا تصفية الشبكة أبلغنا النيابة بالقبض عليهم ثم جاء «لازوراس» رئيس الشبكة وهو الجاسوس المحترف المدرب على مواجهة مثل هذا الموقف فتمادى فى الإنكار والغطرسة ووضع ساقا فوق ساق فى وجه المحقق فصحبه الضابط الذى كان يرأس متابعة الشبكة إلى حجرة وثائق القضية . وفتح أحد الدواليب وطلب منه أن يختار أى ملف منه ويطلع على مابداخله.. فوجد بعض التقارير التى كانت مكتوبة بخط يده.

ثم أشار إلى دولاب آخر، وطلب منه أن يختار دوسيها آخر، ويقرأ مابه فوجد به بعض التقارير التى كان يقدمها أفراد الشبكة.

وانقلب الموقف فورا. وطلب أن يدلى بأقواله قائلا:

ــ أنتم على علم بكل شيء وأنا على استعداد لأن أدلى بأقوالى.. وتمت العملية فى يسر دون أى إرهاب أو تعذيب أو تخويف وهذا هو أسلوبنا فى عملنا.

٢ــ قضية لوتز:

وهناك قضية ثانية هى قضية «لوتز» العميل الإسرائيلى الذى فاوضت به إسرائيل على تبادله ببعض الضباط الأسرى بعد حرب سنة ١٩٦٧.

وهذا يبين أهمية وقيمة هذا العميل بالنسبة لإسرائيل

وإذا كان الحديث عن قضية «لوتز» يحوى أمجادا لرجال مكافحة التجسس، فقد لا أستطيع الإدلاء بتفاصيل أو أسلوب اكتشاف هذه القضية، فذلك يعد من أسرار العمل، ولكننى أستطيع أن أقول أن «لوتز» بالإضافة إلى تكليفه بإرسال الطرود الناسفة لإرهاب العلماء الألمان الذين كانوا يعملون فى مصر، كان مكلفا بجمع معلومات عسكرية، وسياسية، واقتصادية عن مصر.

واستطاع بعد أن أتخذ لنفسه ساترا، كمربى خيول أن يدخل سلاح الفرسان، فقد كانت لديه خبرة ممتازة فى الخيول، وكان يقوم بإرسال معلومات إلى إسرائيل عن

طريق جهاز لاسلكي على فترات غير منتظمة وهنا تظهر صعوبة فنية فى تحديد مكان الإرسال، وهو أسلوب معروف فى أعمال التجسس، كما كان يضع هذا الجهاز داخل ميزان حمام ملغوم بالمفرقعات بحيث لو فتحه أحد غيره انفجر فيه.

واستطاعت المخابرات أن تكشف مكان الإرسال، ثم دخلت منزله لتفتشه أثناء غيابه، وهى عملية صعبة، فقد لفت نظر رجال مكافحة التجسس وجود ميزان الحمام فى أحد الدواليب فى حين المكان الطبيعى له هو الحمام، فجذب أنظارهم وحاولوا فتحه وكاد ينفجر فيهم، لولا أن معهم ضابط المفرقعات وهنا نؤكد على أهمية قسم المفرقعات وغيره فى أعمال المخابرات. وفتح الميزان وعتر به على جهاز الإرسال، ثم فحص وأعيد مكانه . كل هذا المجهود استغرق شهورا وهو يعد بداية للعمل. إذ أصبح واجبنا بعد ذلك أن نستمع إلى إرساله، ثم نحل الشفرة التي يرسل بها ثم نتابع نشاطه وكل هذا بالوسائل العلمية وباستخدام التكنولوجيا، وحينما تقرر تصفية قضية الجاسوس ذهب رجال المخابرات ونفذوا المهمة رغم ذلك

هذه أمثلة من كثير ومن الصعب أن يتحدث الانسان عن هذه الأعمال فذلك لايؤدى فقط إلا إلى الدخول فى أسرار العمل، وقد يؤدى أيضا إلى إساءة العلاقات بين الدول بعضها البعض

** ماهى الأسباب التى دعت إلى «استخدام الجنس» فى المخابرات؟..

ـ الواقع أن استخدام الجنس.. بمعنى استخدام المرأة وتأثيراتها العاطفية على الرجل، ليست بمستحدثة فى أعمال المخابرات والتجسس منذ القدم فى جميع أنحاء العالم، وفى التاريخ المعاصر، هناك قصة بطلتها «لويز كورباللى» عميلة لويس الرابع عشر ملك فرنسا، وعشيقة شارل التانى ملك انجلترا

كان شارل غارقا في ديونه إلى حد إفلاس خزينته، ظهرت «لويز» على مسرح الأحداث، أرسلها لويس بصحبة زوجته «هنريبت» شقيقة «تشارل» إلى انجلترا تعرض عليه أن يدفع لويس لشارل ثلاثة ملايين من الفرنكات مقابل أن يوقع معاهدة «دوفر» السرية التى تنص على انسحابه من الحلف الثلاثى، ضد فرنسا وأن ينضم إلى «لويس الرابع عشر» فى حملة الأراضى الواطئة

استطاعت «لويز» أن تصل إلى فراش الملك، ونجحت فى التأثير عليه بالموافقة على شروط لويس.

ومن مصر قصة أخرى.

ضابط المخابرات البريطانى أثناء الحرب العالمية الأولى ـ لورنس ـ لورنس العرب كما يسمونه جاء إلى مصر حيث التقى بعميلته «مرجريت داندريان» ونجح فى تجنيدها فى حفل أقيم فى فندق شبرد القديم ونشطت مرجريت وتعرفت على بعض الزعماء المصريين، استغلت أنوثتها، عرفت أخبارا كثيرة . أدت علاقاتها مع بعض هؤلاء الزعماء إلى أحداث جسيمة ابتدأت فى ١٩١٩ باقتحام العملاء البريطانيين، والشرطة المصرية ـ وكانت تحت إشراف الانجليز ـ فيللا فى أطراف مدينة بور سعيد عثروا بها على مستودع ضخم من الأسلحة ووثائق خاصة بمنظمة سرية مصرية، أعدت خطة لسد قناة السويس، فى نقط استراتيجية. كان هذا الحادث لطمة قوية لآمال المصريين.وتطورت الأمور، وانتهت بكشف جزء كبير من نشاط الثوار، وانتهى الأمر بنفى سعد زغلول زعيم البلاد فى ذلك الوقت واثنين من أصحابه إلى جزيرة مالطة ولايكون قد جانبنا الصواب إذا قلنا أنه ليس هناك جهاز مخابرات واحد فى العالم، لايستخدم المؤثرات العاطفية فى أعماله للمخابرات والحصول على المعلومات، فمن المعروف سيكولوجيا، أن الرجل يفقد توازنه المنطقى وهو مع المرأة التى يبثها غرامه وحبه بل قد ينسى نفسه ويتفوه بأحاديث سرية

إذن استخدام الجنس.. قاعدة معروفة فى المخابرات، ولكنه سلاح ذو حدين، فقد ينقلب ضد من يستخدمونه، إذا لم يحسن استخدامه، فالمرأة بطبيعتها متقلبة العواطف، كثيرا ماتغلب عواطفها وأنوثتها على الواجب، ففى خضم هذه الظروف قد تصبح عميلة للطرف الآخر، إذا ماوقعت فى حبائل حبه أو أقنعها بأنه يحبها أو أغراها بالمال....كان هذا من بين أسباب إحجامنا عن استخدام النساء فى بادئ الأمر، ولكن ظروف الأمن أجبرتنا على ذلك

هذا بالإضافة إلى أن بعض الزوار الذين كانوا يحضرون هنا لمباحثات سياسية سرية على مستوى القمة يتصلون بنساء، وفى اليوم التالى كانت أجهزتنا تأتى بكل أسرار المحادثات من أفواه هؤلاء النسوة، اللاتي يرددنها فى كل مكان هذه

المحادثات السرية عندما تنشر أخبارها أليس هذا ضد الأمن القومى؟ ألا تصل إلى عملاء الأعداء؟

فكرنا أن يكون لدينا طاقم مدرب يمكن السيطرة عليه حتى لايفشى الأسرار؛ هؤلاء اللاتي عملن معنا، حصلن على تدريب أمن وفرق توعية، نجحنا بواسطتهن فى عدم نشر الأسرار السياسية

كان هذا أساسا.. هو المنطق الذى جعلنا نستخدم أسلوب النساء لكنه تطور بعد ذلك. فكرنا فى استخدامه فى بعض قضايا التجسس.. وهذا أسلوب معروف تستخدمه كل أجهزة العالم وبخاصة أن عدونا الرئيسى إسرائيل قد فاق أجهزة المخابرات العالمية فى هذا المضمار، وبالطبع لايفل الحديد إلا الحديد .

وقد نجحت بعض النساء العميلات لنا فى الكشف عن قضايا تخابر لم يكن فى استطاعة الرجال أن يصلوا إليها.

** اسمح لى أن أقف هنا. معترضا. أليس هذا بعيدا عن الأخلاق؟؟

ــ لو تركتنى لحظات لأكملت حديثى، كنت سأقول لك أن معظم أعمال المخابرات غير مشروعة ولكنها مباحة.. هنا المصلحة العليا للدولة هى الهدف الأسمى.. من هن هؤلاء اللاتى استخدمناهن .. ونحن لانرغم النساء على أى شىء مهما كانت النتائج.

فمعيار الأخلاق هنا هو الغرض من وراء هذا العمل. هل هو غرض شريف..أم غير شريف؟ ولا أعتقد أن حماية كيان الدولة ليس أسمى غرض تقوم به المخابرات

أعتقد أن من الشجاعة مواجهة الأمور وعدم تجاهل الحقيقة أو إخفائها. فى رأيى أن جهاز المخابرات، إما أن يعطى كل الإمكانيات كاملة، كأى جهاز مخابرات فى دولة متقدمة ليحمى وطنه، وإلا فإن من الأفضل أن نغلقه ونوفر الملايين التى تنفق عليه، ولا أعتقد أن دولة عصرية.. فى هذا العالم تعيش اليوم.. وتستطيع أن تحيا وتبرز كدولة محترمة دون جهاز مخابرات.

والدولة كانت تعلم كل صغيرة وكبيرة حول استخدام هذا الأسلوب، لم تكن العمليات تتم بطريقة عشوائية أو ارتجالية.. كل عَميلة قبل تجنيدها، لها سجل به تاريخ حياتها ومعارفها ونشاطها وعلاقاتها كأى موظف، وكل عَمَلية تقوم بها مسجلة بالتفاصيل. أسبابها، أهدافها ماذا حققت.. لم تكن العملية كما صورها البعض تخضع للنزوات أو الشهوات.

** اسمح ليَ أن أعود إلى ما قطعته . استخدمتم الفنانات؟

ـ عدد محدود لايكاد يعد على أصابع اليد.

** هل كان ذلك بالضغط عليهن؟.

ـ اللاتي تعاون معنا من الفنانات، رحبن فورا بالعمل معنا ولكل واحدة منهن ملف موقع بإمضائها برغبتها، وكل واحدة من اللاتي تعاون معنا حصلت على أجر عما قامت به كاملا.

وبعض اللاتى يتشدقن الآن بالعفة، كانت تأخذ أجرها عن كل عملية تقوم بها، لقد ذُكر عن ذلك أسماء عديدة. وقصص خيالية قرأتها وعدد هؤلاء الفنانات كان قليلا . وقد تعاون برغبتهن

** هل جندتم سيدات ممن نطلق عليهن سيدات مجتمع أو سيدات الصالونات؟

ـ المخابرات لاتحتاج إلى مثل هذا النوع من النساء، فقد يكون ضررهن أكثر من نفعهن ، لأن حديث الصالونات لايصلح إلا لمعلومات لاتحتاجها المخابرات.

** قيل أنكم كنتم تصورون بعض السيدات فى أوضاع جنسية للتأثير عليهن، وإخضاعهن لكم لأسباب خاصة؟

ـ اللاتى كن يعملن فى عمليات السيطرة ليست منهن (عنقاء) يصعب الوصول إليها

** لماذا كان يتم التصوير إذن؟

ـ هناك فى مهنة المخابرات مايسمى بأعمال «السيطرة». أى السيطرة على

العميل.. أو العميلة .. ليست السيطرة فقط هى السيطرة بالجنس.. هناك أنواع معروفة عديدة من السيطرة. كالمال.. والمخدرات، أو الوثائق على العميل بخط اليد. أو تسجيل خيانته لوطنه. وهناك السيطرة باستخدام الجنس أو الشذوذ الجنسى.. باعتبارها نقاط ضعف

السيطرة عن طريق التصوير نوع من هذه الأعمال، فالعلاقة بين رجل المخابرات والعميل معه.. هى علاقة سيد ومسود.

الأول يدفع ويأمر والثانى يأخذ ويطيع.

الجاسوس .أو العميلة . فى رأيى ،.. يمكن أن يشترى بالمال، يمكن أن ينقلب على من يعمل معه، قد يؤدى ذلك إلى قلب الخطة العامة لنشاط المخابرات.. السيطرة ضرورة لاستخدامها إذا ماخان العميل أو العميلة واجبه

المرأة أكثر تقلبا من الرجل كما قلنا.. لذلك كان التصوير للسيطرة عليها فى الأوقات الحرجة.

ولم يستدع الأمر أبدا استخدام هذا الأسلوب لتهديد العميلات لأنهن سرن فى الطريق السوى.. ولم تخن واحدة منهن الأمانة، أحيانا ـ وهذه نقطة هامة ـ قد يكون المقصود من التصوير ليس العميلة، ولكن العميل الأجنبى الذى معها.

** وإسرائيل . عدونا الأساسى.. كيف تستخدم الجنس فى أعمالها للمخابرات؟

ـ تستخدمه على نطاق واسع جدا، إسرائيل تستخدم الجنس بشكل ضخم ومكثف.. إنها فى نشاطها التجسسي لها شبكة كبيرة مما يطلق عليها فى حرفة المخابرات «بيت الملذات» حيث تستدرج إحدى العميلات الأشخاص البارزين فى الحكومات الأخرى.. طبعا هدفها الأساسى العرب. والمصريون، ثم يقومون بتصويرهم فى أوضاع فاضحة، لاستخدامها بعد ذلك لمحاولة تجنيدهم

استغلت إسرائيل هذا السلاح عام ١٩٦٧ بعد الهزيمة العسكرية مع بعض

الأسرى المصريين الذين اعتقدوا أنه يمكن تجنيدهم للمخابرات الإسرائيلية عرضوا عليهم أفلاما لشخصيتين مصريتين أو أكثر . وهم فى أوضاع جنسية مع بعض النساء.. بهدف أن يفقد الشعب الثقة فى حكامه.

ومن الطبيعى ــ فى تصورهم ــ أن هؤلاء بعد أن يعودوا سيكونون أول مروجين لما تريده إسرائيل، وذلك بعد أن يكونوا قد غسلوا أمخاخهم تمهيدا لاستخدامهم فى خيانة وطنهم

** ونحن فى مصر . ألم تكن لدينا بيوت للملذات..؟

ــ إطلاقا . لا، أجزم بذلك.. استخدامنا للمرأة كان محدودا جدا وعندما تدعو الضرورة القصوى . ولم تكن عمليات كثيرة.. كما قد يتصور البعض.. ثم وفقا لظروف اقتضتها الضرورة.. كما قلت.

** هناك ممثلة يقال أنكم تحايلتم لتصويرها، فأرسلتم لها مدير مكتبك على أنه رجل أعمال وتم تصويرها معه؟؟

ــ سجل هذه العملية موجود يرد على الافتراءات، هذه العملية تدخل فى مخططاتهم للتشويه، ولم يذهب لها أحد مديرى مكتبى، ولا رجل مخابرات ولكنها كانت عملية مخابرات صرفة، ربما كانت هذه الممثلة ــ وهى معروفة بأجرها ـ ربما كانت ستقع فى براثن شبكة للجاسوسية وقد قبضت أجرها عن طريق «سيدة» معروفة وأنا على استعداد. إذا سمحت الدولة أن أنشر هذه القصة على الملأ بالتسجيل وبالوثائق الدامغة ليتبين من هى هذه الممثلة ومن هم الذين وراءها لتكون نموذجا لقصص مثيرة مماثلة.. وكلها كاذبة.

وسبحان مغير الأحوال. والله يستر كل عرض.

** هل كان يتم التصوير بعلمهن؟

ــ إذا كان المطلوب تصوير جاسوس فى شبكة. فإنهن كن يعلمن.

** هذا الموضوع يجرنا إلى قصة محاكمتك .. لقد أثيرت مثل هذه الأمور فى القضية؟

ـــ الآن   لا أريد أن أخوض فى تفاصيل عن هذه القضية سوف يأتى - بالقطع - الوقت المناسب كى أكتشف النقاب عن ذلك.

** أنا أيضا لا أريد أن نخوض فيها الآن احتراما لوجهة نظرك ولكن دعنا نستكمل هذا الجانب سريعا . فقد كان هو الصورة البارزة فى حديث الناس فى ذلك الوقت من عام ١٩٦٧؟

ـــ كانت فتنة حقا . استخدمت بعض النسوة للتشهير، لم يجد الملفقون مايسئ إلى نزاهتنا أو وطنيتنا أو كفاءاتنا.

أحضروا إحدى العميلات ـــ نظير رشوة دفعوها إليها قيمتها ثلاثة آلاف جنيه من أموال المخابرات ـــ وقفت أمام المحكمة تشهد ضدى شهادات رخيصة وتقول: «أنها كانت على علاقة بى».

سألها رئيس المحكمة.

هل تأخذين نقودا نظير علاقاتك مع الرجال فأجابت ـــ وهذا مسجل فى محاضر جلسات المحكمة ـــ قالت . إنها فى بادئ الأمر كانت تكون علاقات مع الرجال لمزاجها الشخصى، ولكن هناك من أغرتها أن تأخذ أجراً عن بيع جسدها.

وسألت المحكمة ـــ شاهدة الإثبات ـــ ضدى . كم كان أجرها؟

فقالت من ثلاثة إلى خمسة جنيهات

وأقرت بأنه كان يأتى إليها زبائن من غير المصريين عن طريق إحدى السيدات.

دعنى أسألك بأى منطق يمكن أن يؤخذ بشهادة امرأة كهذه!! وهى تعترف على نفسها بذلك، ثم تسمع لها أى شهادة؟

طبعا . تريد شاهدة أخرى.. وكان فى قضيتى شهود الإثبات من النساء اثنتين الثانية كانت إحدى عميلات المخابرات ولكنها كانت تحلم بنهب أموال المخابرات، فلم تفلح، اشتريت بالمال وبخدمات خاصة، وجاءت إلى المحكمة لتقول أننى حددت لها أجرا شهريا قدره ثلاثون جنيها فى حين أنها أيام الملك فاروق كانت تقبض من

حسن باشا رفعت وزير الداخلية حينئذ مبلغ خمسمائة جنيه شهريا وأننى كنت بخيلا فى تحديد أجرها.

وبذلك نفت عني تهمة تبديد أموال المخابرات، فى الوقت الذى كان يقال أننى أعطيت أموالا لأناس دون أن يؤدوا أعمالا، كان باستطاعتى أن أحدد لها أجرا بلا حدود، ولكنى كنت حريصا على الأموال العامة.

وقالت أن الجهاز كان يسير فى الطريق المستقيم دون انحراف عندما كانت هى تقوم بتجنيد النساء، ولكن بعد أن استخدم الجهاز الممثلات انحرف، وطلب منها أن تكون مهمتها فقط قاصرة على البحث وتنظيم العميلات والمندوبات للجهاز وتقطع اتصالاتها بهن، وهذا هو مفهوم الانحراف فى عرف هذه السيدة.

والحديث طويل وذو شجون . ولكننى أربأ بنفسى عن الخوض فى مثل هذه الأمور صونا لأعراض الناس.

** ليكن سؤالى الأخير.. حول هذه القضية قضية محاكمتك.. حول المصروفات السرية؟ لقد طرحت أنت هذا الأمر منذ لحظات حول ما كان يقال أنك أعطيت أموالا.. لأشخاص لايؤدون عملا.. ولقد طرحت إحدى الصحف موضوعا خاصا بالمال أيضا قالت أن مدير مكتبك فتح البنك الأهلى بعد منتصف الليل ليصرف منه مليون جنيه عملة صعبة بورقة أشبه بتذكرة الأتوبيس؟

ـ هل من المعقول أن آى بنك فى العالم يقوم بفتح خزائنه ليلا.. ويصرف بدون مستندات قانونية ولماذا هذا الاستعجال؟ وألم تسجل هذه الأموال. وهى مليون جنيه، كما تقول، فى خزينة البنك عند صرفها . ومتى حدثت هذه الواقعة..؟

المصاريف السرية فى المخابرات كان لها حساب رسمى وتدخل فى الميزانية العامة سنويا، وتعتمد ضمن الميزانية، وتدرج فى حساب البنك المركزى، والصرف منه يتم بشيكات عليها توقيعات. أمين الخزينة. ورئيس الشئون المالية وهو بدرجة نائب وزير.. توقيعى، وقد منحت بعض النواب حق التوقيع فى حدود مبالغ معينة منعا للمركزية، أما المبالغ الكبيرة فقد كنت أوقعها، ولم تكن المصروفات السرية تصرف

دفعة واحـدة، بل يتم الـسحب من حـسابها طوال الـسنة كمـا هو ثابت فـى سجلات البنـك وهى أيضا تدرج فـى دفاتر، وتوزع الدفاتـر على الإدارات بمستـندات صرف وإيصالات، وكل الإدارات تصـرف بمستندات كنت أوقع على هـذه الحسابات بين حين وآخر.. كنت أكلف نوابى بالتفتيش الدورى عليها

هذه المصروفـات خصصت للصرف عـلى نشاط المخابرات السـرى الذى لايمكن كشفه، كأجور العملاء فى الخارج، ومايتبعـها من نشاطات، كذلك لايسمح بالصرف منها على أى أغراض تدخل ضمن الميزانية العلنية

والمصاريف الـسرية لايخضعهـا القانون لتقديم مـستندات عنها، ورغـم ذلك منذ رأست الجهاز حـتى تركته كل مـليم أنفق من الإدارة الـرئيسية أو الإدارات الفـرعية، مسجـل فى دفاتر، ومـلفات الحسـابات موجودة حـتي الآن، وقد كان حـرصى الأول والوحيـد عندما تـركت الخدمة أن أسـلم حسابات المـصاريف السـرية للسـيد/ أمين هويدي الذى عين بعد استقالتى للإشـراف على الجهاز وكانت الأموال السرية الشىء الوحيد الذى حرصت على أن أسلمه له وقد تم التسليم عن طريق مدير مكتبى وجيه عبد الله.

** مادمنا قد تعرضـنا للفن، والفنانات.. فى حديث طويل قـطعه السؤال الأخير عن المصروفات السـرية، فإننا لابد أن نعود مرة أخرى إلى الحديـث عن الفنانات وأن تكون لنا وقفة . أستـفسر فيها عن عدد من المسائل . وهى علـى وجه التحديد بعض القضايا المرفوعة منك والقضايا المرفوعة عليك.. فأنت خاصمت عددا من الفنانات.. خاصمت فاتن حمامـة وسعاد حسنى.. خاصمت أيضا نجيب محـفوظ.. ومنتج فيلم الكرنك .

وأخيرا.. خاصـمت إحدى سيدات المجتمع التى رفعت عـليك قضية.. لـعل هذا المدخل يكون مناسبا لحوار حول هذه القضايا؟

ــ . دعـنى أشرح لك لـماذا لجأت إلى القـضاء . فى البـداية حاولت أن أرد عـلى مايوجه إلىَّ على صفحات الصحف، ولكـنى اكتشفت أن نفوذ الأخوين أمين يمتد إلى أكثر من مؤسسة الأخبار، وأن كل ما أريد نشره تصحيحا لوقائع تنسب إلىَّ لاينشر فى

أية صحيفة، بل اكتشفت أن عددا من الصحفيين يعاونونه ويساهمون معه فى مخطط للحملة ضدى.

وأنه لم يعد خافيا على أحد، أن الأخوين أمين هما اللذان قادا الحملة الصحفية ضدى لسبب بسيط .. هو أننى كشفت الجاسوس مصطفى أمين، بعد هذه المقدمة السريعة سوف أوضح الأمر فى هذه القضايا التى سألت عنها.

السيدة فاتن حمامة التى لا أعرفها ولم ألتق بها فى حياتى.. والتى تسكن فى نفس العمارة التى كان يسكن بها على أمين.. أدلت بحديث صحفى فنى إلى مجلة آخر ساعة.

تحدثت عن أنشطتها الفنية.. وعن تعرضها لمضايقات لقيتها من بعض أجهزة الأمن. ولست أعرف مدى صحة ذلك ولكنها لم تذكرنى، ولم تذكر اسم المخابرات العامة. ولم تتعرض لها

كان الحديث منشورا على عدد من الصفحات فى مجلة آخر ساعة وليس به كما قلت أى ذكر لاسمى، ولا للمخابرات، ولكننى فوجئت على غلاف مجلة آخر ساعة بعنوان يقول: مخابرات صلاح نصر تتعقب فاتن حمامة.

ولم يكن من الممكن أن أصحح مانشر، كما أنه لم يكن من الممكن أن أسكت على هذا الكذب.. ولجأت إلى القضاء ضد فاتن حمامة، وأنيس منصور رئيس تحرير المجلة التى نشرت ذلك وهى آخر ساعة، وعلى أمين ــ رئيس مؤسسة الأخبار التى تصدر عنها هذه المجلة.

واستدعت المحكمة فاتن حمامة أكثر من مرة ولكنها لم تحضر . واستمر نظر القضية التى مازالت حتى هذه اللحظة أمام القضاء ـ انتهت القضية لوفاة صلاح نصر المفاجئة ـ ولكن أبواق مصطفى أمين وعلى أمين لم تشر إلى القضية على هذا النحو بل صورت على أنها قضية بين صلاح نصر وفاتن حمامة.

صحيح أن فاتن حمامة طرف فى هذه القضية ولكنها ليست الطرف الوحيد.. هذه هى قضية فاتن حمامة.

** والقضية الثانية : سعاد حسنى التى نشرت بعض الصحف أنك رف
ضدها؟

ــ من قال أننى رفعت قضية على سعاد حسنى.. هذا لم يحدث وما نشر
لم أقرأه، وهو غير صحيح جملة وتفصيلا.

** ربما كان الأمر متعلقا بفيلم الكرنك.. الذى قامت ببطولته سعاد حسن

ــ قضية فيلم الكرنك شىء آخر مختلف. ولم يأت فيها ذكر اسم سع
من قريب أو بعيد

** إذن لماذا كانت القضية؟

ــ فى البداية أقول أننى لم أكن قد قرأت رواية الكرنك للأستاذ نجيب
حتى أحضرها إلىّ أحد الأصدقاء.. وعندما قرأتها وجدت فيها حديثا، قد يؤ
المخابرات العامة ولكنه شىء غامض فظللت بين الشك واليقين، وإن كان
على ظنى أن نجيب محفوظ قد اختلطت عليه الأمور فيما يختص، بعم
الأمن المختلفة. قرأت الرواية.. وسكت.

ذات يوم نشرت جريدة الأخبار موضوعا صحفيا عن فيلم الكرنك، مع
للممثل كمال الشناوى كتبت تعليقا عليه يقول:

خالد صفوان الذى يقوم بدور صلاح نصر فى الفيلم.

ولم يكذب منتج الفيلم ذلك.. وهنا أيقنت أن المقصود التشويه، فلج
القضاء لم يكن مطلبى تعويضا ماديا، ولكنه كان تصحيحا أدبيا، ووقفا لكذب

وجاء منتج الفيلم فى المحكمة وقال· أن المقصود ليس صلاح نصر وآ
الفيلم تشير إلى ذلك

وجاء حكم المحكمة يؤيد ذلك . دعنا نقرأ معا بعض حيثيات الحك
المحكمة بالنص

«كان البادى من ظاهر الأوراق أن الذى وجه المدعى لرفع دعواه هذه ه

نشرته صحيفة الأخبار بعددها الصادر يوم ١٢/ ١٠/ ١٩٧٠، حيث ربط محرر صفحة «أخبارالسينما» بهذا العدد بين الدور الذى قام به الممثل السينمائى كمال الشناوى، وبين شخصية مدير المخابرات المصرية فى عهد مراكز القوى «صلاح نصر» على حد تعبير ذلك المحرر، وكان البادى من ظاهر الأوراق أيضا أن المدعى، وحتى حضور العرض الخاص للفيلم بناء على قول هذه المحكمة لم يكن قد شاهد هذا الفيلم، الأمر الذي تكشف معه الأوراق على أن نشر الخبر الصحفى هو وحده الذى دفع بالمدعى إلى رفع هذه الدعوى ويتبين بجلاء من إبداء وكيله بجلسة ١٢/ ١/ ١٩٧٩ استعداده للتنازل عن الدعوى إذا أعلن صاحب الفيلم، محل النزاع على صفحات ذات الجريدة مايتضمن تكذيبا لاجتهادات ذلك الصحفى بما نشره من ربط بين الشخصيتين.

وإن كان البادى من استعراض وقائع الفيلم وأحداثه من قبل أن أيا من القصة كرواية أدبية، أو الفيلم كمصنف فنى نقل القصة كرواية أدبية إلى الشاشة المرئية، أيا من هذا أو ذاك لم يكشف عن وظيفة خالد صفوان، الذى ربط الخبر المنشور بينه وبين المدعى . ومن ثم لم تقل القصة أو الفيلم صراحة أو حتى تلميحا أن «خالد صفوان» الذى مثل دوره الممثل السينمائى كمال الشناوى، هو «صلاح نصر» أو أن خالد صفوان هو رئيس المخابرات العامة.

وإن كان البادى من ظاهر الأوراق أيضا، واستقراء فصول القصة الأدبية أو متابعة مشاهد الفيلم، أن الأديب القصاص، فى روايته أو كاتب السيناريو أو مخرج الفيلم، لم يعن شخصا بذاته من الأشخاص الذين مارسوا الحياة العامة، على مسرح السياسة المصرية إبان هذه الحقبة من تاريخ مصر، وإنما صوروا شخصية «خالد صفوان» على أنه كان واحد من أصحاب الأيدى، التى امتدت إلى حريات هذا الشعب بالأغلال والقيود فكبتتها وإلى أصحاب الرأى ومن بينهم فتية فأثخنتهم تنكيلا وتعذيبا ومن ثم كانت النكسة سنة ١٩٦٧ وترك كل من الأديب فى قصته والسينمائى فى فيلمه، لخيال قارئ القصة أو مشاهد الفيلم العنان وليقدح زناد فكره، باحثا عما إذا كان خالد صفوان هذا، يمثل فى حياة واقع مصر شخصا حقيقيا أم من نسج الخيال. يؤيد هذا

الذى انتهت إليه المحكمة أن المدعى نفسه فى كتابه« عملاء الخيانة وحديث الإفك» قد أبرز بوضوح توزيع الاختصاصات، بين أجهزة المخابرات العامة، أو المباحث العامة والشرطة العسكرية، فى تلك الفترة من تاريخ مصر.. ومؤكدا أنه لم يكن من شأن جهاز المخابرات العامة إلا قضايا الجاسوسية، أو الخيانة، ومما يوحى بأنه لاصلة للمدعى، أو المخابرات العامة بأحداث الرواية التى لم تتناول قضية من قضايا الجاسوسية أو الخيانة، ويؤيد ذلك أيضا ما كشفت عنه أحداث الفيلم النهائية، من أن مصير أبطاله كان السجن الحربى الذى قرر رئيس الجمهورية فى مايو ١٩٧١ إطلاق سراح كلّ المعتقلين فيه، عدا خالد صفوان الذى تقرر ترحيله إلى سجن الاستئناف على ماسلف بيانه، إذا كان ذلك كله وكانت المحكمة خلصت تأسيسا على كل ماسلف بيانه، إلى أن الفيلم موضوع النزاع لم يمس المدعى أو الجهاز الذى كان يترأسه، صراحة كان ذلك أو تلميحا.

«إنما هو يصورأحداثا عامة وأشخاصا مجردة بأسماء وهمية، ليحكى لنا تاريخاً للبلاد فى حقبة زمنية معينة، تاركا للمشاهد بخياله الخصب أن يبحث فى تاريخ مصر إبان هذه الفترة من الزمان عمن يكون خالد صفوان، وعمن يكون جهازه الذى أشرف على الاعتقال، وداس على كل المقدسات، إذا كان ذلك كله وكان البادى من ظاهر الأوراق ماسبق بيانه أن الفيلم لم يقل أن هذا الصفوان، كان هو صلاح نصر، أو أن جهازه البغيض هذا كان هو المخابرات العامة فإن الدعوى تكون قد جاءت على غير سند من الوقائع، أو القانون، ويتعين من ثم الحكم برفضها..»

ولم أكن أطلب سوى هذا التوضيح .أن الفيلم لاعلاقة له بالمخابرات.. ولا علاقة له بى.. وكان هذا الحكم، ولم أكن أطلب أكثر من مثله.

** القضية التى رفعتها ضد إحدى سيدات المجتمع وأيضا لها علاقة بالفن على الأقل عن طريق زوجها السابق المصور السينمائى؟

ـ هذه قصة طويلة. لنبدأها من عام ١٩٦٤.. فى ذلك الوقت أصدرت قرارا بإنهاء عمل هذه السيدة كعميلة للمخابرات العامة.

كانت عمـيلة فى المخابرات، بـأجر كواحدة من العمـيلات اللاتى يستـخدمن فى أعمال السيطرة، واستدراج الجواسيس الـذين تجندهم الدول المعادية، إذ من المعروف أن مقاومة التـجسس فى المخابرات تفتـش ـ دائما ـ عن نقط الضعـف فى الجواسيس مثل عدم الولاء للوطن، أو حب المال، أو النـساء، أو الخمر، أو القمار.. إلى غير ذلك من الوقائع كما سبق أن بينا.

كانت من أسوأ العميـلات اللاتى جندتهن المخابرات العامة، لنهـمها الشديد إلى المال، وفقدها أية قيم طالما كانت تحصل على المال بأى وسيلة.

كان أول هم لها بعد تجنيدها محاولة ابتـزاز المال. وأحسسنا بخطورتها، ولذا فإنها لم تستمـر فى خدمة المخابرات، وقتا طـويلا، إذ أصدرت أمرا بإنهاء عمـلها، حسب العرف أو مايسمى فى المخابرات بعملية الإنهاء ... ذلك لأنه لايمكن فصل العميل أو العميلة بعد الاستغناء عنها إذ يجمد نشاطها حتى يتم التخلص منها.

عندما اعتقـلت سنة ١٩٦٧ استدعى للتحـقيق جميع العميلات الـلاتى عملن مع المخابرات العـامة، ويزيد عددهن عـلى المائة، ومن بين هـؤلاء التقطت أصابـع بعض القـوى هذه السيـدة، لتشهـد ضدى فى المحكـمة، ولتـقول أننى استخدمت نـفوذى وأقمت معها علاقة رغما عنها، وبالتهديد.

قبضت فـى هذه العملية ثـلاثة آلاف جنيه نظـير هذه الشهادة وقد قـلت ذلك فى المحكمة وكان خيـالها خصبا فقد تجاوز التلـقين، فعندما سألها رئيس مـحكمة الثورة السيد/ حسين الشافعى عن كيف تعرف عليها «صلاح نصر».

قالت أنه أبــرز لها كارنيه عليه صــورة مكتوب عليـه أنـه رئـيس المخابرات، ثم أشار إليها على التليفزيون حيث صورتـه، مـع الرئيس جمال عبد الناصر وقال لها:

ــ أنا حاكم الشرق الأوسط وملك مصر.

وهذا الكلام لايحتاج إلـى مناقشة، فهل مدير المخابرات له كارنيـه باسمه، كرئيس للمخابرات، وهل كانـت تظهر صورى مع عبد الناصر فى التلـيفزيون وهل تصادف ظهور هـذه الصورة ، عند لقائى بها، وهل أنا حاكم الشرق الأوسط وملك مصر؟

أعتقد أن هذه أمور لاتحتاج إلى تعليق.. وربما كان فيما قالته فى المحكمة مؤشرات توضح لك من هى هذه السيدة الفاضلة.. إنها استطاعت عن طريق علاقاتها أن تحقق ثلاث مزايا

* الأولى: بيع الاستوديو الذى تملكه للقوات المسلحة والثابت أن إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة هى التى كانت تفاوضها فى شراء الاستوديو الذى كانت تحتاج لمثله فى إخراج أفلام تعليمية، أو للتوجيه المعنوى ولا علاقة لىَ بهذه الإدارة. التي تتبع القائد العام للقوات المسلحة وقد قررت هذه السيدة أنها سعت إلى أحد أقارب المشير عامر حتى يستطيع أن يكون وسيطها لدى إدارة الشئون العامة وقد تم هذا الاتصال عن طريق شخص يدعى حنفى حجازى.

* الثانية سفر زوجها المرحوم إلى بيروت فى وقت كان الخروج من مصر فيه ممنوعا.. والثابت من الأوراق «. . » أن زوجها حصل على تأشيرة سفر إلى الكويت ليقوم بزيارة ابنته المتزوجة هناك، وهى ابنته من زوجة أخرى غيرها.

* الثالثة.. منح زوجها أعمالا تدر عليه أجورا عالية إذا قورنت بأجور زملائه. وقد ثبت أنه لا دخل ولا صلة لىّ بما حصل عليه زوجها من أجر، وأنه لم يتقاض هذه المبالغ من المخابرات العامة بل تقاضاها من وزارة الثقافة والإرشاد مباشرة من الدكتور عبد القادر حاتم.

وقد سئل الزوج أمام المحكمة، فأجاب بطريقة قاطعة أن الدكتور عبد القادر حاتم وصلاح عامر وكيل الوزارة أعطياه هذا الأجر تعويضا عما أصابه نتيجة إبعاده عن عمله وأن المسئولين فى وزارة الثقافة وهم يوقعون العقود الثلاثة معه، إنما كانوا يكفرون عن الذنب الذى اقترفوه فى حقه، وأنه عومل كما عومل غيره، فكل من زملائه تم تعويضه.

وقد سأل رئيس المحكمة السيد حسين الشافعى هذه السيدة/ عما حصلت عليه من صلاح نصر نتيجة هذه العلاقة فقالت:

ــ ياريت.. دا هو اللى أخذ منى، فأنا أعطيته جوز زراير ذهب ثمنهم خمسين جنيه

وقد ثرت عندما سمعت هذه الكلمات أمام المحكمة ووصفتها بألفاظ لا يجوز أن تذكر حياء. لقد أسقطت الكلمات التى قالتها عنى أننى لم أعطها شيئا.. هى الكلمات التى ثرت عليها من أجلها، أسقطت عنى الاتهام الخاص باستغلال النفوذُ.

وأخيرا وبعد انتهاء علاقتها بالمخابرات بحوالى ١٢ سنة، وبعد تسع سنوات من محاكمات ١٩٦٧، فوجئت بأخبار منشورة، بأنها لجأت إلى القضاء، وأنها رفعت ضدي قضية مدنية لأن هناك عقد زواج عرفيا بينى وبينها، وأن زوجها شاهد على هذا العقد وكلام آخر من هذا القبيل الشائن والمنفر . وبعدها وصلتنى عريضة الدعوى.

وإنى لأرجو أن تقدم إلى المحكمة عقد الزواج المزعوم ليكون لنا شأن آخر.

ولكننى أسأل لماذا لم تنشر كل ذلك إلا بعد وفاة زوجها وبعد انفصالها عنه بحكاية قضائية محفوظة فى القضاء؟؟

ولماذا لم تثر موضوع هذا الزواج وهذا العقد أمام محكمة الثورة التى كانت تحاكمنى وقد كانت شاهدة لإدانتى.

وواقعة ثانية .. أنها تقول أنها ذهبت إلى جمال عبد الناصر، وجلست معه خمس ساعات، وقالت أيضا أن صلاح نصر كان يحفظ لديها خمسة آلاف جنيه ذهبا. وتسلمها منها جمال عبد الناصر وقال لها لاتذكرى شيئا عن هذا المال . وهو كلام لايصدق وما أكثر الكذب على الموتى، إنه من المعروف أن جمال عبد الناصر لم يكن يقابل أمثال هؤلاء وإذا كان قابلها فرضا فإنه مطلوب منها أن تقول لنا كيف قابلها، أين ومتى؟ ومن الذى استقبلها؟ ومن الذى أوصلها إلى جمال عبد الناصر من السكرتاريين وهم جميعا أحياء، ولماذا لم تتخذ من هذه المبالغ وسيلة للتشهير بى سنة ١٩٦٧، وخاصة أن الادعاء كان يتهمنى باستغلال النفوذ، وتبديد أموال ولكنهم لم يستطيعوا، أن يأتوا بدليل واحد وكانت هذه الواقعة فرصة لإثبات مايريده الادعاء.

السؤال بعد ذلك . أهى محاولة للنيل من عبد الناصر، واتهامه هذه المرة بواسطة هذه السيدة بأنه سرق خمسة آلاف جنيه أرجو ألا يكون المخطط كذلك.

وواقعة ثالثة.. قالت هذه السيدة فى عريضة دعواها، أننا هددناها بالقتل، وأخذناها إلى فيللا كانت فى الواقع تقابل فيها من تتعامل معه من رجال المخابرات.

وقالت أنهم أدخلوها إلى حمام فوجدت به حوض من البانيو، به جثث تغلى داخل أحماض.

وهذه القصة وعلى حد ما أتذكر فى رواية «ذو اللحية الزرقاء» وهذه القصة أيضا أثيرت فى سنوات الوحدة بين مصر وسوريا، فى بعض صحف بيروت حينما قتل فرج الله الحلو، وهو مواطن سورى شيوعى، وقالت تلك الصحف، أنهم وضعوا جثة هذا المواطن فى حوض بانيو به حامض الكبريتيك.

كان فرج الله قد قتل فى دمشق، واتهم بعض ضباط عبد الحميد السراج الذى كان مسئولا عن المخابرات السورية بقتله ولم يكن لمخابرات مصر أية علاقة بمخابرات سوريا

ومن الواضح أن هذا الأمر قد لقن لها ممن يحملون على المخابرات المصرية والدليل أنه فى جلسة محكمة الجنايات فى ١٨ مارس ١٩٦٧ قال أحد شهود مصطفى أمين أن مخابرات صلاح نصر قتلت فرج الله الحلو الشيوعى السورى.

والمعروف كما قلت أنه لا مخابرات صلاح نصر، ولا مخابرات مصر، لها علاقة بمخابرات سوريا، أو مباحثها، أو أجهزة أمنها، التى كانت تعمل تحت القيادة الفعلية والمباشرة لعبد الحميد السراج، هل يكون ذلك من قبيل المصادفة، أن تتبنى دار أخبار اليوم التى يشرف عليها الآن مصطفى أمين نشر أخبار هذه القضية الملفقة، وأن تكون الوقائع بهذا الحد من الإسفاف والوضوح فى الكذب.

ربما كانت كل هذه الأمور من قبيل المصادفات ولكنى لا أكاد أصدق.. وعلى كل فالموضوع أمام القضاء.. ولا أريد أن أخوض فيه كثيرا، بل سأترك ماعندى لأضعه أمام القضاء.

** قلت أن مصطفى أمين يعمل مع المخابرات الأمريكية منذ الثلاثينيات فلماذا لم تقبضوا عليه إلا فى الستينيات؟

– ينبغى أن تعرف أن عمـلية مكافحة التجسس ليست لعبـة عسكر وحرامية أو أنه إذا ظهر أن هـناك شخصا يـقوم بأعمال مـريبة أو بنشـاط تخابرى نقـوم بالقبض عـليه مباشرة.. وتنتهى العملية إن قضايا التـخابر هى معركة بين أجهزة المخابرات المتنافسة والمتخاصمة، يحاول كل جانب أن يتبين نشـاط الجهاز، ويشل حركته وما القبض على الجواسيس إلا المـرحلة الأخيرة من هذه الـعملية التى قد تـستغرق سنين طويـلة، كما أوضحت فلم يكن هـدفنا أن نقبض على جاسوس مثل مصطـفى أمين. أو غيره، فهو بالنسبة لمكافحـة التجسس شىء ضئيل، إن ما يهمنا هو نشـاط المخابرات الأمريكية فى مصر والشرق الأوسط..

وللعـلم فإن الجاسوس إنسـان مدرب تدريبا عـاليا فى عمـليات التخابـر. فإذا لم يستطع جهاز المخابرات أن يحصل على الوثـائق والأدلة التى تدين المتهم فما الفائدة فى اعتقاله، إذا لم يتم كشف الشبكة التى يعمل بها، وفى هذه الحالة يوضع الجاسوس تحت الرقابة المستمرة.

فالمهم أن يصل الجهاز إلى الشبكة بأكملـها. فما الفائدة من قطع ذيل الثعبان وترك الرأس الذي تملكه الشبكة، وهذا ما حدث مع مـصطفى أمين، لم يقبض عليه إلا بعد أن حصلنا على الـوثائق وضبطته النيابة بمعرفـة السيد سمير ناجى متلبسـا بالتخابر مع «بروس أوديل تايلور».

** ألم يكن لكم كمخابرات صلة بمصطفى أمين؟

ـ إن مصطفى أمين الذى يشن حملة الآن، حاول باستماتة أن يوطد علاقته بجهاز المخابرات، فسعى إلىّ وحضر إلى مكتبـى. وعرض خدماته وعرض علىّ أن ينقل لىَ أرشيف أخبار اليوم الخاص بالشخصيات، فـلما ذكرت له أن هـذا الأرشيف لايهـم الجهـاز، ألـح علىّ أن أزوره فى أخبار اليوم ولكننى اعتذرت.

وأرسلت بعض رجالى إلى دار الأخبار فعرض عليهم الأرشيف وكان رأيهم بعد دراسته أن المعلومات التى به غير صحيحـة بنسبة ٥٠٪ وفى تلك المقابلة أيضا عرض أن يعمل معنا المدعو إبراهيم سعده الذى كان يعمل فى الخارج، فقبلت بعد إلحاح من بعض رجالى الذين قالوا أنهم محتاجون إليه فى الخارج.

** كان مصطفى أمين يعمل لحساب عبد الناصر؟

ـ هذا لايمنع فهناك العميل المزدوج الـذي يخدم جهتين، وكان فى المخابرات كثير من العملاء المزدوجين حتى مع إسرائيل

** كيف تتبعتم نشاط مصطفى أمين؟

ـ كما أوضحت لك ليس هدفنا الأساسى أن نتابع أى إنسان بالشك، وإلا فإننا نكون مثل من يغرف من البحر بكفيه. إن مهمتنا هى كشف نشاط المخابرات الأجنبية المعادية، وهنا يمثلها إما ضباط المخابرات لهذه الدولة، أو أى عملاء رئيسيين يكونون شبكات تجسس، والجواسيس تسقط فى خضم هذه المعركة كما يسقط الذباب.. وهكذا قضية العميل مصطفى أمين، لم يكن مصطفى أمين هو الهدف ، ولم نتتبعه إلا بعد أن تيقن لرجال مكافحة التجسس أنه عميل من عملاء «بروس آوديل تايلور» ولا أستطيع أن أذكر لك تفاصيل تتبعنا لنشاط بروس وغيره من عملائه وسأبينه فى الوقت المناسب.

** ما هى قصة إنشاء شركة النصر للاستيراد والتصدير وما هى علاقة المخابرات بها؟

ـ الواقع أن منظمات الساتر تتواجد في كل ميادين الحياة الدولية، فى الحركات السياسية «منظمات الشباب»، الجماعات الدينية . دور النشر. ، مؤسسات الثقافة.. والعمال.. المصارف.. جمعيات الصداقة .

مثلا . فى عام ١٩٣١ أسس بعض الشبان الشيوعيين فى برلين جمعية لدراسة الاقتصاد الموجه رأسها «سيرجى بسنوف» عضو الوفد التجارى السوفيتى ومستشار السفارة السوفيتية فى برلين فيما بعد

كان غرض هذه الجمعية جذب مجموعة من العلماء غير الشيوعيين الذين يمكن الأعتماد عليهم فى اللحظات السياسية الحرجة بعد الحرب العالمية الثانية، أصبحت التجارة وسيلة ممتازة لتغطية النشاط الشيوعى.

ولقد استخدم الإنجليز فى مصر فى الأربعينيات بعض منظمات الساتر الممتازة مثل شركة شل، وبنك باركليز وشركة جريشام للتأمين على الحياة.

منظمات الساتر إذن أسلوب تستخدمه كل مخابرات العالم ومن بين مهام هذه المنظمات توفير المال اللازم لتمويل عملياتها اقتصاديا تخفيضا لأعباء ماتدفعه الحكومة من ميزانية وثانيا لتغطية نشاط بعض الأفراد

وكان الغرض من إنشاء هذه الشركة وغيرها أن تعمل كمنظمة ساتر.. وكانت الشركة فى بدايتها قطاعا خاصا، تكونت من أفراد من رجال المخابرات بأموال المخابرات وأخذت تعهدات عليهم بأن هذه الشركة ملك المخابرات، وليست ملكا لهم . وكان رأس مال الشركة ثلاثين ألف جنيه دفعتها المخابرات العامة بأسماء هؤلاء الأفراد كبر حجمها فى فترة وجيزة، نتيجة أعمالها التجارية، إذ كان عملها فى المرحلة الأولى قاصرا على النشاط التجاري، حتى تقف على قدميها ويقوم كيانها

وكان السيد/ حسن عباس زكى وزير الاقتصاد على علم تام بهذه الشركة التى قامت بتوجيه من الرئيس عبد الناصر وعندما نجحت الشركة فكر حسن عباس زكى فى أن تضم للقطاع العام.

وتحدث مع عبد الناصر فى ذلك فوافق وطلب منى تحويلها إلى القطاع العام فوافقت، خاصة أن البعض قد اكتشفوا علاقتها بالمخابرات وفقدت قيمتها كمنظمة ساتر وتم ذلك فى الستينيات.

وفعلا صدر قرار بتحويلها إلى القطاع العام، وعين محمد غانم رئيسا لمجلس إدارتها، وانتهت علاقة المخابرات بها منذ تلك اللحظة. ولم يعد للمخابرات أية علاقة بهذه الشركة لا تجاريا ولا مهنيا منذ ذلك التاريخ.

** والشركات الأخرى التى أنشأتها المخابرات؟

ــ هناك عدد من الشركات أنشئت فى الداخل والخارج للعمل كمنظمات ساتر ولكنى أعتقد أنه ليس من المصلحة الحديث عنها

** هل كان فى المخابرات جهاز لإطلاق الشائعات وجمع النكات؟

ــ بث الشائعات واستخدام النكات إحدى وسائل الحرب النفسية التى تشنها الدول ضد بعضها البعض، وفى كثير من الدول هناك جهاز يطلق عليه جهاز الحرب

النفسية.. للأسف لم يكن لدينا هذا الجهاز حتى عام ١٩٦٧ لأنه يحتاج إلى إمكانيات ضخمة تعادل الإمكانيات التى يجب توافرها لإنشاء جهاز مخابرات آخر

لم نستخدم أسلوب الشائعات بل اقتصر واجبنا علي جمعها وتحليلها كجزء من تقارير الرأى العام كان جمع النكات سهلا، ذلك أن بعض السفارات الأجنبية كانت مركزا لإخراجها

والغريب أننى قرأت ذات مرة ـ لأحد الصحفيين يتحدث عما سماه تاريخ النكتة فى مصر، وهيأ له خياله الخصب أن رئيس المخابرات أراد أن يختبر مدى سريان الشائعة، واستقل تاكسيا وقال لسائق السيارة شائعة، ثم عاد فورا إلى مكتبه فوجد رجاله يعرفون التائعة.

وبالطبع هذه قصة ساذجة، الهدف منها الإساءة إلى الجهاز لحقده القديم حينما أمرت بفصله كمندوب للمخابرات لأسباب تتعلق بإساءاته للجهاز

** حول المسائل السياسية دعنى أسألك.. كيف كنتم تتصرفون فى محيط العلاقات الدولية. يدفعنى إلى هذا السؤال أنكم لفقتم قضية للبعثة الفرنسية التى قدمت لتحسين العلاقات مع مصر. وألقيتم القبض عليها؟

ـ الحقيقة أن هذه القصة.. طويلة.. بدأت بعد العدوان الثلاثى فى سنة ١٩٥٦، حينما قطعت مصر العلاقات مع إنجلترا وفرنسا، وبذلت فرنسا محاولات لإعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.

كانت وجهة نظر عبد الناصر، أنه لايستطيع أن يعيد العلاقات مباشرة مع فرنسا لأن فرنسا معتدية ومساندة لإسرائيل، والشعب المصرى ليس مستعدا نفسيا لعودة هذه العلاقات.. ورأى عبد الناصر أن تجئ مبدئيا بعثة اقتصادية يكون هدفها دعم العلاقات الاقتصادية بين البلدين توطئة لإعادة العلاقات الدبلوماسية.

جاءت البعثة وخرجت عن حدود مهامها.. بدأنا نتتبعها، فوجدنا أنها تجمع معلومات عسكرية واقتصادية عن مصر.. كان نشاطها التخابرى موضوعا تحت

رقابتنا.. اتضح أن بعض أعضاء البعثة من المكتب الثانى الفرنسى أى من رجال المخابرات الفرنسية.

عندما حصلنا على الوثائق والمستندات التى تدينهم، ألقت النيابة القبض عليهم وبدأ التحقيق معهم.. بعد أن واجهناهم بخططهم وما يدينهم بالوثائق مما جعل.. «بلفييه وماتييه» يحييان بأيديهما رجال المخابرات المصرية ويقولان: أن هذا عمل عظيم. وقدمت القضية إلى محكمة أمن الدولة وهى محكمة مكونة من مستشارين مدنيين، وليسوا عسكريين

وفى ذلك الوقت حضر من فرنسا مسييه «لابارادايل» وهو محام فرنسى كبير. ولعله كان نقيب المحامين فى باريس فى ذلك الوقت، ليدافع عن المتهمين وزارنى فى مكتبى بصحبة محام مصرى هو الأستاذ القلعاوى..

تحدث المحامى الفرنسى معى فى العلاقات المصرية الفرنسية منذ القديم وأنه يرجو لو استطعت أن أقنع عبد الناصر بحفظ القضية، حفاظا على العلاقات، خاصة أن مشكلة الجزائر كانت فى طريقها إلى الحل وحفظ القضية هذا يساعد على سير القضية لصالح الجزائريين.

واتصلت بعبد الناصر.. وأخبرته فاقتنع فورا من أجل الجزائر.. وأصدر قرارا بحفظ القضية، وكانت منظورة أمام القضاء المدنى كما قلت

** كيف تلقون القبض على دبلوماسيين وتحاكمونهم؟

ــ هذا هو بالضبط ماقدمه محاميهم من دفع . فمحاميهم لم يتعرض لقضية التخابر الثابتة ولكنه طالب بالإفراج عنهم لأنهم دبلوماسيون، وكانت وزارة الخارجية المصرية قد أخطرت المحكمة بعكس ذلك، إذ أرسلت للمحكمة تقول أن هؤلاء ليسوا مدرجين ضمن أعضاء السلك الدبلوماسى، ولايتمتعون بحصانة دبلوماسية، وكانت هذه هى النقطة الوحيدة التى كانت مثار النقاش بين الدفاع وممثلى الادعاء.

** تردد أنك قلت أن الأموال التى سلمتها للسيد عباس رضوان كانت نصيب المشير عامر فى الأرباح التى يستحقها من شركتين تديرهما المخابرات العامة،

ويملكهما مناصفة جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، وتدار لحسابهم
للتجارة الخارجية، وشركة أخرى للنقل الداخلى.. فما هى حقيقة د

ــ كان هناك حساب فى المخابرات يسمى حساب الرئاسة، به مصد
وهى ليست من حساب المصاريف السرية للمخابرات، وكنت مجرد أه
وكان من حق عبد الناصر وعبد الحكيم فقط أن يسحبا منه

لقد أودع عبد الحكيم عامر فى هذا الحساب مبلغا كبيرا. لا أتذكره با
كان يزيد على المائتى ألف جنيه.

هذا الحساب باسم الرئاسة وليس باسم المشير الشخصى أو باسم
الشخصى، والأموال أميرية . فقط لاينطبق عليها نظم الصرف الصارمة
بإيصالات يوقع عليها من يتسلم المبلغ، وبناء على أوامرهما أسسنا شركة
أنها بدأت برأس مال محدود ثم زاد إلى ١٠٠ ألف جنيه . مـ
المخابرات. كانت هذه الشركة كمنظمة ساتر، ونجحت، وربحت، كنت
الدولة الذى كنت مسئولا أمامه عن ذلك، فطلب منى أن أتوسع فى نشـ
وهو مستعد أن يدفع من أموال الرئاسة مبلغ ١٠٠ ألف جنيه فيها، كما طل
المشير ١٠٠ ألف جنيه أخرى لزيادة نشاط الشركة من أموال الشئون العا
المسلحة وفعلا وافق المشير . وأصبح رأس مال الشركة ٣٠٠ ألف جنيه عا
وبالطبع كانت الشركة تربح. وكان الهدف هو استثمار هذه الأموال، وأر
عائد يخصص لأغراض يرونها إنسانية

عندما ربحت هذه الشركة تسلم عبد الناصر أرباحا على دفعتين، وقبل
يونيو ١٩٦٧ بفترة طلب مني المشير عامر مبلغ ١٠٠ ألف جنيه من حساب
ولم يكن يعلم أن الرصيد قد نقص نتيجة السحب، فقلت له أنه ليس لد
الحساب أكثر من ٦٠ ألف جنيه فوافق، وأعددت هذا المبلغ، والقصة
معروفة.

فأنا لم أقل أبدا، بأن عبد الناصر وعامر، كونا شركة للتجارة، فـ
للمخابرات، وكل ماقلته فى التحقيق عنها أننى سلمت أرباحها بعد استقا
محمد أحمد بموجب إيصال محفوظ لدى

** كيف تصرف عبد الناصر فى الدفعتين اللتين سلمتهما له، ولماذا طلب المشير هذا المبلغ؟

ــ تبرع عبد الناصر بهذه الأرباح وهى تبلغ حوالى٢٤ ألف جنيه لصندوق طلبة الجامعات

أما المشير فكان يطلب هذا المبلغ لتوزيعه على بعض النواحى الاجتماعية لأسر الضباط الشهداء.

** لماذا كان يتم السحب من هذا الحساب، ولأى الأغراض خصصت المبالغ المودعة فيه؟..

ــ هذه العمليات كانت حساسة جدا، لأنها تمس أسرا عديدة كان من المفروض أن يظل مايخصص لها فى طى الكتمان .. وحقيقة كانت الثورة تحافظ على مشاعر الأفراد الذين يتسلمون هذه المبالغ ولهذا لم تكن تؤدى بالشكل الرسمى بل كان يذهب من يوثق فيهم لتسليمها.

كانت هذه المبالغ مخصصة لمسائل انسانية بحتة، كإعانة أسر أو عائلات وكانت تُشترى منها أسهم لهم فى المجلس الحسبى، ويمكن أن أذكر لك أسماء بعض الذين قاموا بتسليم هذه الأموال أو أشرفوا على مثل هذه العمليات.. ممن أذكرهم الآن على سبيل المثال السيد حمدى عاشور واللواء / محمد السيد عبد الرحمن حينما كان مديرا للشئون العامة للقوات المسلحة. وقد ذكرت ذلك صراحة فى المحكمة أمام السيد/ حسين الشافعى ولدى عشرات الأسماء التى لاتسعفنى ذاكرتى بها الآن من أسر هؤلاء الذين تسلموا هذه الأموال أو السندات ولكن ليس من اللائق أن نجرح هذه الأسر التى فقدت عائلها.

** يقال أن جمال عبد الناصر هرب أموالا إلى الخارج عن طريق المخابرات، وأن له حسابات سرية فى البنوك الأجنبية فى سويسرا أو غيرها؟

ــ أجزم بالنفى وقد سبق أن وجهت إلىّ أثناء هذا الحوار هذا السؤال نفسه، وأجبت عنه من قبل ومرة أخرى أؤكد أنه حتى استقالتى فى ١٩٦٧ لم يحدث ذلك،

وإذا كان هـذا حقيـقة قـد حدث كمـا يتردد، فـلمـاذا لاتتدخـل الدولة وتـع
الأموال؟

** تـردد أنك أرهبت المحكمة التى حاكمتك وكانت برئاسة حسين الشاف

ــ هل يعتبر دفاع المتهم عن نفسه إرهابا للمحكمة..إنه فى عام ١٩٦٧ حاوا
محـكمة الثـورة أن يقوم بمنـاورة معى فكـشفتـها واستدعـيت محامـىَّ الدكتو
الرجال، فى السجن لأنه كانت قد حددت لىَ جلسـة بعـد يومين أو ثلاثة. و
معه على أن يدفع ببطلان التحقيق، لأنه لم تؤخذ أقوالى.. وأسررت إليه أننى
على أن تكون محاكمتى علنية.

حينما بدأت الجلسة وافتتحها رئيس المحكمة وقف الدكتور على الرجال لي
فطلب مـنه السيد/ حسين الشـافعى أن يجلس حتى يـنتهى الادعاء من مرافعـ
تيقن لي حدسى فوقفت فى القفص وخطبت قائلا:

«أيها الشعب.. وأشـرت على الادعاء وقلت: لقد حضر هذا الـرجل إلى ا
الحربى لمساومتى فرفـضت، وأنه سيذكـر الآن ادعاءات باتهـامات باطلة، لـم
أقوالى عنـها، وأن هذه مناورة من الادعاء.. ليـجعل الجلسة سرية.. ولـذا أعلن
تقررت أن تكون الجلسة سرية فإننى لن أتحدث».

وتدخل رئيس المحكمة، وقال بعد بداية حديثى مباشرة..

ــ كلمة أخرى سأخرج المتهم..

ولكننى واصلت الحـديث كدفاع مشروع عن نفسى حتى أخـلص ضميرى
رئيس المحـكمة علـى المقدم محـمد سلامة رئيـس الحرس، ليخـرجنى من المح
وكنت انـتهيت مـن هذه الكلمـات، فخرجت، مـن الجلسة كطـلب رئيس المح
وقلت له:

ــ «يـاعمر أنت قاض لست خصما.. ويجب أن يتسع صدرك لسماع أقوالى

وقد تحقق ما توقعته، إذ دارت مناقشات بعـد ذلك، وأمرت المحكمة بتحويلها
جلسات سرية، فأصـررت على عدم الحديث، إلا بعد جعل الجلسة عـلنية ، وبـ
أننى كنت أعلم أنه ليس هناك مايمس أمن الدولة وسلامتها.

وأنا أكثر الناس حرصا بموجب مفهومى للأمن على ذلك، ولكن محاميّ الدكتور على الرجال، دخل معى فى حوار طويل، وأقنعنى بأن الصمت ليس فى صالحى وأنك تستطيع أن تدافع عن نفسك وأن هذا سيسجل للتاريخ.

** لماذا إذن حقق معك وزير العدل السيد عصام الدين حسونة؟

ــ بعد تقديم استقالتى فى ٢٦ أغسطس ١٩٦٧، حضر إلى منزلى السيد شعراوى جمعة وزير الداخلية، فى الصباح المبكر ذات يوم، ومعه السيد حسن طلعت مدير المباحث العامة، وأبلغنى أنه تقرر تحديد إقامتى فى منزلى ومنع الدخول والخروج إلا لوالدى وأبنائى وأخواتى

وبعد وفاة المرحوم المشير، أحسست من الصحف أن هناك شيئا ما يدبر، وبخاصة أنهم حاولوا نقلى إلى المستشفى. وكانت صحتى لاتسمح حتى بمجرد نقلى فأصررت على عدم الذهاب حتى تتحسن صحتى، وتوجست شرا قدمت استقالتى يوم ٢٦ أغسطس وفى يوم ٢٧ أغسطس ــ بعدها بيوم ــ نشر خبر إحالتى إلى المعاش هكذا كان الرد على الاستقالة .

** ولماذا كنت تحتفظ بالسم الذى قيل أنك سلمته للمشير عامر فى مكتبك؟

ــ هذا السم لم يكن فى درج مكتبى، ولكنه كان محفوظا بأحد المخازن المجاورة لمكتبى ، ولقد سبق أن ذكرت لك أننا لم نستخدم أى سموم ضد أحد سواء كان مصريا أو عربيا أو أجنبيا أو متهما، ولحرصى على مستوى المسئولية أطالب بلجنة من مجلس الشعب تضم خبراء للتقصى حول هذا الأمر وتتبع تاريخ إنشاء هذا القسم ــ كما ذكرت لك من قبل ــ ذلك لأن أى قدر من العقاقير،أو المواد الخاصة بهذا السم، توضع فى المخزن بعد تسجيلها فى دفاتر خاصة، وإذا ما خرجت لعمليات البحوث فإنها تخرج بعد تسجيلها مهما كانت درجة الطالب.

** هل معنى ذلك أنه لم تكن هناك أخطاء أو انحرافات فى جهاز المخابرات؟

ــ أكون قد جاوزت الصواب إذا قلت لك: نعم ــ فما من جهاز يعمل إلا ويخطئ.. وما من أناس يعملون فى ظروف وعرة غير عادية، ويقابلون ظروفا قاسية،

ونطلب منهم العصمة، وعدم الخطأ فضلا عن أنهم أناس عاديون بشر، وليسوا أنبياء .إن من لايعمل هو الذى لايخطئ.. وكلمة انحراف هذه كلمة مطاطة لا حدود لها، وهى مسألة نسبية يختلف فيها التقدير

فإذا كنت تعنى أن الجهاز أنشئ لكى ينحرف عن مهامه وعن أهدافه، فهذا حكم مجحف ظالم

حدثت أخطاء كما تحدث فى أى جهاز أو أية مؤسسة، وهناك بعض تجاوزات أملتها الظروف، فليست المخابرات وظيفة روتينية، إنما المرونة والمبادرة واتخاذ القرار السريع، وتقدير الموقف والجرأة فى تحمل المسئولية هى سر نجاح أى جهاز مخابرات.

فإذا تجمعت كل هذه العوامل، فقد تحدث أخطاء.. وقد حدثت فى المخابرات العامة بعض أخطاء ليست انحرافات.

أما أن تعطى الصورة بأن هذا الجهاز، ماكان هدفه إلا أن يخطئ وينحرف، فهذا ظلم جارف أثير لأهداف سياسية، وتحمل رجاله حملة مسعورة استمرت ثمانى سنوات.. وأصبحت المخابرات العامة هى الشماعة التي علقت عليها كثير من الأخطاء، والجرائم والانحرافات البعيدة عنها.

وأنا لا أتهرب الآن من الإجابة عن هذا السؤال، باستفاضة، ولكنى سجلت ذلك فى مؤلف مؤيد بالوثائق والبراهين .. اسمه «المخابرات العامة المفترى عليها».

** ما حقيقة ما أطلق على رجال المخابرات من أنهم «زوار الفجر»؟

ـ قلت لك أن كل الاعتقالات التى قامت بها الدولة بواسطة أجهزتها المختلفة ألصقت باسم المخابرات.

وكان المخطط يستهدف صلاح نصر.. ومخابرات صلاح نصر . كأننى سجلتها فى الشهر العقارى باسمى . وأصبح الحديث عنها موضة العصر، فعلقوا عليها أخطاء الآخرين.

لم نكن زوار فجر، أو زوار نصف الليل، عمليات القبض كانت تتم بناء على أمر النيابة التى كانت تشترك فى التفتيش والقبض

موعد القبض يختلف وفقا لظروف كل حالة مصطفى أمين قبض عليه الساعة الثانية والنصف ظهرا بمنزله. الجاسوس لوتز قبض عليه فى وضح النهار . كثيرون من المشتركين في قضية مصطفى أغا قبض عليهم، في مكاتبهم أو بعد الظهر

هذا لايمنع من آن يتم القبض فى منتصف الليل أو فى الفجر إذا كان المتهم متهربا، ولايحضر لمنزله إلا فى تلك الساعات، فتنتظره النيابة حتى يدخل منزله ويتم القبض عليه، وستستمر أجهزة الأمن فى القبض على بعض المجرمين، آو المتهربين فى الفجر أو منتصف الليل . لقد آن الوقت لكى نلغى من معجم اصطلاحاتنا الاجتماعية، هذه المصطلحات العقيمة التى ليس هدفها إلا تغطية جرائم الخونة، والعملاء والمتآمرين.

وهنا أود أن أذكر أن التعاون والثقة المتبادلة بين المواطن، وجهاز المخابرات لها دور فعال فى التسهيل لاكتشاف نشاط العملاء، ولذا لايردد هذا الاصطلاح سوى هؤلاء الذين قد وضعوا فى مخططهم خلق حاجز الكراهية بين المواطن، والجهاز الذى يحميه من أعدائه.

لماذا أعلن عبد الناصر سقوط دولة المخابرات المنحرفة؟..

ــ تلك قضية سياسية بالدرجة الأولى ولقد قلت لك من قبل أننى لن أخوض فى تفاصيلها. وإن كنت قد سجلت هذه التفاصيل وأودعتها . سجل التاريخ.

كل ما أريد أن أؤكده، هو أننى سوف أظل وفيا وأمينا ومخلصا، للمبادئ التى خرجنا من أجلها ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، فليست ثورة ٢٣ يوليو ملكا لأحد. ولا مقصورة على أحد، وليست خاصة بأحد. فلقد قام بها أبناء من الشعب لمصلحة الغالبية من أفراد الشعب

3

النكسة

لابد مـن وقفة طويـلة حول هـزيمة يونيـو.. أسبابهـا من وجهـة نظر صلاح نـصر وتداعياتها حتى ترك بإرادته كل المسئوليات، قبل تحديد إقامته ثم القبض عليه.

** ولتكن بدايتنا من النهاية. من يوم أعلـن جمال عبدالناصر تنحيه عن الحكم . سمع صلاح نصر خطـاب عبد الناصر، ثم ذهب فوراً إلى منزل الـرئيس فماذا شاهد هناك؟

ـ يقول صلاح نصر: وكان هناك فى منزل عبد الناصر جمع من أشخاص كثيرين.. مسـئولين، وغـير مسئـولين.. مدنـيين وعسـكريين، وفـى البهو كـان يجلس عـدد من الوزراء وسحبنى محمد أحمد إلى الصالون الـكبير.. هناك كان عبد الناصر مجهداً.. بادى الـتعـب والإعيـاء.. ومعـه أنور الـسادات. وزكـريا مـحيـى الديـن. وحسـين الشافعى.. وثروت عكاشة وعلى صبرى

الصمت يخيم عـلى الجلسة كلها.. حتى قطعه صـوت أنورالسادات وهو يقول أن هذا لا يمكـن أن يحدث ـ يقصد تنـحى عبدالناصر ـ وعـلق حسين الشافـعى بثلاث كلمات «ده مش معقول» وكان زكريا محيى الدين قد طلب مندوب الإذاعة لتسجيل حديث يعلن فيه رفضه لرئاسة الجمهورية.

وفى هذه الأثـناء دخل سامى شـرف وصاح من على باب الـحجرة موجهاً حـديثه لزكريا محيى الدين قائلاً.

سيادتك موافق؟!

أشار إليـه زكريا بيـده، فجاءه على الـفور . وانحنى إلى جانبه، فـأسر إليه بـبضع كلمات فى أذنه وخرج سـامى شرف، وواصل زكريا محيى الدين حديـثه موجها إلى عبد الناصر:

ـ يا ريس أنت من حقك تتنحى.. ولكن مش من حقك أن تعين رئيسا للجمهورية بدلك. وأنا لن أقبل.

وجاء محـمد فائق وجـلس وقد بدا أنـه خارج من معـركة، فقد لمحـته الجماهـير يركب سيارته فى طريقه إلى بيت عبد النـاصر فتصوره البعض أنه زكريا محيى الدين الذى يشبهه، فانهالوا عليه بالضرب، لمجرد وهم بأنه سيحل مكان عبد الناصر.

بعد قلـيل ترك عبد الناصـر الصالون إلى حجرة مـكتبه.. وجاء إلىّ محـمد أحمد يدعونى لمقابلة عـبد الناصر. وفى الطريق إلى غرفة المكتـب قال لىَ وكان يلوم سامى شرف «يصح إنه ينكر مـنى تنحية الرئيس»، وطيبت خاطر محـمد أحمد فربما كانت هذه أوامر عبد الناصر.

وفى مكتبه كان عبـد الناصر يذرع الحجرة كالطير الحبيس فـى القفص وكان علىّ أن أقول له شيئا فى هذه المحنة محاولا التخفيف عنه، فقلت أن هذه ليست أول هزيمة فى التاريخ والدول تهزم عسكريًا ولكنها تستطيع أن تستعيد نفسها

وبصوت ملئ بالأسى والألم جاءتنى كلمات عبد الناصر:

- دى حكاية محمد على بتتكرر يا صلاح.

- والله يـاريس أحسن تـطلع تستريح دى الوقـت . وقبل أن أنهـى كلماتـى كان التليـفون يدق. رنين التلـيفون مزعج.. إنه يلاحـقنى فى كل مكان أذهـب إليه. وكان المتحدث هو الرئيس عبد الرحمن عارف من بغداد.. كان حديثا عاطفيا مقتضبا وعبد الناصر ينهيه سريعا وهو يقول:

- أشكرك يا أخ عبد الرحمن.

صعـد عبـد الناصـر كسيرا جـريحا إلـى غرفـته.. وتركـت المنزل وهو يـموج بمجموعات متناقضـة .. ومتباينة من الناس.. وخيل إلىّ أن أغلبهم جـاء ليتبين موقعه، وليعرف الرئيس الجديد.

وأخيرا أجد نـفسى أقود سيارتـى فى اتجاه مبنى المخابـرات العامة حيث مـكتبى .. الشوارع مظلمة. والناس تتجمع من كل مكان.. وأحاول أن أجتازها

وأنا أختـار طرقات ضيقة بـعيدة.. وتتركز أمـام عينى صورة أخرى مـن صور أيام ثورتنا.. وفى فجرها.. أحداث مارس ١٩٥٤.

لقد كان هناك حشد كبير من الضباط فى مبنى القيادة العامة بكوبرى القبة ينتظرون قرارات مجلس الثورة بعد وصول أزمة مارس إلى ذروتها وعندما خرج صلاح سالم من غرفة الاجتماع فى مكتب القائد العام ليعلن أن المجلس قرر عودة الجيش إلى الثكنات وتسليم السلطة إلى محمد نجيب وخالد محيى الدين وأنه سيبلغ حماد مدير الإذاعة بذلك.. انفض الجمع كله عن عشرة .

لقد ذكرتنى الجموع المحتشدة فى منزل عبد الناصر بهذه الصورة وابتسمت بمرارة، وأنا أتذكر أن كلمات صلاح سالم لم تنفذ . ولم يعد الجيش إلى ثكناته . وعادت الجموع المحتشدة تؤيد المنتصر.. وتباركه.

وبعد أن تم وقف إطلاق النار على الجبهات الثلاث - مصر وسوريا والأردن - وبذلك انتهت العمليات العسكرية لحرب الأيام الستة، وجثم على صدر الأمة العربية كابوس رهيب، كتم أنفاس أبنائها، ونقلهم إلى بحر من الظلمات

وفقد زعيم القومية العربية ورائدها هيبته. وأحس بأن نجمه يأفل، وأحس بأن أسطورة قوة مصر قد تبددت وبدت أمام أعين عبد الناصر فداحة الخسائر المادية وخاصة أعداد الضحايا الذين استشهدوا فى الحرب

كان الموقف عصيباً مريرا كيف سيواجه عبد الناصر شعبه بعد نجاح تمثيلية ٩، ١٠ يونيو؟ وهل سيستقبل شعبه بسهولة ما أصاب البلاد من بلاء؟ وبأى السبل سيتصدى عبد الناصر للحرب النفسية التى سوف يشنها عليه خصومه فى الخارج وفى الداخل؟ هل فى استطاعته أن يمتص نقمة الجماهير دون أن يتأثر منها الحكم، أو تشوب زعامته شائبة؟

هذه تساؤلات من أسئلة عديدة لاحصر لها، راودت ذهن عبد الناصر، منذ أن عاد بعد إعلان تنحيته.

كان شاغله الأكبر منذ أول وهلة موضوعين رئيسيين:

أولهما: الخوف على الجبهة الداخلية من التمزق، واحتمال التمرد على نظامه، وثانيهما: البحث عن وسيلة لامتصاص نقمة الهزيمة بعد أن اتضحت للشعب ملامحها وأبعادها التى كانت خافية عليه يومى ٩، ١٠ يونيو.

وفى مساء يوم ١٠ من يونيو، اتصل بى عبد الناصر هاتفيا فى ساعة متأخرة من الليل، وطلب منى أن أولى اهتماما بالموقف الداخلى، وألمحت له أن هذا من مسئولية وزارة الداخلية والمباحث العامة، فضلا عن أن هذا سوف يؤثر على عملنا فى الخارج.

قال لىَ: لايهمنى فى هذه الفترة أى شىء عن الخارج. ولا أريد منك أن تبذل أى نشاط فى الخارج. أريد أن أعرف كل ما يدور فى الداخل.. أريد تقارير مستمرة عن الرأى العام الداخلى.

قلت له: إن هذا من صميم عمل المباحث العامة وسوف يخلق هذا الإجراء نوعا من المنافسة المدمرة بين الأجهزة أجاب عبد الناصر: أنا لا أثق فى المباحث العامة وأحملك مسئولية أمن البلاد الداخلى فى تلك الظروف وأريدك أن تنتشر فى جميع المحافظات وتحمى البلاد من أى تخريب معنوى أو مادى.

كان عبد الناصر حازما فى تعليماته، وأحسست بجسامة المسئولية فى تلك الظروف، وما تتعرض له البلاد من ويلات فقبلت المهمة العسيرة وحولت المخابرات من جهاز معلومات إلى جهاز أمن.

ومن الظريف أن المدعى العام فى محاكمات عام ١٩٦٧ أمام محكمة الثورة أخذ علىّ هذا الإجراء الذى كلفنى به عبد الناصر، وقال أننى اهتممْت بالداخل وأهملت الخارج مع أنه فى واقع الأمر لم يتأثر نشاطنا الخارجى لأن رجاله استمروا فى عملهم كالمعتاد

وفى يوم ١٠ يونيو، تجهز عدد كبير من الضباط بمختلف رتبهم بمنزل المشير فى شارع الطحاوية بالجيزة، بعد أن سمعوا بعودة عبد الناصر، وطالبوا بعودة المشير عبد الحكيم عامر.

وكان المشير عبد الحكيم عامر قد غادر منزله صباح هذا اليوم إلى منزل فى شارع أحمد حشمت بالزمالك معد لزواج ابنة عصام خليل، حتى يبتعد عن مقابلة أى إنسان، وبخاصة الضباط، كى لاتؤول هذه المقابلات فى صورة ما

صحيح أنه بدا أن الضباط فى مظاهرة تطالب بعودة قائدهم وعلا صخب وضجيج ولم يستطع أحد إقناعهم، فاتصل بى هاتفيا تابع للمشير يدعى متولى السيد،

ورجانى أن أحضر إلى المنزل لأطيب خاطر الضباط وأصرفهم بالحسنى، وسألت متولى عن المشير فذكر لى عنوانه فى شارع أحمد حشمت وأعطانى رقم هاتف المنزل الذى يقيم فيه.

ولم أشأ أن أتدخل فى هذا الأمر بنفسى، ذلك أننى آليت على نفسى منذ عدة سنين ألا أتدخل فى شئون الجيش، وذلك بعد أن حاول بعض المحيطين بعبد الناصر الدس لىَ بأننى أتقابل مع بعض ضباط الجيش.. لأدبر انقلابا عليه.

واتصلت بعبد الحكيم عامر هاتفيا، ورجوته أن يعود إلى منزله ليصرف الضباط، ولكنه ذكر لىَ أنه سيرسل لهم من يصرفهم، وكلف ضباط مكتبه بهذه المهمة ولكن الضباط رفضوا الانصراف، إلى أن خرج لهم الفريق صدقى محمود قائد الطيران وأبلغهم أن المشير سيتوجه إلى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة فى صباح اليوم التالى.

لم يكن هذا يمت إلى الحقيقة بشىء، فلم يكن فى نية المشير عامر أن يذهب إلى القيادة، ولكنه اتخذ هذا السبيل حتى يصرف الضباط من منزله، ولايؤول تجمعهم بأى معنى.

وفى صباح اليوم التالى أى يوم ١١ من يونيو توجه لفيف من القادة وعدد كبير من الضباط من مختلف الرتب، إلى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة، ووجدوا الفريق أول محمد فوزى يجلس على مكتب المشير عامر

وثار بعض الضباط على مسلك محمد فوزى ، وصاح اللواء عبد الرحمن فهمى غاضبا وقال أن فوزى يريد اغتصاب منصب المشير عامر، وأثار ذلك سخط أغلب الضباط الذين كانوا فى المكتب ، ووجهوا إليه سبابا مقذعًا

وفى صباح هذا اليوم كان قادة الأسلحة الثلاثة - الجيش والبحرية والطيران - وبعض كبار القادة قد اجتمعوا فى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة، وقدموا استقالاتهم إلى رئيس الجمهورية.

وعلم عبد الناصر بما حدث فى مقر القيادة العامة، فقبل على الفور استقالة القادة الكبار، وأحال إلى التقاعد الرتب الأخرى، وكانت هذه بمثابة أول حركة تطهير للتخلص من الضباط الذين تعاطفوا مع المشير عامر.

وأثار الضباط المحتشدون فى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة مناقشات ومجادلات، وطالب أغلبهم بضرورة عودة المشير عامر إلى منصبه طالما عاد عبد الناصر إلى الحكم.

وتعقد الموقف نتيجة حماس سرية المشير عبد الحكيم عامر المعسكرة داخل الحلمية، واستقل أفرادها العربات برئاسة الرائد أحمد أبونار. تحركوا إلى خارج مجلس القيادة العامة للقوات المسلحة مرددين الهتاف ' ناصر .. عامر.

ونقل العقيد سعد زغلول عبد الكريم قائد الشرطة العسكرية هذه الصورة مشوهة إلى عبد الناصر، وأفهمه أن هناك مظاهرة عسكرية قامت بها سرية حرس المشير، اقتحمت مجلس القيادة العامة للقوات المسلحة كنوع من الضغط على عبد الناصر لعودة المشير عبد الحكيم عامر، مما أغضب عبد الناصر، وقرر نقل ضباط السرية.

اتصل بى عبد الناصر فى صباح اليوم التالى، كان غاضبا ، وطلب منى أن أبحث هذا الأمر، وأبلغنى أنه سيرسل لىَ العقيد سعد زغلول عبد الكريم الذى لديه كل المعلومات عن هذا الأمر

وحضر سعد زغلول عبد الكريم لىَ فى المكتب ، واتضح لى من مناقشته أن الأمر لايتعدى مظاهرة سلمية أراد بها الضباط والجنود أن يعبروا عن مشاعرهم إزاء إحساساتهم بالعلاقة التى تربط بين عبد الناصر وعامر، كما أن العربات التى كانت تنقل الجنود لم تقتحم مقر القيادة، بل بقى الجنود خارج المبنى.

كانت هذه أول بذور الفتنة بعد انتهاء العمليات الحربية ووقف إطلاق النار، بذرها من أرادوا الفتنة للوقيعة بين عبد الناصر وعامر، إذ كانوا يأملون أن الجو سيخلو لهم بعد التخلص من عبد الحكيم عامر

ولأعد إلى صباح يوم الأحد ١١ يونيو لأوضح كيف تم تعيين الفريق محمد فوزى قائدا عاما للقوات المسلحة.

كنت فى ذلك اليوم أحس بإرهاق شديد نتيجة العمل المضنى المتواصل فى الأيام السابقة، وحاولت أن أحصل على قسط من الراحة، فاعتكفت فى المنزل وقرابة الساعة الثانية عشرة ظهرا اتصل بى عبد الناصر هاتفيا، وسألنى عن المشير عامر، فأخبرته بأننى

علمت أنه يقيم فى شقة بالزمالك تخص ابنة عصام خليل، وذلك كى لايقابل الضباط الذين كانوا قد تجمعوا فى منزله بشارع الطحاوية بالجيزة.

وتفرع بالحديث فقال أنه قرر أن يعين قائدا عاما للقوات المسلحة وطلب منى المشورة؟

سألته . هل تريد قائدا عسكريا أم قائدا سياسيا ؟

أجاب : أريد قائدا محترفا لايشترك فى العمل السياسى

رجوته أن يشرك المشير عامر فى الأمر. فطلب منى أن أحضر له فى منزله بمنشية البكرى.

وخلال الحديث رشحت له الفريق أول عبد المحسن مرتجى، ولكن يبدو أنه كان قد استقر على تعيين محمد فوزى، إذ قال : مرتجى خارج من معركة خاسرة ما رأيك فى الفريق فوزى ؟

قلت : كلنا خارجون من معركة خاسرة. وفى رأيى أن مرتجى أكثر عسكرية من محمد فوزى، وأفضل قيادة.

وأحسست من هذا الترشيح بداية تكتل الشلل ، ففوزى قريب لسامى شرف، ويستطيع سامى شرف أن يحركه كيفما يشاء وفقا لأهوائه، لتحقيق أهدافه فى القوات المسلحة.

ولم أكتم هواجسى عن عبد الناصر ، فأبديت له بصراحة وجهة نظرى ، ذكرته بأنه كان يريد التخلص من محمد فوزى فى صيف عام ١٩٦٦ ، ولكن عبد الحكيم عامر سانده وبقى فى منصبه.

قال عبد الناصر :إنك تحمل الأمور أكثر من اللازم.. إن سامى شرف ليس إلا سكرتيرا لىَ، ولن يجرؤ أن يقوم بعمل أى شيء من خلفى، كما أن محمد فوزى سيعمل تحت أمرى مباشرة.

لم أقتنع بوجهة نظره، وأحسست أن شيئا ما يدبر وطلب منى عبد الناصر أن أحضر له المشير

توجهت إلى الزمالك، ووصلت إلى منزل عصام خليل حوالى الثانية

فوجىء المشير بحضورى، وكان شمس بدران يجلس معه وشقيقه حسن عامر وعصام خليل واثنان من أفراد أسرته.

وما أن جلست بجانب المشير عامر لأطلب منه أن أنتحى به جانبا لأبلغه رسالة عبد الناصر، حتى دق جرس الهاتف، توجه شمس بدران إلى الهاتف وبعد حديث قصير استدعى المشير عامر على الهاتف ليتحدث مع عبد الناصر.

وسمعت عبد الحكيم عامر يقول لعبد الناصر · على خيرة الله.

وبعد قليل عاد عبد الحكيم وقال للحاضرين : لقد تم تعيين محمد فوزى قائدا عاما، وسيذاع النبأ فى نشرة أخبار اثنين ونصف مساء، وعلق المشير قائلا: «اختيار غيرموفق».

ومع أن عبد الحكيم قد بدت على وجهه سعادة ظاهرية بأنه ألقى من على كاهله مسئولية العمل السياسى، فقد أحسست أنه يحس بمرارة نتيجة تصرف عبدالناصر معه.

وأسقط فى يدى، وأصبحت مهمتى لاقيمة لها، فلم أتحدث فى الأمر الذى حضرت من أجله وانصرفت بعد وقت قليل عائدا لمنزلى.

كان محور حديث عبد الحكيم عامر يدور حول أن الرؤية أصبحت واضحة أمام عينيه، وأن لعبة التنحى قد ظهرت معالمها.

وكان هم عبد الحكيم عامر بعد تعيين فوزى ينحصر فى أن يستغل عبد الناصر الموقف، فينكل بالضباط الأحرار أو الضباط الذين أبدوا تعاطفاً معه فى هذه الأزمة

وقبل أن أتحدث عن وزارة مابعد النكسة أرجع قليلا للوراء فى صيف ١٩٦٦ كان الحديث يدور بين عبد الناصر وبينى فى استراحة المعمورة، حول الوزارة، وكان قد فكر فى تغيير الوزارة هذا العام، وأصبح اسم صدقى سليمان من المرشحين لرئاسة الوزارة

وكان من رأيى أن مصر تمر بظروف صعبة، وأن على عبد الناصر أن يتولى بنفسه

رئاسة الوزارة ولكن عبد الناصر كان يرى أن رئيس الوزراء ينبغى أن يحضر جلسات مجلس الأمة، ويكون مسئولا أمام البرلمان لذلك قرر اختيار صدقى سليمان رئيسا للوزارة التى أطلق عليها اسم وزارة الإنجاز.

تذكرت هذه الواقعة عندما اتصل بى عبد الناصر بعد النكسة ليخبرنى أنه سعيد بتشكيل الوزارة، وأنه سوف يرأسها بنفسه، وأن نوابه جميعا سيتولون مناصب وزراء... وحبذت الفكرة، ولكننى صدمت عندما قرأ لىَ عبد الناصر أسماء الوزراء إذ لم أجد تعديلا يذكر.

ولما أبديت هذه الملاحظة قال عبد الناصر لىَ طيب رشح لىَ أنت. عندك لغاية بكرة

وأجبت، المسألة تحتاج إلى فترة مناسبة

وطلب منى عبد الناصر أن أرشح له وزيرا للحربية فسألته مهلة يوم كى أفكر وأبحث ، ولكن عبد الناصر سألنى عن رأيى فى عبد المحسن أبو النور.. كمرشح لوزير الحربية

وأيدت هذا الترشيح. ولكن فى اليوم التالى، عاد وقال أنه يفكر فى أمين هويدى.

وفى اليوم التالث، وكانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.. دق جرس الهاتف فى مكتبى وكان المتحدث هو عبد الناصر وكان معتادا أن يطلبنى فى مثل ذلك الوقت من غرفة نومه، قبل أن يأوى إلى فراشه وقال لى :

- أنا دورت على وزير حربية. مالقيتش غير واحد بس ينفع.

ونظرا لفهمى العميق لشخصية عبد الناصر، فقد أدركت على الفور طبيعته، ولكنى أحبته

- مين هوه

وكما توقعت . قال . صلاح نصر .

واعتذرت قائلا : والله يا ريس أى مكان مستعد أخدم فيه إلا المنصب ده. لأن هذا الأمر بالنسبة لىَ يمثل أمورا معنوية ونفسية، لاأستطيع التغلب عليها وكنت

أعرف أنه يريد أن يجرى تطهيرا فى الجيش لأعوان عبد الحكيم عامر ورفضت .. وبعد أن أذيع تشكيل الوزارة الجديدة بأسبوع اتصل بى عبد الناصر وسألنى عن رأيى فى أن أعين وزيراً للدولة لشئون المخابرات حتى يكون لىَ حق حضور جلسات مجلس الوزراء.

وقلت له : ليس هناك فى أى دولة فى العالم وزير لشئون المخابرات ويمكن أن يصدر قراربحضورى مجلس الوزراء أسوة بالقرار الذى صدر للدكتور محمود فوزى مساعد رئيس الجمهورية للشئون الخارجية حينئذ.

وبعد النكسة بحوالى أسبوعين، طلب عبد الناصر منى أن أقوم بزيارة لمنطقة القناة . فقد وصلته أنباء بأن الموقف سيىء للغاية، تركت القاهرة، ، وهى تموج بشائعات، وتمتلىء شوارعها بنكات بذيئة يرددها الناس دون وعى، استجابة لحرب نفسية مدمرة أعلنت على القوات المسلحة وكان يحز فى نفسى، أن نواجه أبناء الشهداء.. أو الذين عادوا بعد أهوال، بهذه الحملة الظالمة من السخرية.

وبدأت زيارتى لمنطقة القنال بمدينة الإسماعيلية بصحبة حامد مهابة أحد نوابى.

وفى الإسماعيلية وجدت صورة مهلهلة للقوات المسلحة.. الجنود يملأون المقاهى.. والشوارع .. وهم فى حالة رثة.. وضياع كامل ..فلول هنا وهناك مما ذكرنى بما حدث لثورة عرابى.. وكيف وصفت بأنها «هوجة».

سألت الجنود عن مقر القيادة العامة، فلم يعرفها أحد منهم.. سألت الشرطة العسكرية، ولم تكن معلوماتهم تزيد عن معلومات الجنود.

جلست مع ضباط القيادة.. وأذكر أن موضوع عودة المشير طرح.. ولكنى أجبت بأن المعركة معركة مصير، ومعركة بلد.. وليست معركة أشخاص فوافق الضباط.

وجلست مع اللواء مجدى نجيب ، الذى كان منهمكًا فى تصريف العمل لأقف منه على الموقف داخل صفوف فرقته.. فقال أنه يحتاج إلى تدعيم بنسبة ٧٠٪ للقوات . وأن نسبة التسليح ٤٠٪ وقال لى: إننى حقا أحب المشير ولكننى أحب واجبى وبلدى أكثر.

ومن الطريف أن السلطة استغلت هذه الزيارة بعد ذلك، فحاولت إدخال مجدى نجيب فيما أطلق عليه مؤامرة ١٩٦٧ نتيجة لهذه الزيارة.

وفى اليوم التالى توجهت إلى السويس، يصحبنى مدير مكتبى وجيه عبد الله.. وكان المحافظ حامد محمود ينتظرنى، وجمع لى القادة.. اللواء عبد القادر حسن واللواء فايق البورينى.. واللواء يسرى عليوة.. وكانت السويس كالإسماعيلية مليئة بالجنود ومايزال بعضهم يتدفق من الضفة الشرقية .. وجلست معهم.. جلسة طويلة ذكرتنى بالأيام التى أمضيتها مديرا لمكتب القائد العام فى السنوات الأولى من الثورة وكيف كنت ألتقى بالضباط والجنود فى وحداتهم.. نحل معا المشاكل.. وننظر فى المطالب. ونتبادل الرأى فى المواقف السياسية.

وطوال هذه الزيارة كنت أسمع قصصا مريرة . جنود الاحتلال كيف يتهكمون على جنودنا.. كيف ينهالون عليهم بالأذى . والشتائم.. وكيف يطلبون منهم بطيخة، أو بضع علب من السجائر مقابل أسير. وعندما يحصلون على البطيخة، والسجاير، لايجدون أسرى بل يسمعون سبابا وتهكما.

سمعت كيف اصطاد الإسرائيليون الأسرى - وحطموا آدميتهم، فرقوا بين الضباط والعساكر من الملابس الداخلية. يتركون الجنود.. ويأخذون الضباط.

وفى مكتبى كنت قد رأيت صورا وحشية للحرب.. جثث أبنائنا الشهداء ملقاة فى الصحراء تنهشها الكلاب الضالة.

سياراتنا المصفحة متناثرة فى الوديان، بعد ضربها بالقنابل الحارقة.. إن كل واحد من هؤلاء أحد أبنائى، وإخوتى.. من المسئول عن ذلك كلنا مسئولون . النظام بأكمله مسئول.

كانت هذه الخواطر السريعة تتردد فى ذهنى وأنا أقدم لعبد الناصر تقريرا أمينا بالموقف على الجبهة.. من خمس نقاط: -

أولها: أن الروح المعنوية لدى الضباط والجنود، مرتفعة وعالية ولكن ينقصهم الأفراد. والمعدات، وهذا ما يشغلهم بالدرجة الأولى

٢- لابد من خطة شاملة، وعاجلة وسريعة، لإعادة تنظيم الخط الدفاعى على طول القناة وتعزيزه بالأفراد.

٣- هناك سخط عام من تصرفات الفريق فوزى القائد العام، ويسود الضباط اعتقاد بسيطرة سلاح المدفعية نتيجة للتعيينات التى أجراها بعد تعيينه

٤- هناك إحساس بين الضباط بعدم الاطمئنان نتيجة الدس لهم.

٥- شعور حماسى من الضباط بالرغبة فى الانتقام من إسرائيل بمحاولة عمل أى شيء.

وحينما كنت فى السويس، وبعد الغداء - اقترح علىّ المحافظ حامد محمود أن نقوم بجولة فى المدينة وعند كوبرى المعدية وقفت على امتداد الكوبرى فرأيت العلم الإسرائيلى على الضفة الشرقية لقناة السويس لأول مرة مرفوعا تضيئه المشاعل.

لم أتمالك نفسى.. وكدت ألقى بنفسى فى القناة لولا بقية من إيمان عدت إلى القاهرة وأنا أحمل شحنة من الآلام أكبر من أن أتحملها . لابد أن يكون هناك خطأ عام. خطأ فى الحكم . خطأ فينا أدى إلى ذلك.

لم أستطع النوم لأيام متتالية، وكل الصور التى رأيتها، وسمعتها عن الحرب تمر أمامى كل دقيقة.

قررت أن أعمل حتى يزول العدوان . فأنا أحد شركاء النظام.. النظام كله مسئول . ولابد أن أستمر فى عمل أى شيء حتى يزول العدوان وبعدها أطلق السياسة إلى الأبد

هكذا كنت أفكر وأمامى الصور المليئة بالآلام. والدموع. صور شهدائنا على الضفة الشرقية . والزوجات الثكلى على الضفة الغربية والأبناء ينتظرون.

ومصر كلها تتوجع، وتتألم.

إنها الحرب أبشع ماتقوم به البشرية . فكم هى بشعة بالنسبة للمهزوم . والمنتصر أيضا.. إننى كضابط درس فن الحرب، وعاشها أقرر أن الحرب هى أكبر جريمة يرتكبها الساسة . تحركهم إليها أطماع ويدفع الشعب المسكين الثمن دائما وتحت شعارات عديدة تساق الشعوب إلى هذه المجازر الدامية.

لست داعية استسلام.. فالحرب امتداد للسياسة بوسائل أخرى.. ولو نظر ساسة العالم إلى بشاعة ما يرتكبونه بالإقدام على الحرب.. لانتصرت السياسة وسقطت الحرب.. وعاش الناس.. فى سلام.. قائم على العدل..

لقد كان ما يخبئه القدر لايقل إيلاما عما رأيته على الجبهة.. لقد بدأت مأساة أشبه بالمآسى الإغريقية.. تلك هى نهاية علاقة عبد الناصر بالمشير عامر.. كيف بدأت هذه العلاقة.. وكيف استمرت.. وماهى الخلافات بينهما.. ثم كيف انتهت.. هذه مأساة أخرى.

فقدكان عبد الناصر يهوى أسلوب تأليب أجهزة الدولة بعضها على بعض، فتعيش فى تنافس غالبا ما كان مخرباً ومدمرا. ومع أنه كانت هناك اختصاصات لكل جهاز، ومسئوليات محددة، فكثير ماكان يكلف بعض الأجهزة بأعمال خارج اختصاصاتها.

فعلى سبيل المثال لم يكن الأمن الداخلى للبلاد من اختصاصى، ولم أتحمل مسئولياته أو أتدخل فى أعماله طوال خدمتى حتى قيام حرب يونيو. ولكن ـ كما ذكرت سلفا ـ حملنى عبد الناصر مسئولية الأمن الداخلى بعد وقف إطلاق النار، وفى الوقت ذاته استخدم التنظيم السرى الخاص بالاتحاد الاشتراكى كجهاز أمن ودعاية له يعمل فى اتجاه آخر.

كان هذا التنظيم يعمل أطلقوا عليه اسم «الالتزام الحزبى» أى أن كل عضو فى الجهاز يمكن أن يكلف من التنظيم بأى مهمة بلا أدنى جدال أو نقاش، أو حتى التحقق من صحة ما يتداولونه من أخبار وكان يقاس ولاء العضو بمدى استجابته لتعليمات رئاسة التنظيم، وبمدى التزامه بما يريده التنظيم.

وكانت أولى الحملات التى شارك فيها الأفراد من هذا التنظيم تلك التى وجهت للهجوم على القوات المسلحة بعد وقف إطلاق النار، فخرجت من التنظيم النكات البذيئة التى كانت تحط من كرامة الضباط والجنود والقيادات، وانتشرت بين أفراد الشعب انتشار النار فى الهشيم.

وتدخلت فى هذا الأمر، وأبديت لعبد الناصر مخاطر تشجيع هذا الاتجاه ، وبخاصة أن المعركة من المحتمل استئنافها فى أى وقت. وضربت له مثلا بما حدث

فى الحرب العالمية الثانية حينما تعرضت بريطانيا لضربات قاسية متتالية وهزائم متكررة ، ومع ذلك كانت حكومتها وشعبها يمجدان قواتها الباسلة المقهورة، ونصحت عبد الناصر ألا يشجع هذا الاتجاه، ولكن الحملة استمرت لفترة عدة أشهر. مما حط من معنويات رجال القوات المسلحة.

وفى رأيى أن تلك الحملة من الشائعات كان هدفها سياسيا، لامتصاص نقمة الشعب نتيجة ما حدث فى حرب يونيو ١٩٦٧، وبخاصة بعد أن تبين للناس صورة الخسائر الفادحة، وما منى به الجيش من بلاء سواء فى الأرواح أو المعدات، ولذا قدم رجال القوات المسلحة قربانا على مذبح الأهواء والنزوات.

على أن ثمة حادثا آخر يحتاج إلى تسجيل فما أن نشبت الحرب حتى قامت المباحث العامة التابعة لوزارة الداخلية بحركة اعتقالات واسعة النطاق شملت كل من كان له سجل فى أرشيفها.

وتم اعتقال عدد كبير من أقطاب الأحزاب السياسية القديمة.. وعلمت بهذا الأمر، فأبلغت عبد الناصر وجهة نظرى المعارضة لهذا الإجراء الذى لا مبرر له لأنه - من رأيى - كان سيؤدى إلى بلبلة الجماهير، وإثارة الناس، وبخاصة أن هؤلاء الناس لا يشكلون أى خطورة على أمن البلاد.

كما أبلغته أن هناك كثيرا من المعتقلين السياسيين الكبار قد تعرضوا لإهانات وشتائم فى مبنى المباحث العامة

والواقع أن عبد الناصر استجاب فورا، وقال لىَ أن هذا الإجراء تم بدون علمه، وأنه سيأمر وزير الداخلية فورا بالإفراج عن جميع المعتقلين الذين اعتقلوا فى أعقاب نشوب الحرب.

ولكن ما أن أفرج عن هؤلاء الناس، حتى قامت المباحث بعد ذلك بحركة اعتقالات أخرى.

وتطورت الأحداث فشملت الاعتقالات ضباط الجيش الذين أودعوا السجن الحربى.

ولقد انتابت عبد الناصر بعد حرب يونيو حالة من القلق والشك فى كل شىء،

وكان حساسا بدرجة كبيرة إزاء الموقف الداخلى. وكان بعض الذين يحيطون به قد صوروا له أن هناك حركات تعمل للقضاء عليه، مما جعله يسرع إلى استدعاء الحرس الجمهورى من الجبهة إلى ثكنات الحرس استعدادا لأى طارىء.

وسادت البلاد موجة من الشائعات السياسية المخربة وكانت تقارير الرأى العام التى توزع على نوابه ووزرائه تحمل صورة قاتمة للموقف الداخلى .

وفى يوم ما اتصل بى هاتفياً، وأصدر تعليماته لىَ بأن أوقف توزيع تقارير الرأى العام على نواب رئيس الجمهورية وعلى الوزراء، وأن يقتصر التوزيع على نسخة واحدة ترسل إليه، ولما سألته عن السبب أجاب :

«أنت بتوزع عليهم هذه التقارير فيقوموا بنشر ما جاء بها من معلومات وشائعات».

وأصبحت فى موقف حرج، فقد سأل بعض نوابه ووزرائه عن هذه التقارير، فذكرت لهم أن الرئيس أصدر أمرا بوقفها

وكان أول شاغل لعبد الناصر بعد الحرب وبعد عودته، أن يسيطر سيطرة كاملة على القوات المسلحة ويخضعها لسلطانه.

وكان لعبد الناصر بعض العيون من الضباط داخل القوات المسلحة تأتى له بالأخبار والمعلومات، وكان سامى شرف يتصل بهؤلاء الضباط، وفى بعض الأحيان يقابل عبد الناصر هؤلاء الضباط لرفع معنوياتهم.

وقد أدى هذا الأمر إلى وقوع احتكاكات بين عبد الناصر وعامر، وإلى زيادة التوتر بينهما، كما كان شمس بدران مسئولا عن تأمين القوات المسلحة عن طريق وضع أعين له من الضباط داخل القوات المسلحة، ولهذا نشأ صراع خفى بين رئاسة الجمهورية والقيادة العامة للقوات المسلحة حول هذا الأمر، شعر به كثير من الضباط وكان له أثر سيىء على الروح المعنوية داخل القوات المسلحة.

وكانت القوات المسلحة تقلق عبد الناصر بصورة خطيرة، وبخاصة بعد أن تجمع عدد ضخم من الضباط فى منزل المشير مطالبين بعودته، وبعد أن ذهب لفيف من الضباط إلى عبد الناصر يطالبونه بعودة المشير عامر إلى مناصبه.

ولذا كان أول عمل قام به فى القوات المسلحة هو قبول استقالة قادة الأسلحة الثلاثة وإحالة عدد من القادة إلى التقاعد. . وبدأ يفكر بعد ذلك فى تطهير القوات المسلحة من جميع الضباط الأحرار أو الضباط الذين أظهروا تعاطفا مع عبد الحكيم عامر.. وأسند هذه المهمة إلى زكريا محيى الدين ومحمد فوزى وسامى شرف.

وحدث أن أتصل محمد فوزى بوجيه عبد الله مدير مكتبى وأبلغه أن الرئيس قد شكل لجنة برئاسة زكريا محيى الدين لتطهير القوات المسلحة من بعض الضباط، وأن الرئيس يهمه أن يحضر السيد رئيس المخابرات هذه اللجنة التى ستعقد فى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة .

وأبلغنى وجيه عبد الله بالرسالة، ولكنى لم أذهب إلى القيادة ولم أشترك فى هذه اللجنة، فقد كنت أحس أن هناك كثيرا من الضباط سيخرجون فى هذه العملية، وعلمت أنه أعدت كشوف فعلا بهم لإحالتهم إلى التقاعد

وخرج عدد كبير من ضباط الجيش، ولم يكتف بذلك، إذ تشكلت لجنة أخرى برئاسة عبد الناصرحضرها كل من زكريا محيى الدين ومحمد فوزى قائد عام القوات المسلحة ومدكور أبو العز قائد الطيران واللواء أبو ذكرى قائد القوات البحرية وتيسير عبد الرحيم كاتم أسرار الحربية وأنا.

وقبيل انعقاد المؤتمر بساعات قليلة دعانى عبد الناصر لحضور هذا المؤتمر. .. وأسقط فى يدى فتوجهت إلى منز ل عبد الناصر، وأحسست من المناقشة أن هناك كثيرا من الضباط سيحالون إلى التقاعد.

ومع أن عبد الناصر قال فى بدء المؤتمر بأن اللجنة ينبغى أن تكون محايدة بعيدة عن الانتقام، فقد قاد محمد فوزى خطة عنيفة للتخلص من كل من أبدى تعاطفا مع المشير عامر، ولتصفية خلافات قديمة.

وقد رد عبد الناصربأن قال : إننا يجب أن نراعى المصلحة العامة... ولايعنى أن اتصال ضباط بشمس بدران يجلب إليهم أى شبهة فشمس بدران كان مسئولا عن تأمين القوات المسلحة، وكان واجبه أن يتصل بالضباط.

ودارت المناقشات واتخذت جانبا من مدكور أبو العز الذى قاوم اتجاه فوزى،

ولجحنا فى عدم تصفـية كثير من الضباط الأكفاء وخرج الكشف الـثانى من منزل عبد الناصر بإحالة عدد صغير من الضباط إلى التقاعد.

وحدث خلاف بين الفريق محمد فوزى والفريق مدكور أبو العز.

فقدكان فوزى يـرى أن يرأس القوات الثلاث . ولكن مدكـور أبو العز.. عارض هذا الرأى.. ولم يُتخذ قرار حاسم فى هذا الأمر.. بل ترك الموضوع معلقا

ثم ذهب المشير عامر إلى قريته اسطال للإقامة فيها ، وذهبت إليه هناك

ولقد أراد المشير عامر بذلك أن يبتعد عن القاهرة بعد تعيين الفريق محمد فوزى قائدا عاما للقوات المسلحة، حتى يترك لعبدالناصر حرية العمل. فغادر القاهرة مساء ١١ يونيو ١٩٦٧ إلى قريته أسطال من أعمال محافظة المنيا

وفى الطريق طلبنى المشير عامر من سيارته بواسطة الهاتف اللاسلكى، وطلب منى أن أخبر الرئيس عبد الناصر بأنه سيقيم فى أسطال، كما أعطانى رقم تليفونه.

وأبلغـت عبد الناصـر بذلك، فطلـب المشير عـامر هاتفيـا، وطلب منه الـعودة إلى القاهرة، حتى لا يسبب رحيله بلبلة داخل الجيش فى تلك المرحلة، واستجاب وحضر إلى القاهرة ولكن ما أن علم المشير عامربتحركات التصفية التى يقوم بها عبد الناصر فى القوات المسلحة حتى عاد مرة ثانية إلى أسطال.

وكان المحيطون بعبد الناصر قد بثوا الشائعات بأن ما يجرى فى الجيش متفق عليه بين الرئيس والمشير. وأن المشير عامر سيعود بعد عملية التصفية.

ولقد أزعـجت هذه الشـائعات المشير عامر بدرجـة كبيرة ، إذ أنـها ستظـهره أمام الضباط بمـوقف الضعيف الـذى يعمل من وراء ستـار ومن ثم كانت هذه الـشائعات عملا حاسما لإثارة عبد الحكيم عامر، والحذر من نوايا عبد الناصر

على أن ثـمة نقطة هنـا تحتاج إلى تفسـير وتوضيح. ففـى القضية رقم واحـد لعام ١٩٦٧ والتى نسـجت خيوطها بـعد الحرب لايهام الرأى الـعام بأنه كان هنـاك مؤامرة لقلب نظام الحكم . أثارت السلطة فى المحكمة أن عبدالناصر عرض على المشير عامر مركز الـنائب الأول مكـرما معززاً ولـكنه رفض، وأرادت الـسلطة حـينئذ أن تـوهم

الشعب بأن المشير عامر كان يمثل مركز قوى يضغط على عبد الناصر، مع أن الواقع عكس ذلك، إذ كان يؤخذ على المشير أنه كان أداة طيعة فى يد عبدالناصر وكان لعلاقة الصداقة التى تربط بينهما أثر كبير فى تحقيق كثير من أهداف عبدالناصر.

حقيقة أن عبد الناصر عرض على المشير عامر منصب النائب الأول، ولكن كان يغلب على عبد الحكيم عامر إحساس منذ أول وهلة بأن هذا العرض لم يكن إلا محاولة للقضاء عليه.. فقد كان يسيطر على ذهن عبد الحكيم عامر بعد أن صعد الخلاف فكرة أن عبد الناصر يريد أن يجعل منه دمية، وتوقع أن يقوم عبد الناصر بالتنكيل بالضباط فيصبح موقف عبد الحكيم عامر أشبه بموقف المتفرج على مسرح الأحداث ، ولقد عبر لىَ عبد الحكيم عامر عن مكنون نفسه بقوله لىَ : إنه يريد أن يفعل بى مثل ما فعله مع الآخرين... أتقبل أن أصبح تشريفاتى لاستقبال القادمين من الخارج وتوديع المغادرين من الضيوف؟ وهل أرضى لنفسى أن أقف مكتوف اليدين وهو يبطش بالضباط الذين بذلوا الدم والعرق، فأكون بمثابة المبارك لهذه الأعمال ؟

وتذكر عبد الحكيم عامر أزمة ١٩٦٦، التى أطلقوا عليها فيما بعد اسم الانقلاب السلمى وهى قصة مريرة طويلة شوهت صورتها وحقيقتها

كان أساس هذه الأزمة مطالبة المشير عامر بتوسيع قاعدة الديمقراطية بخلق نوع من الرقابة السياسية والغاء القوانين الاستثنائية. فصورت على أنها مطالبة بتجميع السلطة.

وبعد مرور عدة أيام من سفر المشير عامر إلى أسطال، عاد شمس بدران الذى رافقه طوال هذه المدة إلى القاهرة وفى ظهر يوم وصوله إلى القاهرة طلبنى عبد الناصر هاتفيا، وكان يبدو فى صوته مزيج من الغضب والقلق.

قال عبد الناصر لى : لقد عاد شمس بدران صباح اليوم من أسطال ، وقد حدثنى بالتليفون، وكان فى حالة هياج شديد، مدعيا أن المباحث العامة تراقب منزله.. وشكا لىَ عبد الناصر من أسلوب حديث شمس بدران معه إذ قال لعبد الناصر :

«أنا لست خائنا لأعامل مثل تلك المعاملة غير الكريمة... إننى لو أريد أن أعمل انقلابا أعمله وأنا فى بيتى».

وطلب منى عبد الناصر أن أذهب لشمس بدران لتهدئته وإقناعه بأن هذه التصورات مجرد أوهام... وذهبت إليه محاولا إقناعه بأنه ليس هناك أى مراقبة عليه.. والحق أنها كانت مجرد أوهام ولكنه أصر على أنه رأى بعض مخبرى المباحث يحومون حول بيته، وأخفقت أن أقنع شمس بدران بالتخلى عما يدور فى ذهنه.

ومن المفارقات العجيبة ، أن هذه المهمة أخذت علىّ عام ١٩٦٧، فمع أن عبدالناصر أرسلنى لتهدئة شمس بدران وإخراج ما فى ذهنه من أوهام، فقد وجهت لىَ محكمة الثورة الاتهام بأننى أهملت فى مراقبة شمس بدران، وقال رئيسها حسين الشافعى أنه كان ينبغى علىّ أن أقوم بهذا العمل مع أنه لم يكن من اختصاصى.

فترك هذا الحادث أثرا سيئا فى نفس كل من عبد الناصر وشمس بدران وأخذت الأحداث تتوالى لتصعيد الموقف وإثارة الفتنة.

وبعد أسبوع من هذا غادر المشير قريته إلى القاهرة، وما أن علم عبد الناصر بذلك حتى غضب، فاتصل بى وسألنى عن سبب حضور المشير المفاجىء، وطلب منى أن أذهب إليه فى منزله بمنشية البكرى.

غادرت مكتبى وتوجهت إلى منزل عبد الناصر حيث استقبلنى فى غرفة الاستقبال الرئيسية، وكان يجلس معه حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام، وما أن جلست حتى بدأ عبد الناصر يشكو لىَ من تردد ضباط الجيش على منزل المشير قد يؤدى إلى خلق انقسام فى الجيش، وكلفنى أن أعرض على المشير إما أن يقبل منصب النائب الأول لرئيس الجمهورية أو يغادر القاهرة إلى قريته ويبقى بها فى تلك الظروف.

كنت أعلم مقدما أن المشير عامر سيرفض هذا الأسلوب، وخرجت مع الأستاذ حسنين هيكل، الذى قال لىَ قبل أن نفترق : «كان الله فى عونك فى تلك المأمورية الشاقة».

وتوجهت إلى منزل المشير فى الجيزة، وقد اعتملت فى نفسى نوازع وأحاسيس لم أستطع أن أقدر كنهها أحسست أن السلطة فوق كل شىء.. تهدم الصداقة وتكتسح أمامها أى قيم. والله يعلم كم كنت مخلصا فى مهمتى، إذ كنت مؤمنا أن الصداقة درع يستطيع أن يجابه أشد الطعنات، وبأن الانشقاق لن يؤدى إلا للخراب والدمار

كنت أقدس الصداقة والوفاء، وكنت أعيش أومن بالترابط والالتئام، ولكن المقاييس بدأت تنقلب أمام عينى، والمعايير تختلط فى وجدانى، ورأيت النهازين وأهل النفاق بدأوا يشوهون لوحة الأخلاق، ويهدمون مذبح القيم.

قامت الدنيا أمام عينى ، وأحسست بدوار كاد يقتلع روحى من صدرى . تساءلت مع نفسى : ماذا يريد عبد الناصر منى؟ ولماذا اختارنى بالذات فى هذه المهمة الشاقة؟ ولماذا لم يستدع عبد الناصر عبد الحكيم عامر ليتفاهما فى جو من الود والصفاء؟

ولكنى تذكرت بيت الشعر الذى ذكره عزيز أباظة فى مسرحية العباسة على لسان هارون الرشيد حينما أمر عبده مسعود بقطع رأس وزيره وصفيه جعفر البرمكى لأنه أحس أن عرشه يهتز. يقول هذا البيت.

إنى لأقتله وأرثيه معا . العرش فوق الخل والأصحاب

قاتل الله السياسة، ولعن خداعها وغشها، غدرها وكذبها، جحودها وقلبها المتحجر، رياءها ونفاقها

وراودتنى فكرة الاستقالة لأبعد عن هذا الجو الكئيب، ولكنى أحسست أن هناك فتنة كبرى سوف يشتعل أوارها، ومن ثم كان التنحى يعد بمثابة فرار من المعركة.

عرضت على المشير عامر فكرة عبد الناصر بأسلوب ودى، محاولا أن أهدىء من روعه وغضبه الذى بدا على وجهه بعد أن عرف مهمتى وإذا بعبد الحكيم عامر يقول فى ثورة وغضب :

«هو فاكرنى موظف أجرى ورا المناصب والمراكز... بلغه أننى لا أقبل أن أكون تشريفاتى رئاسة الجمهورية، هل سأقبل أن يبطش بالضباط وأنا أعمل كنائبه .إننى سأترك القاهرة حتى أترك له العمل، وحتى لا أعطى للانتهازيين فرصة الدس وإشعال الفتنة».

ونصحت عبد الحكيم عامر أن يسافر إلى أسطال، حتى يفوت الفرصة على أهل الوقيعة والدس، وكنت أعتقد أن الأمور لو سارت هادئة فإن الزمن كفيل بأن يصفى ما فى النفوس كما حدث من قبل مرارا، ولكنه يبدو فى هذه المرة أن الشرخ بين

عبدالناصر وعامر كان عميقا من الصعب التئامه، فضلا عن أن الكثيرين من المحيطين بكليهما عمل على تعميق هذا الصدع بدلا من العمل على رأبه.

** في هذه الفترة كان الموقف الاقتصادى صعبا وطلب إليك عبد الناصر أن تفاتح الملك سعود الذى كان يقيم فى مصر بأن يقدم قرضاً؟

ـ حقيقة كان الموقف الاقتصادى فى مصر يعانى منذ عام ١٩٦٥ من النقص فى العملات الصعبة، وثقلت الديون الخارجية على مصر، ونشأت أزمة سياسية بين مصر ودول الغرب نتيجة عدم تسديد فوائد الديون فاضطر عبد الناصر أن يعلن فى شهر مارس أن الخطة الخمسية لامفر من تعديلها إلى خطة سبعية ثم عدلت بعد ذلك إلى «خطة إنجاز ثلاثية».

هذا يوضح صورة الموقف الاقتصادى الصعب الذى كانت تمر به البلاد، مما حدا بعبد الناصر أن يرسلنى فى مهمة إلى روما عام ١٩٦٧ لعقد قرض واستطعت أن أمهد لعقد قرض قدره عشرة ملايين من الدولارات.

ومن المفارقات التى تدعو للسخرية أن الإعلان عن هذا القرض نشر فى صحيفة الأهرام بعددها الصادر فى ٦ من سبتمبر عام ١٩٦٧ فى أول صفحة فى عمود مجاور للعمود الذى نشر فيه نبأ إحالتى إلى المعاش فى ٢٧ من أغسطس عام ١٩٦٧ بعد تقديم استقالتى المسببة إلى عبد الناصر فى ٢٦ أغسطس ١٩٦٧ ولىَ فى ذلك حديث آخر.

وجاءت حرب يونيو، وزاد الطين بلة نتيجة الخسائر الفادحة فى المعدات ووسائل الإنتاج، لقد فقدت مصر معظم قوتها الجوية ومدرعاتها، كما أغلقت قناة السويس التى كانت تدر دخلا سنويا قدره مائة مليون جنيه، كما فقدت مصر ما يقرب من نصف إنتاجها من البترول نتيجة فقد سيناء وضرب السويس، أما بالنسبة لدخل السياحة فقد أصبح صفرا.

ولم يكن هناك بخزينة الدولة أكثر من بضعة دولارات، اتصل بى عبد الناصر وطلب منى أن أذهب إلى الملك سعود وأطلب منه قرضا لإنقاذ الموقف وكان الملك قد تبرع قبل ذلك بخمسة ملايين من الدولارات للمجهود الحربى وثلاثة أخرى

لقطاع غزة، بينما كان هناك شيك باسمى قدره مليونان من الجنيهات كان قد خصص لأعمال سياسية تتعلق بسعود كما شرحتها فى الجزء الخاص بإقامة سعود فى مصر.

كان الموقف الاقتصادى حرجا إلى الحد الذى جعل عبد الناصر يتصل بى هاتفيا فى قصر سعود بمصر الجديدة كى يطمئن إلى ما وصلت إليه فى المفاوضات.

توجهت إلى الملك سعود فى قصره وشرحت له الموقف، واستجاب الرجل فورا، ووافق على منح مصر قرضا قدره عشرة ملايين من الجنيهات لمدة سنة وبدون فوائد.

وبعد انصرافى من لدى سعود أبلغت عبد الناصربالنتيجة.. كان سعيدا للغاية بهذا المبلغ الذى مكنه من إنقاذ اقتصاد البلاد من هاوية سحيقة.

وأصدر عبد الناصر تعليماته إلى حسن عباس زكى وزير الاقتصاد بتجميع كل العملات الصعبة، وظهرنا لوزير الاقتصاد الشيكات سالفة الذكر وقامت لجنة من وزارة الخزانة والبنك المركزى بالسفر إلى هولندا لصرف هذه العملات من البنك الهولندى العام الذى كان يحتفظ برصيد الملك سعود.

أما ما نشر من مهاترات وأباطيل حول اتهام عبد الناصر بأنه أخذ لنفسه منها أموالا، فلم يكن هذا سوى إفك وكذب، فذمة عبد الناصر من هذا الأمر بريئة نظيفة، وإننى أتحدى أى مخلوق لو كان هناك مليم واحد معه من هذه الأرصدة

وحدث بعد أن منيت مصر بالهزيمة عام ١٩٦٧، أن أتهم عبد الناصر الولايات المتحدة بتقديمها المساندة الجوية لإسرائيل، وبادر بقطع العلاقات الدبلوماسية مع واشنطن، وأخذت السفارة الأمريكية تصفى أعمالها. وتم الاتفاق على استبقاء ثلاثة أفراد فى السفارة لمباشرة مصالح الرعايا الأمريكيين تحت إشراف السفارة الأسبانية التى أصبحت تشرف على رعاية المصالح الأمريكية فى مصر.

وطلب منى عبد الناصرألا أقطع علاقتى مع واشنطن، حتى تكون هناك حلقة اتصال غير دبلوماسية بين القاهرة وواشنطن، ومن ثم تقرر استبقاء وليم برومل ضابط المخابرات الأمريكى فى السفارة الأمريكية لأنه كان حلقة الاتصال بينى وبين رئيس المخابرات الأمريكية.

وكان رئيس البعثة الأمريكية الجديد مستر برجس ، وكانت له علاقات طيبة مع

بعض المسئولين فى مصر. وكان عبد الناصر لايريد قطع الحبل مع واشنطن، ولذا سمح للسفارة باستمرار الاتصال اللاسلكى بين القاهرة وواشنطن عن طريق هيئة المواصلات «السلكية واللاسلكية».

وفى منتصف يوليو ١٩٦٧ طلب منى عبد الناصر أن أواصل اتصالاتى مع الأمريكيين، وأجس نبضهم إزاء مسلكهم لتسوية الموقف، وتحسين العلاقات المتدهورة بين القاهرة وواشنطن، ونجحت عن طريق وليم برومل وعن طريق المخابرات الإيطالية فى حث الولايات المتحدة، على عرض اقتراح أعتقد أنه كان فرصة طيبة لتسوية مرضية لو تحققت كما أثبتت الأيام فيما بعد

وجاء إلىّ وليم برومل بعد أسبوع يحمل لىّ رسالة لاسلكية من الرئيس جونسون هذا نصها .

من الرئيس جونسون

إلى السيد صلاح نصر

بالرغم من العلاقات المتدهورة بين البلدين فإن الولايات المتحدة على استعداد لأن تدخل فى مفاوضات لإزالة حدة التوتر القائم، فإذا ما وافقت مصر فإن سفيرنا فى روما على استعداد لمقابلة مندوب مصر لوضع الخطوط الرئيسية لمحادثات على مستوى أكبر فى واشنطن.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان هناك سبيل آخر تقوم به المخابرات الإيطالية فى الخط ذاته، إذ كانت تسعى لدى واشنطن لايجاد تسوية عادلة لمشكلة الشرق الأوسط

ففى يوم ٢٤ يونيو ١٩٦٧ وصلتنى الرسالة التالية من المخابرات الإيطالية وهذا نصها :

رسالة رقم(........) بتاريخ ٢٤ يونيو ١٩٦٧ مرسلة من واشنطن عن طريق المخابرات الإيطالية إلى صلاح نصر «سوف يكون السفير رينهاردت مستعدا للقاء فى روما بغرض مناقشة الاقتراحات المرفقة بالرسالة أو أى مواضيع يثيرها المدير، أو

يرغب فى إثارتها (المدير هنا يعني صلاح نصر)، إن المقابلة تهدف توضيح النقاط التى يرغب كل طرف إثارتها متضمنا ذلك النقاط التى لاتوافق عليها الولايات المتحدة. إذا ما تم الموافقة على ذلك، سوف ترسل واشنطن ضباطا متخصصين لمعاونة السفير رينهاردت فى محادثاته، ولما كانت الولايات المتحدة لم تتشاور مع الآخرين حول هذه المواضيع، فإنها بالطبع تتحدث باسمها... نرجو إفادتنا فورا بموعد وصول المدير إلى روما»

وكان مرفقا مع كل من رسالة جونسون ورسالة الإيطاليين مشروع حل وسط نذكره بالنص فيمايلى:

١- أن يستبعد نهائيا إجراء أية مفاوضات مباشرة للصلح بين العرب وإسرائيل.

٢- الاعتراف بكيان إسرائيل اعترافاً «فى الواقع».

٣- انسحاب القوات الإسرائيلية فورا على جميع الجبهات وعودتها إلى ما وراء الحدود التى كانت قائمة حتى يوم ٤ يونيو ١٩٦٧.

٤- تضمن قوات الطوارىء الدولية تلك الحدود - على جميع الجبهات - التى كانت قائمة حتى يوم ٤ يونيو ١٩٦٧.

٥- حرية المرور بمضايق تيران.

٦- تعويض البلاد العربية عن الأضرار التى لحقتها نتيجة العدوان.

٧- تعويض المليون لاجىء فلسطينى - الذين لايزالون ينتظرون منذ عشرين عاما تحديد مصيرهم - مع تسوية وضعهم نهائيا.

٨- تعهد من جانب الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية بتنفيذ برنامج اقتصادى ومالى وصناعى لمدة ثلاثين عاما يهدف لرفع مستوى المعيشة فى جميع الميادين بين شعوب المنطقة العربية وفى مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة، مقابل استعادة وتدعيم العلاقات والتعاون الشامل فى الميدان السياسى والاقتصادى بين دول العالم العربى والدول الغربية.

ملحوظة: فيما يتعلق بتسوية وضع اللاجئين نهائيا. إلى جانب بذل جميع المحاولات الممكنة فى سبيل عودة أكبر جانب ممكن من أولئك اللاجئين إلى وطنهم مع تحقيق نوع من التعايش بضمان الغرب بينهم وبين الإسرائيليين، فإنه يمكن فى إطار تنفيذ البرنامج الاقتصادى العالمى الصناعى (المشار إليه فى البند ٨) استيعاب وتوطين جانب كبير منهم فى البلاد العربية التى ستفيد من ذلك البرنامج والتى لديها من المساحات الشاسعة الصالحة للاستصلاح والتعمير مايكفى لتوطينهم ومنحهم الحياة الكريمة (مثل مشروع الجزيرة فى سوريا، والمناطق بين دجلة والفرات فى العراق، وصحراء سيناء والمناطق فى الصحراء الغربية بالجمهورية المتحدة... الخ).

ولقد وافق عبد الناصر فى بادىء الأمر على إيفاد السيد أحمد حسن الفقى نائب وزير الخارجية للتباحث مع رينهاردت السفير الأمريكى فى روما، ولكن بعد وصول بودجورنى وزخاروف إلى مصر تغير الموقف، وطلب منى عبد الناصر الكف عن هذا الاتصال لقد كان عبد الناصر لايثق فى واشنطن، وخشى أن يكون العرض مجرد عملية خداع، هذا فضلا عن الجرح العميق الذى أدمى عبد الناصر لإحساسه بدور أمريكا فى التآمر عليه فى حرب يونيو للقضاء عليه

وفى لقاء بين عبد الناصر وبودجورنى فى القاهرة قال عبد الناصر لقد أثبتت نتائج هذه الحرب عدم جدوى سياسة عدم الانحياز، وضعف قوى العالم الثالث ونحن على استعداد للانحياز

رد عليه بودجورنى بفتور هذا الكلام طيب ولكن ينبغى علىّ أن أعود للحزب لأعرض عليه هذا الأمر

ومن هذه النقطة كان المنطلق الجديد لسياسة السوفييت إزاء مصر، فقامت بالضغط على عبد الناصر لتحقيق مالم تستطع تحقيقه من قبل

❊❊ لكن مرة أخرى كيف انتهت علاقة عبد الناصر والمشير عامر تلك النهاية؟

متل المآسى الإغريقية انتهت علاقة جمال عبد الناصر.. بعبد الحكيم عامر كانا صديقين حميمين. وكانا زميلى ثورة.. ورفاق سلاح كانا يبدوان كأنهما توأمان. وامتدت صداقتهما . التى بدأت قبل ميلاد التورة بسنوات عديدة إلى أن تصاهرا.

وأطلق عبد الناصر اسم صديقه الحميم على أصغر أبنائه عبد الحكيم..كما أطلق عبد الحكيم على ابنه الأكبر اسم صديقه الحميم جمال.

وعندما كان أولاد عبد الناصر يحتاجون شيئا، كانوا لايطلبونه من أبيهم الذى يخجلون منه فيلجأون إلى عمهم عبد الحكيم عامر.

ولم يكن مقدرا على أى حال أن تنتهى هذه الصداقة.. نهاية مأساوية كما حدث. لقد اختلف عبد الناصر وعامر كثيرا... وكانت تصل الخلافات بينهما فى بعض الأحيان - إلى درجة كبيرة من الحدة - ولكنه سرعان ما تلتئم الجراح السطحية.. ويعودان فى الصورة كما كانا.. إن كواليس المسرح يمكن أن تقع فيها مفارقات كثيرة، لايراها المتفرج، الذى يرى الممثلين فى أدوارهم كاملة. وفى أتم زينة وفى أفخر الملابس التى تلائم أدوارهم.. يضحكون. وينحنون للتصفيق - بينما قد يختزنون بداخلهم جراحا لاحصر لها

وهذا تقريبا ما يحدث على مسرح السياسة، فالكواليس فى السياسة تضم أيضا تناقضات كثيرة، لايراها المواطن العادى الذى لا يعرف كيف صنع القرار السياسى الذى ابتهج به أو أضير منه.

كانت العلاقات بين عبد الناصر ، وعبد الحكيم عامر قوية، مع ما أصابها من شروخ منذ العدوان الثلاثى، إلى أحداث الانفصال إلى استقالة المشير عامر عام ١٩٦٢.

وفى اليوم الثانى لنشوب حرب يونيو أحسست بفتور هذه العلاقة، وأن عبد الناصر وعبد الحكيم عامر لم تعد تربطهما تلك الوشائج القوية التى كانت مضرب الأمثال. كنت أتحدث مع عبد الناصر تليفونيا يوم ٧ يونيو فشكا لى فى ألم من أن عبد الحكيم، وشمس بدران لم يرحبا بوجوده فى القيادة العامة للقوات المسلحة، وأحس بإهمالهما له... عندما تركاه يغادر مبنى القيادة العامة بمفرده دون أن يودعه أحدهما.

واستقل سيارته فى الظلام بصحبة سكرتيره محمد أحمد فقط.. ولذا فقد قرر عدم الذهاب إلى القيادة . والحقيقة أننى وجدت فى ذلك خطأ فتحدثت فيه مع عبد الحكيم عامر محاولا إصلاح الأمور بين الصديقين الحميمين. وقلت لعبد الحكيم عامر: إنه لم يكن من اللائق أن يحدث ذلك.

وأنكر عبد الحكيم عامر أن هناك إهمالا متعمدا، وأن شمس بدران قام بتوديع الرئيس حتى المصعد.

عاتبت عبد الحكيم . فقد كان يجدر به أن يودعه بنفسه وخاصة أمام ضباط مكتبه.

وشعرت من الأحاديث مع عبد الناصر، وعبد الحكيم أن شيئا ما فى نفسيهما. وأن الصفاء قد خيم عليه النفور والاستياء.. وربما بدأت تظهر على السطح رواسب الخلاف الذى وقع بينهما عام ١٩٦٢، والذى لم تتلاش آثاره رغم تسوية الخلافات وظهورهما أمام الناس كأن شيئا لم يقع.

كان هذا الخلاف قد وقع على أثر إقرار مجلس الرئاسة مبدأ التفرغ للعمل السياسى وسحب اختصاصات القائد العام فى تعيين القادة والملحقين العسكريين وترقيات الضباط.

وقد انتهى هذا الموقف بأن قدم عبد الحكيم عامر استقالة مسببة إلى الرئيس عبد الناصرأبدى فيها اعتراضه على كثير من أساليب الحكم، وبخاصة فيما يتعلق بقضية الديمقراطية.

واستفحل الخلاف بين عبد الناصر والمشير، وأصبح الوصول إلى حل بينهما أمرا عسيرا واقترح عبد الناصر أن يسافر المشير عامر إلى يوغوسلافيا ليقيم فيها. فاستدعانى عبد الناصر وكلفنى بأن أقترح على عبد الحكيم ذلك، على أساس أنه اقتراح من عندى.. ولكننى قلت لعبد الناصر أن المشير لن يوافق على ترك البلاد فى هذه الظروف، كما أننى لا أستطيع أن أقترح ذلك على المشير

وقال عبد الناصر أنه سيكلف غيرى

وعاد عبد الناصر ليتصل بى بعد يومين ويطلب منى أن أبلغ المشير هذا الاقتراح لأننى الوحيد - على حد قوله - الذى يستطيع التأثير على عبد الحكيم عامر.. كان يتسلط على ذهن عبد الناصر ضرورة سفر المشير عامر إلى يوغوسلافيا بالذات ولكنى اقترحت على عبد الناصر أن يترك للمشير عامر اختيار الدولة

وهكذا وصلت العلاقات بين عبد الناصر والمشير عامر إلى ذروة التوتر، وكادت تؤدى إلى انفجار، ولذلك رأيت أن أقترح على عبد الحكيم عامر أن يسافر إلى أى دولة أوروبية لفترة، ولكن المشير عامر قال لى عندما عرضت عليه الاقتراح.

- لقد أرسل لى عبد الناصر أن أسافر إلى يوغوسلافيا. إنه يريد أن يحبسنى عند تيتو!

وحاولت أن أعرف اسم الشخص الذى أرسله إليه عبد الناصر ولكن المشير رفض. وسألته عن رده لرسول عبد الناصر أجاب أنه لايستطيع أن يترك مصر فى هذه الظروف، لأن مغادرته البلاد ستكون مجالا للأقاويل وسوف يقال عنه أنه هرب أو نفى وهو لايقبل أن يسمع أيا من التفسيرين وسافر إلى أسطال وفى هذه المرة ذهبت إليه بناء على طلب حسين عبد الناصر زوج كريمته وموافقة عبد الناصر

وأقلعت بى طائرة حربية من مطار ألماظة إلى المنيا فى زيارة مفاجئة لم يعرف بها أحد.. وركبت إحدى سيارات المطار الحربى، بصحبة محمد أيوب مدير مكتب المشير واتجهنا إلى بيت محافظ المنيا. ورافقنا المحافظ إلى أسطال

كان عبد الحكيم عامر فى منزله يجلس مع عدد من أقاربه وأشقائه ومعه شمس بدران وفى غرفة مجاورة، أمضيت مع المشير أكثر من ساعتين وحدنا أحاول إقناعه بأن يصحبنى فى الطائرة التى تنتظر بمطار المنيا

وسألنى: على أى أساس أعود معك. الموضوع مبدئى، وليس خلافا شخصيا بينى وبين جمال .

كانت كلماته تعيد إلى ذهنى نفس كلمات عبد الناصر خلال أزمه سابقة عندما قال لى أنه ليس هناك خلاف شخصى بينه وبين عامر وأنه يعرف أن عبد الحكيم أخلص الناس له

والله يعلم كم بذلت من الجهد مخلصاً لكى أسوى الخلاف وتكلل مهمتى بالنجاح .فقد كانت أمامى صورة قاتمة مظلمة لما يمكن أن يحدث لو تصاعد هذا الخلاف.. وكنت أرى الأيادى الخفية التى تستميت لتصعيده

ومع كل الجهود التى بذلتها.. لم تكلل مـهمتى بالنجاح . وعدت فى الليل الأسود مع محمد أيوب، كما ذهبنا، وأنا أحس بكآبة متوجسا خيفة مما تخبئه الأيام.

** كانت هذه العودة بداية الأزمة الشخصية؟

ـ نعم لأن بعض الضباط الذين أحيلوا إلى التقاعد أقاموا فى منزله.

وتحدثت مع المـشير فى أن يصرفهـم حتى لايزيد من حدة المـوقف ولكنه بطبـيعته كرجل صعيدى، كان يجد حرجا فى طردهم من بيته

إن هؤلاء الضباط كان عليهم أن يقدروا الموقف، ويـنصرفوا من تلقاء أنفسهم حتى ولو كانوا سيتعرضون للاعتقال

ولم يجلس المشير فى بيته ساكتا   إذ أقدم على تصرفين زادا من حدة الموقف.

الأول: أنه طبع استقالته التى سبق أن قـدمها إلى عبد الناصر عام ١٩٦٢ ـ ووزعها على أعضاء مجلس الأمة وبعض المؤسسات .

الثانى أنه اتصل بالسفـير السوفيتى تليفونيا، واتهم السوفيـت بأنهم مشتركون فى مؤامرة هذه الظروف القاسـية، ونتيجة الجهود الضخمة التى بذلـتها، والصورة القاتمة التى كانت تتراقص أمام عينى، والمسئوليات الضخمة التى ألقاها عبد الناصر علىّ بعد النكسة . كل هذا جعلنى أسقط فى مكتبى فى صباح الثالث عشر من يوليوعام ١٩٦٧ مصابا بجلطة دموية شديدة كادت تودى بحياتى.

بقيت راقدا فى الغرفة الملحقة بمكتبى لمدة ستة أسابيع.. هدتنى الحقن. وكأننى فى غيبوبة صاحية. ومنع الأطباء الزيارة عنـى. . وأصدر الأطباء تعليماتهم أن أرقد على ظهرى بلا حراك...

وفى هذه الفترة اشتـعلت نيران الفتنة، وظهرت كثير مـن الأمور على السطح جرفت أمامها كل المحاولات التى قمت بها من قـبل لتصفية النفوس وتسوية الأزمة، وقمع الفتنة

كان عـبد الـناصر يـداوم الاتصـال ـ بعد مـرور مرحلـة الخطـر التى اسـتغـرقت أسبوعين ـ عن طريق الهاتف يوميا، وفى بعض الأحيان كنا نتحدث عدة مرات

وكنت أحس بالجوع والقلق.. فألححت على الأطباء أن يسمحوا لى بمغادرة مكتبى... وحتى أترك لعبد الناصر حرية التصرف... فالجهاز يحتاج إلى رئيس يديره.

وفى إحدى المكالمات التليفونية مع عبد الناصر، أبديت له رغبتى فى أن أتنحى عن منصبى لظروف حالتى الصحية، وطلبت منه أن يبحث عن رئيس آخر للمخابرات

ولكنه رفض هذه الرغبة بشكل قاطع كما ذكرت سلفا

واستجاب الأطباء لرغبتى وسمحوا لى بمغادرة مكتبى على أن أقيم فى منزل هادئ وألا أستقبل زوارا فى فترة النقاهة.

واقترحت أن أسافر إلى الإسكندرية، ولكنهم حذرونى من أن حالتى الصحية لاتسمح بالسفر

واخترت إحدى الاستراحات الحكومية فى الزمالك لأقضى بها فترة النقاهة.

وفى يوم ٢٣ من أغسطس ١٩٦٧ غادرت مكتبى إلى الاستراحة حيث أنشد الراحة والاستقرار... ولكن يبدو أنها كانت مكمن الزوابع والمواقف.

وكنت قبل مغادرتى المكتب قد أبلغت عبد الناصر بمكان إقامتى الجديد، واقترح على أن أقضى هذه الفترة فى استراحته بالقناطر الخيرية، ولكن الأطباء عارضوا فى ذلك على أساس أنها بعيدة عليهم وأن حالتى تحتاج إلى إشراف يومى منهم.

فى اليوم التالى أى الرابع والعشرين من أغسطس زارنى فى الاستراحة المشير عامر وبصحبته شمس بدران وكان أول لقاء لى مع شمس عند مرضى .

وما أن جلس المشير معى، حتى دق جرس الهاتف وكان المتحدث هو جلال حريرى من منزل المشير ليبلغه أن الرئيس عبد الناصر طلب أن يتصل به تليفونيا... وحاول المشير أن يتصل بعبد الناصر لكنه فشل فى الاتصال. وغادر المشير الاستراحة حتى يتصل من منزله، وعلى العموم فإن عبد الناصر قد دعاه لتناول العشاء معه فى اليوم التالى، لتصفية الخلافات

وفى صباح يوم السادس والعشرين من شهر أغسطس عام١٩٦٧ . استيقظت مبكرا وكنت لا أزال أقيم فى استراحة الزمالك ، ولم يمض على بها سوى يومين من فترة النقاهة التى قررها الأطباء لى..

كنت أحس فى هذا اليوم بشئ غير عادى . وبالرغم من أن الأطباء نبهوا على بألا أبذل جهدا، فقد قمت من فراشى وجذبت حبال النافذة ، فأحسست بأن هذا العمل البسيط أجهدنى.. وألقيت نظرة من النافذة على النيل الخالد. الشمس مشرقة ساطعة، ومياه النيل تجرى نحو الشمال وكلى أمل نحو يوم باسم لم أكن أدرى أن هذا اليوم سيكون بداية المتاعب . لم أكن أعرف مايخبئه القدر... ولم أكن أتصور أن الأمور ستتطور إلى هذه الصورة الكريهة التى ختمها العام الحزين

حضر لى فى الصباح الدكتور إبراهيم شعراوى ليعودنى. وبعد أن فحصنى جلس ليشرب قهوته .. وإذا برنين جرس الهاتف يجذب الدكتور شعراوى إليه.

كان وجيه عبد الله مدير مكتبى هو المتحدث، فأمسكت السماعة، وعلمت منه أن سامى شرف اتصل به وأخبره أن عبد الناصر أمر بأن يقوم أمين هويدى بالإشراف على جهاز المخابرات فترة نقاهتى.. وأنه فى طريقه الآن إلى المخابرات. و أصدرت تعليماتى إلى وجيه عبد الله بأن يفتح له مكتبى ويجمع له نوابى كى تسير القافلة

ولكن بعد فترة وجيزة لاتتعدى عشر دقائق اتصل بى وجيه عبد الله مرة أخرى عن طريق الهاتف ، وأخبرنى أن أمين هويدى حضر فعلا للمخابرات، ومعه كشفان الأول بأسماء بعض ضباط مطلوب إعطاؤهم أجازة إجبارية، وكشف آخر بأسماء بعض ضباط مطلوب اعتقالهم .كما أخبرنى بأنه مطلوب القبض على حسن عليش رئيس هيئة الأمن القومى ، ويسرى الجزار نائبه وحلمى القاضى رئيس هيئة البحوث الفنية، وحمدى الشامى من أفراد مكتبى.

وتعجبت من هذا التصرف، فالإشراف على الجهاز لايعنى اتخاذ مثل هذا الإجراء دون الرجوع إلىّ، وأنا لاأزال مسئولا عنه.

وجاء لى فى الاستراحة بعد فترة وجيزة حمدى الشامى، فأبلغنى أن المشير قد اعتقل أمس فى بيت عبد الناصر، وقطعت الحرارة عن منزله فى الجيزة، وتم تغيير

حرسه واعتقل الضباط الذين كانوا يقيمون فى منزله وعلى رأسهم شمس بدران. وبعد أن تمت هذه الإجراءات أعيد المشير إلى منزله وحددت إقامته.

وحاولت الاتصال بعبد الناصر كى استوضحه الأمر بعد أن أحسست أن هناك مؤامرة تدبر لجهاز المخابرات، وأن فتنة كبرى سوف تعصف بالثورة.

ولأول مرة فى تاريخى مع عبد الناصر أخفق فى الاتصال به.. كنت أحدثه هاتفيا فى أى وقت من أطراف النهار أو الليل . وكنت أقابله فى أن وقت من الأوقات. ولكننى فى هذه المرة أيقنت بعد محاولات أنه لايريد أن يتحدث معى.

ووجدت نفسى فى موقف غريب فإننى كمسئول رأيت أمامى رجالا ضحوا من أجل وطنهم. واستشهد زملاء لهم أثناء تأدية أعمالهم هؤلاء بدأت الدولة تنكل بهم. ولم يكن أمامى فى هذه الظروف الصعبة إلا خياران: إما أن أصمت فأرى هؤلاء يواجهون الظلم والجور وحدهم، واما أن اقدم استقالتى حتى أكون حرا فى الوقوف إلى جانبهم والدفاع عنهم، وبخاصة أننى على يقين من أنهم ضحية مكيدة خبيثة.

ولم أشعر إلا وأنا أمسك بالقلم وأكتب استقالة مسببة إلى محمد أحمد سكرتير عبد الناصر.

وغادرت الاستراحة إلى منزلى فورا بصحبة الطبيب الدكتور إبراهيم شعراوى فلم يعد لى الحق أن أقيم فى استراحة حكومية

وفى أثناء عودتى إلى منزلى، وأثناء مرور سيارتى بجوار كورنيش النيل، نظرت إلى الأفق، فاستهنت بالحياة، وسخرت من تكالب الناس عليها.

لقد تركنى عبد الحكيم عامر يوم٢٤ من أغسطس بعد زيارته القصيرة لى، وكله أمل بأن دعوة الرئيس عبد الناصر له للعشاء ستصفى ما بينهما، متفائلا بأن عبد الناصر قد يصحبه معه إلى مؤتمر الخرطوم..

ولكن عبد الناصر يبدو أنه كان قد قرر شيئا فقد دعا عبد الحكيم عامر إلى العشاء واعتقله فى منزله وأرسل أمين هويدى إلى المخابرات ليستكمل المخطط وكان قد قام قبل ذلك، بإجراء حركة تصفيات كبيرة فى القوات المسلحة.

وشعرت أن الفتنة قد اشتعل أوارها: وأن الثورة ستأكل نفسها، كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله.

و يوم ٢٧ ظهـرا أبلغنى وجـيه عبد الـله قبول استـقالتى وإحالـتى إلى التـقاعد .. وأرسل لى صورة من قرار رئيس الجمهورية.

وكان أول ما فكرت فيه عـقب قبول استقالتى أن طلبت إلى وجيـه عبد الله مدير مكتبى أن يسلم رئـيس الجهاز الجديد أمين هويدى الحسابات السـرية، ويوقع عليها. وأن يحضر لى الدفاتر لأوقع إلى جوار توقيعه أيضا

* كان لابد أن نتوقف مـع ـ صلاح نصر ـ عند هزيمة ١٩٦٧ بعـيداً عن الجوانب العسـكرية منـها . وفى البدايـة تردد صلاح نصـر فى الحديث عـن عام ١٩٦٧، الذى يسميـه العام الحزين لأنه يـعد دراسة شاملة سوف يـنشرها فى مذكـراته عن آحداث ذلك العام.

وقد احـترمت رأيـه وإرادته، ولكـنه بعد ذلـك سلمـنى رأيه كـاملاً، يحـوى هذا الجانب من المذكرات لعله يجيب عن تساؤلاتى..

ولم يكن ما أريد معرفته هو كل ما سلمه لى صلاح نصر، لذلك رأيت أن أقتطف منه الإجابة عن بعض الأسئلة التى قدمتها له..

وقد بدأ حديثه عـما وقع فى عام ١٩٦٧ من بعد الانفصال مبـاشرة حيث يرى أنه بسبب حرب اليمن كانت علاقة عبد الناصر بأمريكا قلقة لأن واشنطن ترى أن وجود القوات فى اليمن بمثابة تصدير للثورة، لذلك دفعت السعودية إلى إثارة الأزمات فى اليمن.

** لكنه كانت هناك محاولات منذ اليوم الأول للسلام فى اليمن؟

ـ نعم وكان عبد الناصـر مقتنعا أنه ليس هناك بادرة أمل فى تحـقيق تسوية سلام فى اليمـن عن طريق مـحادثات تجرى مع المـلك فيصل، وأدرك أن الـسبيل إلـى ذلك لن يتحقق إلا فى مؤتمر قمة يحضره زعماء العرب كلهم.

وهكذا دعا لأول مؤتمـرات القمة العربية، التـى تتابعت فى السنوات الـتالية، وقد اجتـمع فى ١٣ ينـاير عام ١٩٦٤ رؤساء ثـلاث عشرة دولـة عربية فـى القاهرة وقـبل

المؤتمر حرص على التصالح مع الملك حسين، فاجتمع به واستأنفت العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة وعمان، التى قطعت عقب اعتراف الأردن بانفصال الوحدة بين مصر وسوريا فى أكتوبر عام ١٩٦١

وكان عبد الناصر يريد إحداث انقسام داخل «مجموعة الملوك» فبانضمام الملك حسين لمحور القاهرة ـ بغداد سوف يعزل محور سوريا والسعودية، ومنعهما من أن تشكل جبهة معادية للقاهرة. وقام عبد الناصر بتقديم اقتراح بضرورة إجراء دراسات دقيقة لخطط تواجه محاولات إسرائيل لتحويل مياه الأردن، وطالب بإنشاء قيادة عربية موحدة تحت قيادة الفريق المصرى على عامر، تشترك فيها كل الدول العربية أعضاء الجامعة العربية، وتكون هذه القيادة مسئولة عن الدفاع عن الحدود العربية أمام أية هجمات إسرائيلية

وكان أحمد الشقيرى قد حل مكان أحمد حلمى باشاً ممثلاً لفلسطين فى الجامعة العربية بترشيح من عبد الناصر وبن بيلا، وكان الشقيرى طموحاً حاول أن يثبت نفسه، فصمم على إنشاء كيان وطنى للفلسطينيين وافق عليه مؤتمر القمة بدون ترحيب من الأردن أو السعودية، وكان عبد الناصر يؤكد فى مناسبات عدة أنه لن يسمح لإسرائيل أن تجره إلى حرب فى زمان ومكان غير مناسبين وأدرك الفلسطينيون فكر عبد الناصر، وأنه لن يدخل فى قتال قريب مع إسرائيل .

وبعد تشكيل منظمة «فتح» حاول ياسر عرفات مقابلة عبد الناصر مع مجموعة من المنظمة ولكن اللقاء لم يتم إلا بعد حرب يونيو ٦٧.

كان عبد الناصر مؤمناً بآمال الفلسطينيين ولكنه كان يرى أن الوقت لم يحن بعد لمعركة التحرير .

** كان قطاع غزة تحت الإدارة المصرية؟

ـ نعم ولقد قدم عبد الناصر لهذا القطاع الذى كان يضم ما يقرب من ٣٠٠ ألف لاجئ فلسطينى مساعدات جمة، وقام بتطويره، وعمل على رفع مستوى المعيشة فيه، وجعل من غزة منطقة حرة، ومركزاً سياحياً، وقام بتمهيد الطرق وإنشاء المرافق.. كما قامت الحكومة بتعيين آلاف من الفلسطينيين فى وظائف بمصر وطلب من محمود

رياض أن يقوم بجولة أفريقية للدعوة إلى القضية الفلسطينية استعداداً لمؤتمر القمة لمنظمة الوحدة الأفريقية.

وكان الموقف بالنسبة لإسرائيل يبدو هادئا على السطح ولكن فجأة تغير هذا الموقف، ففى حفل تخريج دفعة من طلبة القوات الجوية المصرية، أدان عبدالناصر عدوان إسرائيل على الحدود الأردنية الإسرائيلية، وأعلن أن الحرب لا يمكن تجنبها إطلاقا، طالما قامت إسرائيل بأعمالها العدوانية المتكررة.

ثم قام عبد الناصر فى سبتمبر عام ١٩٦٤ أى بعد مرور ثمانية أشهر من أول مؤتمر قمة عربى، بدعوة الحكام العرب إلى مؤتمر قمة بالإسكندرية للتصديق على قرار بإنشاء منظمة تحرير فلسطين التى اعتبرها أول خطوة نحو تحرير فلسطين العربية

ولم يكن الملك حسين سعيدا بالفكرة لخوفه من أن يؤدى ذلك بالفلسطينيين فى الأردن إلى تكوين دولة داخل دولة، وانضم إلى الملك فيصل فى معارضة الشقيرى، على أساس أنه تجاوز حدود منصبه فى تنفيذ اقتراحات المؤتمر الفلسطينى، ولكن حسين وافق تمشيا مع الأغلبية فى مؤتمر القمة، وخوفا من إغضاب رعايا الضفة الغربية.

**كانت هناك قضايا ومشاكل بين عبدالناصر والغرب، وكان من بينها خوف الغرب عموما مماكان يسميه انتشار الشيوعية فى مصر؟

ـ ذلك نفسه هو ما دفع عبدالناصر خلال عام ١٩٦٥ إلى تهدئة الجو مع العرب فقد أعلن فى صراحة موقفه من الشيوعية بقوله. ان اختلافاتنا مع الشيوعية اختلافات جذرية، فنحن نؤمن بالدين، ونرفض ديكتاتورية أى طبقة. ونحن ننظر أمامنا إلى الوحدة الوطنية، ولا نقوم بتصفية أى طبقة عن طريق استخدام العنف

وفى ٢٥ من إبريل قرر الحزب الشيوعى المصرى حل نفسه وقال عبد الناصر أن نظامه قوى بدرجة كافية تسمح له بأن يتسامح مع الشيوعيين كأفراد ولكنه حذر من تشكيل تنظيمات شيوعية بقوله:«. ولكننا سوف نقوم باعتقال أى فرد يحاول أن يشكل تنظيماً شيوعياً».

وفى أكتوبر عام ١٩٦٥ قام المشير عامر النائب الأول لرئيس الجمهورية بأول زيارة

رسمية لفـرنسا.. ولابد أن نتوقف سريـعاً عند هذه الزيارة لأنهـا أولاً الزيارة الأولى، ولأنها تأتـى بعد اشتراك فرنسا فـى العدوان على مصر بـعد تأميم القناة، وأيـضا بعد الدعم الهائل الذى قدمته مصر للثورة الجزائرية ضد فرنسا.

** بعد هذا الاستعراض الطويل نأتى وبسـرعة إلى العام السابق عـلى العدوان عام ٦٦، وأبرز أحداثه التى كان لها تأثير بعد ذلك؟

ـ فى بـداية عـام ١٩٦٦ تصـاعدت الخلافـات بيـن واشنطـن ولنـدن من جـانب، والقـاهرة مـن جانب آخـر ووصل الأمـر إلى تهـجم كل مـن انجلـترا وأمريـكا عـلى عبدالناصر بشكـل سافر، لأن عبدالناصر قد مد نفوذه إلى الجزيـرة العربية من خلال تواجده فى اليمن الشمالى والجنوبى بدعم الثورة ضدالاستعمار البريطانى

وكانت انجـلترا قد أعلـنت فى فبرايـر أنها ستـجلو عن عدن بـعد حصولهـا على الاستقلال، ورغـم ذلك فإن عبدالناصـر لم يكن يثق فـى وعود الإنجليز. ففى مـناقشة سياسية لـى معه عن مستقبل الجنـوب اليمنى، أشار بأن أى إخفاق فـى تحرير الجنوب اليمنى سيؤدى إلى انـحسار المد التحررى فى أخطر منطقة تـؤدى إلى البحر الأحمر، وقناة الـسويس . وجنوبـا إلى المحيط الـهندى وآسيا وأفـريقيا. كمـا سيؤثر عـلى ثورة اليمن شمـالا وبخاصة بعد الرواسب والنـزاعات التى استطاع الإنجليـز أن يغرسوها بين السلاطين وشعوب هذه المنطقة

وفى الوقت الـذى كان الإنجليز يعـلنون عن نيتـهم فى الجلاء عن عدن، كـان عبد الناصر يرى تدعـيم الكفاح المسلح ضد وجودهم. ودارت مـعارك وشنت غارات قام بها الوطنيون واليمنيون فى الجـنوب ، ضد قوات الاحتلال، وجرت مفاوضات سرية لوقف هذا القتال توسـط فيها حاكم الكويت الذى كان قد اقترح عـلى عبد الناصر أن يقابل الملك فيصل للوصول إلى اتفاق على وقف القتال وتسوية مشكلة اليمن.

وكان لقرار عـبد الناصر بدعم حـركة التحرير فى الجنـوب أثر بالغ على مسـتقبل الجنوب اليمنى حيث أوكل عبد الناصر إلىّ شخصياً مهمة التنظيم والتدريب والنشاط السياسى، وتوحيد الجماعات الوطنية المختلـفة من حزب الشعب والمستقلين، والجبهة القومية لتحرير الجنوب.

وشاركت بعض الدول العربية فى المخطط المعادى لعبد الناصر ، فدخلت فى حرب نفسية مسعورة مع مصر، واتهمته بأن أقواله أكثر من أفعاله، وأنه يحتمى وراء قوات الطوارئ الدولية، ورد عبد الناصر على ذلك أن الوجود المصرى فى الجنوب العربى قد يستمر عشرين عاما إذا تطلب الأمر ذلك، أو بمعنى آخر أن القوات المسلحة المصرية سوف تظل فى اليمن حتى تجبر البريطانيين على الخروج من المنطقة

** كان موقف العالم العربى مقسما إلى دول محافظة.. ودول تقدمية.؟

ـ كان محور تفكير عبد الناصر أن أى اقتراحات تتعلق بسحب قواته من اليمن ليست إلا محاولات لتخديره، ولذلك قرر ألا يقبل أى إجراءات تتضمن سحب قواته المسلحة من اليمن إلا بعد أن يترك آخر جندى بريطانى أرض عدن. وفى شهر فبراير قام صلاح جديد بانقلاب فى سوريا وتغير الموقف لصالح عبد الناصر ووقع عبد الناصر اتفاقية دفاع مشترك مع نور الدين الأتاسى الرئيس الجديد لسوريا.

وفى ذاك الوقت، جاءت الأنباء تحمل نبأ الإطاحة بالرئيس نكروما، وكان لهذا الحدث أثر كبير على ازدياد ثقة عبد الناصر بأن القوى الإمبريالية منهمكة فى تدبير هجوم مضاد كبير فى العالم الثالث للإطاحة بزعماء الدول التقدمية، ومن ثم ينبغى على الدول التقدمية أن تتقارب، وتوحد جهودها وتنهى خلافاتها، وكانت أفريقيا قد شهدت فى العام السابق ما يمكن أن نطلق عليه بأنه كان عام انقلابات الجنرالات

وما أن مر أسبوعان على الإطاحة بنكروما ، حتى صدم عبد الناصر بنبأ قتل الرئيس عبد السلام عارف فى حادث طائرة هليوكبتر بالقرب من البصرة

** وماذا عن الصراع فى اليمن وهو الصراع الأساسى الذى كان له أكبر تأثير فى المنطقة كلها .؟

ـ كان الجيش المصرى فى اليمن ومن أهم الخطوات التى وقعت عام ١٩٦٥ المبادأة التى قام بها عبد الناصر لحسم النزاع على اليمن حيث توجه فى ٢٤ أغسطس ١٩٦٥ إلى السعودية، واجتمع مع الملك فيصل، وتم الاتفاق بينهما على سحب القوات المصرية من اليمن قبل يوليو ١٩٦٦، على أن يجرى استفتاء فى مدى خمسة عشر

شهراً، ليقرر الشعب اليمنى شكل الحكم الذى يختاره وكان ذلك سابقاً على اجتماع مؤتمر القمة الثالث الذى سيعقد فى المغرب.

ووصل عبدالناصر إلى الدار البيضاء مع الملك فيصل الذى كان قد زار مصر لمدة ثلاثة أيام. وعقد مؤتمر القمة العربى فى ١٣ من سبتمبر فى الدار البيضاء حضره رؤساء اثنتى عشرة دولة، ولم يتخلف عن المؤتمر غير تونس احتجاجا على موقف مصر من هجومها على رئيسها الحبيب بورقيبة بسبب مطلبه الصلح مع إسرائيل وكان قد أدلى بتصريحات مستفزة تطالب بالصلح مع إسرائيل أثناء زيارته للضفة الغربية، وقد تظاهر الأهالى ضده وألقوه بالطماطم، وهاجمه عبد الناصر.

المهم أن اليمن كانت أيضاً من الأسباب الرئيسية لسوء علاقات عبد الناصر مع الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية وحاولت واشنطن فى عهد الرئيس كنيدى إثناء عبد الناصر عن التورط فى إرسال المزيد من القوات إلى اليمن، وأرسل له كنيدى نصيحة فى خطاب قال فيه أنه من السهل على عبد الناصر أن يلقى فى اليمن بآلاف الأعداد من قواته وعتاده الحربى، ولكنه حينما يقرر ترك الأراضى اليمنية سوف يجد من العسير عليه إخلاء هذه القوات والأسلحة بسهولة.

ولم يزر عبد الناصر اليمن إلا بعد مرور سنتين من قيام ثورتها فبعد انتهاء مؤتمر القمة بثلاثة شهور قام عبد الناصر بزيارتها للمرة الأولى وأمضى بها خمسة أيام فى صنعاء وتعز وصحبه فى هذه الرحلة المشير عامر وأنور السادات وزكريا محيى الدين وأنا.

وقد أصيب عبدالناصر بصدمة عنيفة وخيبة أمل كبيرة لما رآه من سوء الأوضاع السياسية والاقتصادية هناك.

وكانت الشكوى من السلال تأتي من أغلب المجموعات السياسية اليمنية.. ومن ثم أجبر عبد الناصر على إحداث تغيير جذرى فى الحكومة اليمنية مع إجراء بعض التعديلات فى أسلوب الحكم على أساس سحب بعض سلطات السلال إلى بعض مرءوسيه .

كانت مصر قد تورطت فى قتال حرب اليمن بموجب معاهدة دفاع مشترك أبرمتها

مع الجمهوريين ، وأصبحت مجبرة على الاستمرار فى إرسال قوات متزايدة إلى اليمن بأمل يائس فى أن ذلك سوف يقلب الموازين، وقد استغل التدخل العسكرى فى اليمن من بعض الدول العربية لتشويه سمعة مصر لأنها تقاتل الإخوة بدلا من توجيه هذا الجهد إلى إسرائيل العدو المشترك

وفى نفس الوقت فقد ساءت العلاقات بين مصر وبريطانيا إلى درجة تدعو للمرارة نتيجة النزاع فى عدن المنفذ التالى لمسرح العمليات فى اليمن.

كان البريطانيون يوجهون اللوم إلى عبد الناصر لأنه يثير الوطنيين اليمنيين فى عدن، بينما قام هو بالتنديد بالإنجليز لأنهم يمدون اليمنيين الملكيين بالأسلحة من محمية عدن

وبدت دلائل تبشر بالخير وانفراج الأزمة، إذا تلقى عبدالناصر فى سبتمبر ١٩٦٤ رسالة من فيصل يوافق فيها على عقد اجتماع مشترك لمناقشة وقف إطلاق النار فى اليمن. وحرص عبد الناصر حينما قابل الملك فيصل على أن يؤكد له أنه لم يكن يحمل أية نوايا عدوانية إزاء السعودية، وأن إرساله القوات المصرية إلى اليمن كان استجابة لطلب معونة من حكومة شرعية فى اليمن، أما الحوادث التى وقعت على الحدود السعودية ـ اليمنية ـ فلم تكن أكثر من عمليات حربية قام بها المقاتلون لمطاردة اليمنيين وليست هناك أية نوايا لشن حرب فى الأراضى السعودية

ولكن فيصل لم يقتنع ، وكان يرى أن عبد الناصر كان يريد إنشاء جمهورية تحت النفوذ المصرى تتحدى الزعامة السعودية فى الجزيرة العربية، وتدعم المقاومة الوطنية فى عدن.

وكان فيصل يظن أن أى نصر للجمهوريين فى اليمن سوف يؤثر على مجريات الأمور داخل السعودية، ومن ثم قام بتدعيم الإمام البدر.. كما كان قلقاً لما يجرى فى عدن، فأراد تسوية مسألة اليمن لتكون حاجزاً أمام التحرك المصرى من الجنوب العربى وأصبح مستعداً للموافقة عل وقف إطلاق النار فى اليمن، وأفصح بأن الملك سعود الذى يعارض أى تسوية فى اليمن سوف يخلع عن العرش وينفى خارج البلاد.

وفى ضوء هذه الظروف وافق عبد الناصر على أن يلتقى الملكيون والجمهوريون اليمنيون فى نهاية أكتوبر على أرض محايدة هى السودان لمناقشة الطرق والوسائل اللازمة لإنهاء الحرب وفضلا عن ذلك أعلنت الرياض بعد بدء هذه المحادثات أن سعود قد خلع عن العرش، ونودى بفيصل ملكا للسعودية العربية وفى ٥ نوفمبر أى بعد يومين من تنصيب فيصل ملكا للسعودية جاءت الأنباء من السودان تفيد بأنه تم الاتفاق على وقف إطلاق النار وأنه سيلى ذلك قيام «مؤتمر صلح وطنى»، ولكن ذلك لم يحدث

** لا نريد أن نخرج على سياق الحديث، ونعود به للوراء، ولكنه لابد من وقفة فقد كنت شخصياً مسئولاً عن عمليات تحرير الجنوب اليمنى المحتل ؟

ـ نعم ولقد كانت هذه المشكلة تشغل جزءا كبيرا من تفكير عبد الناصر، فقد كان يعتبرها مركز انتشار التحرر فى الجزيرة العربية، وكان يرى فى إخفاقها ضربا للحركات التحريرية فى الجزيرة العربية كلها. ومع ذلك كانت الخلافات داخل جبهة التحرير للجنوب العربى قد وصلت إلى ذروتها فى عام ١٩٦٦، وأصبحت الجماعات المكونة لهذه الجبهة ـ حزب الشعب، الجبهة القومية، المستقلين، الجبهة العسكرية ـ تتبادل الاتهامات بخيانة قضية تحرير الجنوب، واشتد الصراع والنزاع على السلطة فى مرحلة الكفاح للحصول على الاستقلال، وكان هذا من أخطر المسائل التى تواجه جبهة التحرير

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كان عبد الناصر يحس بقلق كبير إزاء ما كان يدور من صراعات فى الجزيرة العربية، وكانت القاهرة تولى الجنوب العربى ودول الخليج أهمية كبرى، فقد كان عبد الناصر مقتنعا بأن ضرب الثورة فى هاتين المنطقتين انتصار للامبريالية وتسلط للرجعية وانحسار للمد الثورى

* بعد تنازل الملك سعود عن العرش ذهب للإقامة فى اليونان ثم جاء لمصر، وكان لك شخصياً دور فى هذه القضية، وبعد ذلك، وكان وهو المعارض الشديد للجمهورية فى اليمن قد ذهب إلى اليمن الثورة، وأعلن تأييده من هناك هل يمكن أن نلقى ضوءاً على حضور الملك سعود لمصر كلاجىء سياسى وإقامته فيها

ـ كان الملك سعود قد غادر السعودية إلى اليونان ليقيم فيها وفى النصف الأول من عام ١٩٦٦ وصل إلـى مصر قادمـا من اليونـان رشاد الحسيـنى سكرتـير الملك سـعود الخاص وهو مصـرى الأصل، يحمل الجنـسية اللبنانـية وكان موفداً من المـلك سعود الذى كلفه الاتصال بالمسئولين فى مصر وجس النبض عن مدى استجابتهم لرغبته فى أن يقيم بمصر كلاجىء سياسى..

وتم الاتفاق علـى أن أقابل رشاد الحسينى وأناقشه فى مهمتـه واستقبلته فـى بيتى بشاطىء المنتزه .. كان شابا فى مقتبل العمر، وسيما لبقا، فى حديثه سمة التجار ودخل فى المـوضوع مبـاشرة قائـلاً أنه فى بـساطة ويـسر «مكـلف من المـلك سعـود لينـقل للمسئولين فى مصر رغبته فى الإقامة بمـصر وهدفه هو العمل على استعادة عرشه فى المملكـة العربية السـعودية الذى خلعـه منه أخوه الملك فـيصل. وأنه شخصـيا سوف يستفيـد لو كلل مسعاه بالـنجاح وعندما عرضت الأمـر على عبد الناصر كـان يخشى هجوم بعض الدول عليه لأنه يؤوى الرجعية ويتعاون معها

وأخيـرا وافق على تـلبية رغـبة سعود، بـشرط أن يرسـل خطاباً لـه يعرض رغبـته الإقامة فى دولـة إسلامية، وأنه اختـار مصر وأن يرد عليه عـبد الناصر مرحـباً على أن تنشـر الرسالتـان معا فى الـصحف قبل حـضوره من اليـونان وقد وافق سـعود وجاء للقاهرة قبله أبناؤه و بعث إلى عبد الناصر الرسالة التالية:

اثينا فى ٥ نوفمبر ١٩٦٦ فخامة الأخ جمال عبـد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة حفظه الله بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

«أرجو أن يكون سيادة الأخ فـى أتم الصحة والعافية وبعد: يعـلم الأخ الرئيس أنه منذ خروجنا مـن وطننا العزيز كنا نود الاستيـطان فى بلد مسلم عربى ليـتسنى لنا أداء فرائضـنا المقدسة، وتـربية أبنائـنا تربية إسلامـية عربية صـحيحة وبما أن الـظروف لم تسمح لنا بذلك لأسبـاب يعلمها الجميع لذلك استخرنا اللـه عز وجل ونوينا الإقامة بوطننا الثـانى بين إخواننا فى الإسلام والعـروبة فى الجمهورية العربيـة المتحدة لنؤدى فريضة الإسلام معهم التى هى فرض علينـا. ولى فى سيادة الأخ الأمل الكبير فى تلبية

هذه الرغبة راجيا الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما فيه خدمة الإسلام والمسلمين ويوفقكم للقضية العربية المقدسة والسلام. سعود السعود.

و قد رد عليه جمال عبد الناصر برسالة صغيرة تحمل الموافقة نصها:

الأخ جلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود تلقيت بكل اهتمام رسالتكم إلى بتاريخ ١٩٦٦/١١/٥، والتى أبديتم فيها رغبتكم فى الإقامة فى الجمهورية العربية المتحدة، ليتسنى لكم أداء الفرائض المقدسة وتربية أبنائكم تربية إسلامية صحيحة وإنى لأثق فى أن شعب الجمهورية العربية المتحدة يفتح لكم بيته مرحبًا فى أى وقت تشاءون وإذا كان لى أن أضيف شيئاً، فإنى أشير إلى نقطتين:

الأولى: أن الوطن العربى المصرى ملك لكل عربى، وهو ـ أرضا وعملا وقوة وفكرا ـ تحت تصرف أمته حيث تريده زمانا ومكانا

الثانية: أن مصر فى كل العصور ـ وذلك دورها وقدرها التاريخى ـ كانت دائما بيتا وموطنا لكل عربى يتجه إليها ويقصدها.

وإذ أتمنى لكم سفرا سعيدا إلى وطنكم الثانى فى الجمهورية العربية المتحدة، فإنى أبعث إليكم بتحية العروبة والإسلام، راجيا لكم موفور الصحة والسعادة

القاهرة فى ٢٧ شعبان ١٣٨٦ الموافق ١٠ ديسمبر ١٩٦٦ـ جمال عبدالناصر.

وجاء الملك سعود فى أوائل يناير ١٩٦٧ برفقته بعض أبنائه واستقبله فى المطار سعد زايد محافظ القاهرة، وترك هذا الأمر أثرا سيئا فى سريرته.

وتمت أول مقابلة بين الرئيس عبد الناصر والملك سعود فى بيته بمنشية البكرى بعد أيام قليلة.. فى ليلة من ليالى شهر رمضان المبارك، ولم يشهد هذه الجلسة التى دارت بينهما سواى.

** وماذا دار فى هذه الجلسة؟

ـ كانت مقابلة عادية رحب فيها عبد الناصر بضيفه ، وأبدى فيها الملك سعود مرارة من معاملة الملك فيصل له، وشرح الملك سعود فى أسى كيف غدر به الملك فيصل فى مؤامرة عائلية ، استطاع عن طريقها أن يطيح به ويستولى على العرش مكانه

وأدمعت عينا الملك سعود وهو يقص على الرئيس عبد الناصر كيف قام فيصل بتأليب أعضاء الأسرة عليه، وكيف استطاع شل الحرس الوطنى والقضاء عليه، وكان هذا الحرس مواليا لسعود، ويقوده ابنه الأمير خالد بن سعود.

كان حديث الملك سعود مؤثرا، يدعو إلى الشفقة والرثاء، ويبدو أن الحديث قد ترك أثراً عاطفيا فى نفس عبد الناصر، الذى لاحظت على وجهه ملامح التأثر البالغ وكادت عيناه تسفح دمعات حبسها بجهد واضح.

والواقع أن الموقف كان دراميا، ولذا لم يحاول أى منهما أن يفتح حساب الماضى، بل على العكس أخذ الملك سعود يتحدث بأسلوب ودى ويذكر الرئيس عبد الناصر بموقفه من حلف بغداد، وبتحالفه مع عبد الناصر ضد محور بغداد عمان حينئذ.

وأخيرا قال الملك سعود للرئيس عبد الناصر «يا فخامة الرئيس .. لو استعدت عرشى فإننى أقسم أن سياسة المملكة العربية السعودية ستسير بجانب سياسة مصر، وتناوىء أعداء مصر».

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كان عبد الناصر متحفظا ، لم يحاول أن يحرج الملك سعود، فلم يتحدث معه عن خلافات الماضى، ولا عن المؤامرة التى حدثت فى عهده ضد الوحدة

** هذا فى ظل علاقات عبد الناصر السيئة مع الولايات المتحدة الأمريكية؟

ـ نعم ولكن عبد الناصر لم يكن يرغب فى إثارة الولايات المتحدة بل على العكس كان يحاول تحسين العلاقات بينه وبين واشنطن اتباعا لسياسة عدم التناطح مع الدول الكبرى.

ولقد أبدت مصر مظهرا من مظاهر التقارب حينما سمحت لمدمرتين أمريكيتين فى سبتمبر ١٩٦٦ بزيارة بورسعيد وهما . استربلج، وجونسون «انجرام» ، ورحب بأفراد المدمرتين.

** نصل الآن إلى محطة عام ٦٧ ولابد أن نتوقف عندها طويلاً؟

– إذا جاز لنا أن نطلق اسم العام الحزين على عام ١٩٦٧ ، فلا يجانبنا الصواب إذا سمينا عام ١٩٦٦ بعام الاضطراب وعدم الاستقرار

فعلاقة مصر مع الدول الغربية الكبرى - عدا فرنسا - كانت غير طيبة كما رأينا، إذ ظلت علاقة القاهرة مع حكومة بون مقطوعة، وتوقف إمداد الولايات المتحدة لنا بالقمح، وأعلن عبد الناصر أن عليه أن يبحث سنويا عن مائة وخمسين مليونا من الدولارات بالعملات الأجنبية ليمول استيراد الغذاء الضرورى للشعب

أما بالنسبة لبريطانيا فقد غادر أعضاء البعثة الدبلوماسية البريطانية القاهرة فى شهر يناير، بعد قطع العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة ولندن احتجاجا على مسألة روديسيا

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى اتسمت علاقة مصر بالاتحاد السوفيتى بالفتور بالرغم من أنها كانت تبدو طيبة فى الظاهر.

فإذا انتقلنا إلى المجال العربى، نجد أن العلاقات التى كانت تربط مصر بالدول العربية تدعو إلى التشاؤم.

كانت العلاقات قد تدهورت بين مصر من ناحية وبين السعودية والأردن وتونس من ناحية أخرى. وأعلن عبد الناصر فى شهر يوليو انسحابه من مؤتمرات القمة العربية على أساس أن الرجعية العربية سخرت هذه المؤتمرات لحسابها.

وبالرغم من أن التقارب الذى تم مع سوريا والذى انتهى بتوقيع دفاع مشترك بين القاهرة ودمشق، وأن العلاقات بين عبد الناصر والعراق كانت طيبة، فقد سادت الأمة العربية حالة من الاضطراب نتيجة الصراع بين الدول العربية التقدمية والدول العربية المحافظة.

ولم يخف عبد الناصر سوء الموقف الاقتصادى عن شعبه، فذكر فى وضوح خطورة سرعة معدل تزايد السكان فى مصر التى فاقت معدل الإنتاج، وبين لهم أثر ذلك على عدم توافر المواد الغذائية الضرورية.

وقامت الحكومة بفرض إجراءات تموينية، فقصرت بيع اللحوم على أربعة أيام فى الأسبوع، وحددت استهلاك الفرد للأرز.

وكانت مصر تحتاج عام ١٩٦٧ إلى أربعة ملايين طن من القمح تنتج منها ما يقرب من اثنين ونصف مليون طن. ولذا كان عليها أن تستورد النقص من الخارج.

وكان الاتحاد السوفيتى يغطى مليون طن من هذا النقص، فكان على مصر أن

تبحث فى السوق العالمية لاستكمال العجز، بعد أن قامت الولايات المتحدة فى شهر يونيو من عام ١٩٦٦ بوقف برنامج السلام للتغذية.

وكان على مصر أن تبحث عن عملة أجنبية لشراء كمية القمح الباقية، ولم يكن هذا بالأمر السهل.

جاء عام ١٩٦٧ والظروف والأحداث قد ساعدت على الإعداد لمؤامرة كبرى، بدأت خيوطها فى الشهور الأولى من عام ١٩٦٧، ثم أخذت تتطور

وكان الفدائيون الفلسطينيون يشددون هجماتهم وغاراتهم من سوريا على إسرائيل، وكانت الحكومة السورية تعاونهم وتشجعهم . ولم تقف إسرائيل مكتوفة اليدين، فقامت بعدد من الغارات الانتقامية على مواقع الفدائيين

وانتهز خصوم عبد الناصر العرب الفرصة ليهاجموه عنيفا، فهو - على حد قولهم - يحارب إخوته العرب فى اليمن بينما يقف مكتوف الأيدى، محتميا وراء قوات الطوارىء الدولية لا يناصر إخوانه العرب إزاء العدوان الإسرائيلى

أما فى إسرائيل فكانت حكومة أشكول تواجه متاعب وأزمات، تثيرها الأجنحة المتطرفة التى كانت تطالب الحكومة بالقيام بعمل انتقامى يوجه لسوريا ردا على هجمات مجموعات فتح.. وأراد اشكول أن يستعرض قوة إسرائيل، وأن يبين أن إسرائيل يمكنها أن تعتمد على حليفتها أمريكا بتحرك قوات الأسطول السادس الأمريكى بالقرب من شواطىء البحر المتوسط.

ولأول مرة كان رد هذا الفعل عنيفا لدى عبد الناصر، وزاد من توتر الموقف قيام انقلاب عسكرى فى اليونان فى ٢١ أبريل عندما نجحت مجموعة من ضباط الجيش اليونانى فى القيام بانقلاب عسكرى، وإعلان حكومة دكتاتورية يمينية

وكان يدور فى ذهن واضعى السياسة الأمريكية أن عبد الناصر لن يقف مكتوف الأيدى لو تعرضت سوريا لغزو على مستوى كبير.

وبدأ مخطط التآمر يسير حثيثا بتصريحات المسئولين الإسرائيليين، إذ هددوا بأنه لن يتحقق أمن إسرائيل مالم يطاح بالنظام القائم فى سوريا الذى يعاون هجمات الفدائيين إلى داخل إسرائيل

وكان لدى السوريين إحساس عميق بأن بلادهم قد تتعرض للغزو وخاصة بعد تهديدات «رابين» وجاء الرئيس السورى «نورالدين الأتاسى» إلى مصر، يطلب معاونة عبد الناصر، الذى رأى أن يعاون سوريا. وكان إحساس عبد الناصر أن إسرائيل لو استطاعت أن تغزو سوريا وحدها، فإنها ستوجه الضربة الثانية بعدها مباشرة إلى مصر فى سيناء.

وكان على المسرح العربى شىء آخر.. هو اللوم الموجه إلى القيادة العربية الموحدة التى بدأت مشلولة أمام هذه التهديدات المتكررة

** أنت ترى أن ما حدث فى عام ١٩٦٧ كان مؤامرة دولية؟

ـ نعم وكان هناك بعد خفى فى المؤامرة الدولية ضد مصر، فرسالة الفريق فوزى إلى الجنرال «ريكى» بسحب قوات الطوارىء الدولية اهتمت بأن تنص على الانسحاب الجزئى من بعض المواقع المعينة وليس المناطق الحساسة مثل قطاع غزة ومنطقة شرم الشيخ وكانت كل من القيادة السياسية والعسكرية تدرك تماما خطورة إغلاق مضايق تيران. وأنه سيكون لها رد فعل انتقامى من إسرائيل

والذى يدعو إلى التساؤل والريبة هو موقف «يوثانث» السكرتير العام للأمم المتحدة، فالجنرال «ريكى» عندما تلقى الرسالة بسحب بعض قوات الطوارىء قال : أنه لا يستطيع أن يجيب عليها دون الرجوع إلى «يوثانث» السكرتير العام للأمم المتحدة.

وبعد ساعتين كان يوثانث فى واشنطن يستدعى السفير المصرى «محمد عوض القونى» – مندوبنا الدائم لدى هيئة الأمم المتحدة ليبلغه أن طلب سحب بعض قوات الطوارئ غير عملى، وأنه يتناقض مع قرارات الجمعية العامة التى أنشأت قوات الطوارئ بحيث لا تكون أداة لسياسة أى دولة فى المنطقة ثم استطرد قائلا أنه يعتبر طلب الفريق فوزى بمثابة طلب لانسحاب كلى لقوات الطوارئ من غزة وسيناء، ورد القونى على ذلك بأنه لم يتلق أى تعليمات من حكومته بهذا الشأن – وأنه سيرجع إليها .. وعندما وضع الأمر أمام عبد الناصر كان أمامه خياران أن يتراجع أو يخاطر بسحب قوة الطوارئ وقد اختار الاحتمال الثانى.

* قيل الكثير عن أسباب الهزيمة العسكرية فمنها ماهو حقيقى ومنها ماهو جائز. لقد هزمت دول كتيرة عبر التاريخ، ولم تفقد كيانها أو روحها وتراتها.. واستعادت هذه الدول مكانتها وحقوقها، بعد أن عرفت بواطن ضعفها وأسباب هزائمها، ولم تقف مسلوبة الإرادة، لاتفعل أكثر من النواح والعويل على مالحقها، بل استكملت نقصها، وقضت على عوامل ضعفها ثم هبت لاسترداد حقوقها

** ومن ثم لابد أن نتساءل. ما الأسباب الجوهرية التى أدت إلى الهزيمة العسكرية التى لحقت بقواتنا المسلحة؟ وهل كان ثمة مفر من تلك الخسائر الفادحة؟.

ـ النصر العسكرى الذى حققه الإسرائيليون فى معارك حرب يونيو، كان مرجعه الأساسى عدة أخطاء وقعت فيها القوات المسلحة المصرية، يمكن أن نوجز أهمها فيما يلى:

أولا أن القوات المصرية لم تكن على استعداد للدخول فى حرب شاملة مع إسرائيل، وبخاصة بعد معارك الاستنزاف التى كانت تخوضها فى اليمن.

هذا فضلا عن أن القوات المصرية التى تمت تعبئتها كان ينقصها الإمداد والتدريب،وقد تحركت هذه القوات المصرية بسرعة إلى سيناء كى تتخذ مواقع دفاعية لم تجهز بعناية بالقوات .

لقد تمت تعبئة هذه القوات بطريقة عشوائية لخدمة هدف سياسى، هو القيام بمظاهرة عسكرية، وتم استدعاء قوات الاحتياط التى لم تستطع أن تتعود على مسرح العمليات فى هذا الوقت القصير.

قوات غير مستعدة غير مدربة تحشد فى أرض العمليات التى كانت غريبة عليها . بينما كان العدو يعرف كل شىء عن أرض العمليات . كما أن قواتنا البرية لم تكن فى مستوى القوات الإسرائيلية من ناحية التدريب على القتال الليلى، فلم يكن فى استطاعة قواتنا أن تفى بطلبات الحرب الحقيقية، بينما نجح الإسرائيليون فى استيعاب أسس هذه الحرب وقاموا بتطبيقها تطبيقا سليما

ثانيا: تخبط القيادات العسكرية على مختلف المستويات فى إصدار الأوامر الحاسمة فى الوقت المناسب، وذلك بعد بداية المعارك نتيجة انعدام الرؤية أمامها بعد

أن قطع اتصال القيادات مع تشكيلاتها أو من قياداتها العليا، ولذلك كانت الأوامر الصادرة متناقضة، مما أدى إلى الفوضى، والاضطراب اللذين حدثا فى القوات المسلحة.

ثالثا: تدخل القيادة العليا فى تفاصيل المعارك، فقد كان مقر القيادة العامة فى القاهرة أشبه بسوق عكاظ، إذ جمع بين من يديرون المعركة،وبين من جاءوا لمجرد تسقط الأخبار، ودس أنوفهم فيما لا يعنيهم.

وكان مكتب القائد العام الذى يدير المعركة يتسع لعدد كبير من الشخصيات المشتركين فى الحكم أو التى تركت الحكم منذ سنوات وأعضاء مجلس الثورة القدامى ومعظم أعضاء اللجنة التنفيذية العليا.

والتف الجميع حول عبد الناصر الذى كان يشارك فى إدارة المعركة ، وأصبحت المعركة تدار وسط هذا الضجيج وفى ظل هذه الفوضى ، فى الوقت الذى كان من المفروض أن تهيأ الفرصة الهادئة لإدارة المعركة.

لقد حدث الشيء ذاته سنة ١٩٥٦ أثناء العدوان الثلاثى.. حتى اضطر عبدالناصر فى ذاك الوقت أن يطرد من لاعمل له من مكتب القائد العام للقوات المسلحة .

رابعا: أما السبب الرابع فهو أن القوات المسلحة منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو كانت تعتمد على قيادات أمن، أى قيادات يوثق فيها للحفاظ على أمن الثورة السياسى، وحينما بدأ الحشد كان لابد من تغيير القيادات إلى قيادات عمليات، وكان القادة الجدد غرباء على الوحدات التى كانوا يقودونها ومن ثم انعدم الجانب البشرى الذى يوثق العلاقة بين القائد وجنوده.

ومن المؤكد به أن ذلك كان له أثر فعال على قيادة هؤلاء القادة الجدد لتشكيلاتهم، ووحداتهم العسكرية وعلى إدارة المعركة

على أن هذه ليست كل أسباب الهزيمة للقوات البرية، فهناك عديد من العوامل الاقتصادية التى حدت من ميزانية القوات المسلحة، وكذلك العديد من عوامل سياسية غيرت من الخطة.

وربماكان من الأسباب الرئيسية لهزيمة ٥ يونيو، هوأن التركيب الآلى لحكومتنا لم

يكن بدرجة الكفاءة الكافية لمواجهة التحدى الكبير. فبالرغم من قيام المؤسسات والأجهزة والوزارات المعنية، وبالرغم من كفاءة الكثيرين فى الميادين المختلفة، فقد ضاع كل هذا فى معمعة الفوضى والارتجال، وسوء اتخاذ القرارات غير المدروسة

ورجع إخفاق الأسلوب التنظيمى الخاص بتطوير تصور قومى ايجابى - وفى رأيى أن ذلك كان له أثر ملموس فيما حدث فى يونيو - إلى الأسباب الآتية:

أولا : المركزية الشديدة فى وضع القرارات حتى المصيرية، وتجاهل التقديرات والدراسات فى كثير من الأحيان فى مستويات القمة.

ثانيا: نتيجة لذلك، أصبح الرسميون فى أعلى المستويات غارقين فى أعماق الأعمال التى تقوم بها وزاراتهم ومصالحهم ووكالاتهم، ولما كان عامل المسئولية الشخصية غير وارد، فقد أخفقوا فى وضع أسبقية شخصية لهذه الأعمال.

ثالثا. أن الوزارات والمجالس التى كانت تضع خطط السياسة للإدارات الأدنى كانت تمثيلية الطابع، ومطابقة لمظهرها الضيق. كانت الإدارات والمؤسسات تقدم اقتراحاتها فى شكل تلخيصات بوجهات النظر المختلفة وبالطبع فإن الاستراتيجية القومية الحقيقية أكثر بكثير من عملية بدائية كهذه، ومن ثم كان القرار النهائى قرارا فرديا بحتا فى أعلى القمة .

رابعا: أن المجالس المتخصصة والهيئات الفنية المضطلعة بجزء كبير من خطة الأمن القومى كانت مجرد تشكيل على قطع من الورق، كمجلس الدفاع الوطنى الذى يعد بمثابة العقل المدبر للأمن القومى لم يجتمع فى حياته منذ إنشائه ، كما أن هيئة المخابرات التى تضم أجهزة المخابرات والأمن فى الدولة لم يقدر لها أن تجتمع مرة واحدة، فنشأ ما يمكن أن يطلق عليه «التنافس المدمر» ويرجع ذلك أساسا إلى سياسة ضرب الأجهزة ببعضها البعض من أعلى مستوى فى الدولة ، مع أن كل جهاز من هذه الأجهزة كان له واجب محدد فى خطة الأمن القومى.

خامسا: تعدد أجهزة الأمن والمعلومات إذ تجاوز عددها العشرة مع عدم تحديد

اختصاصات محددة لها، وكانت رئاسة الجمهورية تديرها على أساس القاعدة : لاتضع البيض كله فى سلة واحدة.. ومن ثم اعتدت كل منها على نشاط الأخرى، وعمت الفوضى وساد الإخفاق الشامل.

على أنه يجدر بنا أن نذكر أن ثمة مشاكل وتعقيدات تنشأ أمام واضع القرار ، ذلك أن تشعبات المسائل التى تريدها الدولة لاتكون واضحة بدقة منذ البداية.. وفى كثير من الأحيان نجد أنها لاتكون واضحة تماما فى أذهان صانعى السياسة.

ومهما كان فإن هناك ظروفا كثيرة تكون فيها الأهداف السياسية غامضة، حيث لايمكن حصرها بسهولة، أو إدراك متطلباتها أو مؤثراتها الخارجية التى قد تؤثر فى تحقيقها، وفى ظروف أخرى يصعب تمييز الالتباسات التى تحيط بها

ويتضح هذا الأمر فى قرار إغلاق خليج العقبة فى مايو عام ١٩٦٧، إذ أن هذا القرار يعطى صورة واضحة لعدم القدرة على الرؤية الصحيحة.

فقرار إغلاق الخليج لم يكن وليد الساعة وفقا للأحداث التى كانت جارية والتى جرتنا للحرب فحسب، بل كان أيضا من الأغراض التى كانت تحت ذهن الرئيس الراحل عبدالناصر منذ أواخر عام ١٩٦٦،وسط جيشان الانفعال والتأثيرات النفسية، أساسها هدفان رئيسيان هما:

أولهما: الرد على دعاية بعض الدول العربية المضادة بأنه كان يحتمى وراء القوات الدولية، وأن أقواله أكثر من أفعاله.

ثانيا. مشاكسة الغرب وبخاصة الولايات المتحدة على موقفه المتحيز لإسرائيل

وقد بينت سلفا أن عبدالناصر كان يستبعد فكرة الحرب من تقديره حتى أصدر قرار إغلاق الخليج، بالرغم من تحذير المخابرات العامة له. ومع ذلك أصدر عبد الناصر قراره بإغلاق الخليج، وتطورت الأحداث حتى وقع فى الفخ.

كانت خطة سيناء فى الواقع مظاهرة عسكرية لتحقيق هدف سياسى، ولم يستطع راسمو السياسة فى القمة أن يدركوا أننا كنا نجرلخوض معركة فى وقت ومكان غير مناسبين.

4

وثائـــق

نص الخطاب الذى أرسلـه مصطفى
أمين إلى الرئيس جمال عبد الناصر

ورقة من ملف قضية مصطفى أمين هي..النص الكامل للخطاب الذى أرسله إلى جمال عبدالناصر عقب القبض عليه يكفر فيه عن ذنبه ، ويعترف بأنه تجسس، ويلاحظ أن الخطاب لم يكتب بدافع التعذيب.

أولا: لأنه قدم تبريراً لكل ماقام به، وعدد فيه ماقدمه من خدمات للثورة.

وثانياً لأنه ذكر تاريخه القديم قبل الثورة مع المخابرات الأمريكية ولم يكن ذلك وارداً ولامطلوبا ولامعروفا ومن يقرأ الخطاب باهتمام يجد أن مصطفى أمين يدافع هنا عن نفسه مما ينفى أنه كتب تحت سياط التعذيب ، على أن مصطفى أمين فى كتبه لم يشر إلى هذا الخطاب إلا فى سطور قليلة.

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر..

إننى أشعر أننى أسأت إليك، إننى لم أعد جديرا بالثقة التى وضعتها فىَّ وقد تصورت دائما أننى قادر أن أبزع معلومات هامة لبلادى، ولقد سبق أننى حئت إليك بأكبر الأسرار وأخطرها مستفيدا من صلاتى العديدة بالأمريكيين من رجال السفارة الأمريكية والمخابرات الأمريكية ولقد هيأ لىَ الوهم أنى حر فى التحرك مادمت قد نلت منك الإذن فى الاستمرار فى اتصالاتى.

ولقد كان من السهل القيام بهذه الاتصالات طالما كنت على اتصال يومى بك.. وكان هذا الاتصال المستمر الدائم يجعلنى آأمن الخطأ أو الانحراف.. ثم حدث فى الشهور الأخيرة أن قضت كثرة أعمالك ومهام الدولة بأن يصعب هذا الاتصال، وبذلك لم أعد قادرا على أن أستأذنك فيما أقول باسمك أو عن لسانك أو منسوبا إليك ولقد سبق أن قلت لسيادتك أننى أستعمل اسمك فى أحاديثى، وأنه إذا رأيت أن المصلحة فى تكذيبى وتكذيب كل صلة بى فإننى مستعد أن أتحمل بشجاعة تبعة هدا التكذيب

تم حدث أن شعرت أننى أسأت إليك بنسب أحاديتى إليك بغير استئذانك وبغير علمك، ثم زاد شعورى بالأسى عندما رأيت فى الإجراء الذى اتخذ ضدى أنك ترى أننى انحرفت عن الطريق الذى تصورت أننى أخدم به وطنى

ولقد وجدت أن خير طريقة أكفر بها عن خطئى أن أكتب إليك معددا المرات التى ذكرت فيها اسمك، وسبت فيها إليك أفكارا أوآراء معينة، معتمدا على أننى أستعمل هذه الطريقة فى الدردشة لأحصل على معلومات تفيد بلادى كما فعلت قبل دلك مرات فى المعلومات الخطيرة التي حصلت عليها من هذه المصادر وقدمتها إليك منذ قيام الثورة إلى اليوم

وإذا رأيت أن هذا التصرف يستحق العقاب فإسنى قابل برصاء ماتراه، وإدا رأيت أن شفيعى حسن نيتى، وسلامة هدفى، فإن الأمر لك على الحالين

إن الذى دفعنى إلى الكتابة إليك فى هذا الموضوع هو ماعلمته من أن الدردشة التى كنت أتحدث بها إلى مستر بروس أوديل كان يكتبها فى تقارير، متوهماً أنها تعبر عن رأيك، ولهذا أريد أن أحرص على أن أذكر المرات التى ذكرت فيها اسمك، حتى يمكن علاج ماقد يكون حدث نتيجة سوء استخدام اسمك فى هذه الأحاديث

وإننى على استعداد أن أعمل ماترون ولو كان ثمن ذلك التضحية برأسى، إذا كانت هذه هى الوسيلة لإصلاح ما أفسدت أو ماقد أكون أسأت به إليك فى هذه الأحاديث وأننى كنت أتوهم أن حرأتى فى أن أنسب آرائى وأفكارى إليك مما يزيد أثر حديثى على مصادر معلوماتى

ولقد كنت أعطيهم بضاعة زائفة وأحصل منهم فيما أعتقد على بضائع حقيقية وقد لاترضيك هده الطريقة، ولكنها كانت دائما الطريقة الناجحة فى الحصول على ماكنت أقدمه إليك من معلومات

ولهذا فسوف أحاول أن أعدد بعض ماقلته على لسانك فى أحاديثى مع أوديل.. ففى حديثى معه يوم الأربعاء ٧ يوليو ١٩٦٥ قلت له عندما تحدثنا عن حادث سقوط الطائرة أنتينوف على بعد ١١ كيلو من السويس، وأن جميع ركابها قد لقوا مصرعهم فيما عدا ضابط روسى تمكن من النجاة وأن ثمن الطائرة يبلغ حوالى مليون جنيه وأن الضابط الروسى الذي نجا رفض التحدث مع السلطات المصرية، وتوجه إلى السفارة الروسية، وهذه الطائرة هى التى أذاعت السلطات المصرية بلاغا رسميا عن سقوطها ووفاة كل من فيها.. وعندما تحدث معى مستر بروس عن اليمن وعن أن تأخير القوات المصرية فى الجلاء عنها يؤدى إلى عدم تجديد المعونة قلت له على لسانك أن الفريق مرتجى قائد اليمن أبدى أن عملية تطهير الجنوب فى جبال اليمن من المتمردين يلزم لها عام كامل وأن الرئيس يعتبر فترة العام فترة طويلة جدا

وعندما جرى الحديث عن أزمة محمد أحمد النعمان ــ رئيس وزراء اليمن السابق ــ قلت له على لسانك أن النعمان يريد أن يكون شيئا كبيرا على حساب الجمهورية العربية وأنه مصر على تنحية الرئيس السلال ولكن الرئيس مُصر على بقاء السلال ولايثق فى النعمان ــ كما أن القوات المصرية فى اليمن ــ لاتثق فى النعمان، وأن الرئيس السلال لايتمسك بالحكم وأن الرئيس يعتقد أن لسان النعمان مع مصر وقلبه مع فيصل..

تحدثت عن موقف السعودية من مصر وقلت أن الرئيس يفكر فى شن حملة ضد السعودية تبدأ فى الصحف اللبنانية ثم تنقلها الصحف العربية وقال مستر بروس أن هذه الحملة بدأت فعلا فى صباح يوم الحديث وعندما جرى حديثى معه عن الرئيس بن بيلا قلت. على لسانك أن بومدين كان على عداء مع ثلاثة من مستشارى بن بيلا هم لطف الله سليمان وهو شيوعى مصرى. وهنرى كورييل وهو مليونير يهودى كان زعيم الحركة الشيوعية فى مصر عام ١٩٤٦ وسكرتير تروتسكى.

وتحدثنا عن أخطاء بن بيلا فقلت على لسانك أن الجيش كان يعارض التسلل الشيوعى في الجزائر وأن خطأ بن بيلا كان بسبب تركيزه واهتمامه بالشئون الخارجية خلال الأسبوعين اللذين سبقا الانقلاب

وجرى حديث عن البغدادى فقلت على لسانك أن البغدادي يعتقد أنه إذا أتى إلى الحكم فسوف يحرق . أما إذا ظل بعيدا عنه، وحدث انقلاب فهو يعتقد أن القادة الجدد سيقدمون له السلطة وأن الرئيس سوف لايترك الحكم وأنه لو حدث انقلاب فإن البغدادى سوف يكون فى نفس القارب الذى فيه الرئيس.

وجرى حديث عن الاتحاد الاشتراكى فقلت أن الرئيس لايريد أن يقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه بن بيلا بأن يظل هذا الاتحاد مجرد مظهر دون صفة

وجرى حديث عن الحصار على مصر وقلت أن الرئيس يريد الخروج من هذا الحصار وأن الزعماء العرب والأفريقيين غضبوا لأن الرئيس اجتمع بسوكارنو وأيوب خان وشواين لاى بمفرده دون أن يدعوهم للاشتراك فى مباحثاته وأنه أوفد محمد فائق بمهمة أن يطلع الزعماء بأن الحالة سيئة بالنسبة للدول الأفريقية والآسيوية وأن الضرورة تدعو إلى الاتحاد وأن الرئيس قلق بالنسبة لمنظمة أفريقيا واتحاد مالاحاش وأن نتيجة هذا الانقسام تقسيم أفريقيا إلى تجمعات

وجرى حديث عن العراق فقلت على لسانك أن الحالة فى العراق سيئة وأن أمين هويدى ألغى إجازته وأن ١٢ وزيرا ناصريا سيطردون، وأنه يخشى أن يحدث فى العراق ماحدث فى الجزائر . وأن الرئيس يفكر فى استدعاء القوات المصرية الموجودة فى العراق .

وجرى حديث عن الملك حسين فقلت على لسانك أنك تلقيت معلومات تؤكد أن هناك عناصر هاشمية طلبت من الملك حسين أن يقوم بتغيير نظام وراثة العرش فيجعل أخاه وليا

للعهد حتى إذا حدث انقلاب فى العراق فلن يقبل العراقيون ملكا أمه الجليزية وأن حسين يطمع فى أن يخلف نظام الحكم فى سوريا

وجرى حديث عن الموقف العربى فقلت أن الرئيس يعتقد أن هناك مخططا بريطانيا يهدف إلى عزل مصر عن بقية العالم العربى بإحياء مشروع الهلال الخصيب، والمغرب الكبير بجانب أن السودان فى الجنوب قد صاع وبذلك تكتمل حلقة عزل مصر . وأن الرئيس قلق على الحالة فى أفريقيا كلها

وتحدث بروس عن خالد محيى الدين وسلمنى مجلة لبنانية نشرت مقالا مطولا حول ميول خالد محيى الدين الشيوعية وقال بروس أنه يعتقد أن نهاية خالد محيى الدين قد قربت. وتساءل بروس. ماذا سيكون رد فعل الرئيس عبد الناصر إذا أثبتنا أن خالد محيى الدين عميل شيوعى سوفيتى، فقلت له:

الرئيس لن يصدق ذلك فى خالد محيى الدين .

وقال بروس أنه منذ أن تسلم خالد محيي الدين منصبه فى أخبار اليوم وهو يشكك فيه وأنه قام بتحليل كل كلمة كتبها ويعتقد أن الروس إذا أعطوه مقالا لينشره لهم فسوف يفعل ذلك

ولقد أعطانى مستر بروس مقال جريدة الصفاء صد خالد محيى الدين وعن اتصاله بالصين، فلم أر أن أرسل لسيادتكم هذه المجلة ولأننى أعلم أنها جريدة مأجورة للغرب وحمنت أن الغرض هو الدس لخالد محيى الدين عندكم.

وأذكر فى جلسة أخرى تحدثت فيها عن مواضيع أخرى من بينها صفقة القمح الروسى وقلت بلسان سيادتكم أنه برغم أن الصفقة لم تكن كبيرة إلا أنكم أمرتم بالإشادة بها وأنكم قمتم بالاتفاق بأنفسكم على هذه الصفقة من الاتحاد السوفيتي برغم أن السفير الروسى فى القاهرة والسفارة الروسية نفسها كانت ترى أنه من الصعب أن تحصل مصر على كمية من هذا القمح فى الظروف الحاضرة وأن الولايات المتحدة تقوم بضغط شديد على البلاد الموردة للقمح لتمنع إرسال القمح بالثمن إلى مصر . وأفهمته أننا نشعر بأن الولايات المتحدة وراء الصعوبات التى تقوم صد الاتفاق مع هذه الدول

وأن الاتحاد السوفيتى يكسب بهذه الصفقة عدة أبناط فى بلاد أفريقيا وآسيا وأن مبادرته إلى إرسال القمح لمصر سوف تزيد من هيبته فى المنطقة كلها

وتحدثت معه بشأن انقلاب الجزائر، وقلت له بلسانكم أنكم كنتم تتوقعون قيام هذا الانقلاب منذ عامين.. وطالما حاولتم أن تتدخلوا وتتوسطوا لتوقفوا هذا الخلاف بين زعماء الجزائر . وأن الرئيس فى الأسبوع الماضى قال أن الانقلاب كان مفاجأة له وقلت على لسانكم أنكم قلتم لبوتفليقة أنكم لا تسمحون باستعمال كلمة الخيانة ضد بن بيلا وأن الرئيس طلب من على صبرى أن يعلن فى البرلمان أن مصر تأكدت أنه ليس هناك يد أجنبية وراء الانقلاب فى الجزائر وذكرت له بلسانكم كيف أن خالد محيى الدين اتصل بكم وطلب السماح بنشر خبر أن السفير الأمريكي فى الجزائر نصح الزعماء الجزائريين بإعدام بن بيلا وأن سيادتكم رفضتم ذلك..

وأن على الشلقانى اتصل بأخبار اليوم من باريس وقال أن المخابرات الأمريكية وراء الانقلاب بالجزائر، وقلت بلسانكم أن الشيوعيين يريدون أن يقع خلاف بين الجزائر والقاهرة ولكن سيادتكم لاتريدون أن يقع مثل هذا الخلاف وذلك حتى لاتعزل مصر وتحقق رغبة الغرب فى حصارها.

وأن الحزب الشيوعى فى الجزائر كان فى خلاف مع بومدين وذكرت له على لسانكم أنكم اجتمعتم مع شواين لاى وأيوب خان وسوكارنو وأنكم حاولتم تسوية الخلافات بين الهند وباكستان، وبين أندونيسيا وماليزيا وبين الصين والاتحاد السوفيتى لأن هذه الخلافات تضعف كتلة آسيا وأفريقيا ودول عدم الانحياز وتقوى الغرب وأن الرئيس يرى أنه لولا الخلاف بين الاتحاد السوفيتى والصين لما حرؤت أمريكا على حرب فيتنام . وأن الرئيس يأمل أن تسوى هذه الخلافات، وأن الزعماء أجمعوا على أن كل الخلافات التى تحدث هى من تخطيط الولايات المتحدة، وأن سوكارنو يعارض فى قيام انقلابات يقوم بها الجيش كما حدث فى الجزائر، حتى لايحصل له ما حصل لبن بيلا، وأن شواين لاى أعرب عن ابتهاجه بانقلاب الجزائر وأنه قال بأن الجزائر لاتعتقل الشيوعيين وإنما عملاء السوفييت فقط..

وأن الرئيس سبق أن نصح بن بيلا بعدم إعدام العقيد الشعبانى، وأن الشعبانى من أهم القادة المسلمين فى الجيش ولكن بن بيلا أخطأ بإعدامه ولو كان بن بيلا سمع نصيحة الرئيس لما حدث له ماحدث.. وأن الرئيس مكث ٤ ساعات فى آخر مرة يحاول إقناع بن بيلا بالصلح مع بومدين ولكن بن بيلا قال أن بومدين أضعف من أن يقوم بانقلاب

وذكرت له أن الوفد المصرى فى مؤتمر هلسنكى ــ على لسانكم ــ سيتألف من خالد محيى الدين رئيسا ومحدى حسنين وسيزا نبراوى وانجى أفلاطون والدكتور أحمد خليفة وشخص آخر

وهما من غير الشيوعيين بخلاف الأولين وأن الرئيس سوف يتخلص من خالد محيي الدين ويعينه سفيرا في فرنسا ـ وكان خالد يريد أن يعين سفيرا في إحدى الدول الأفريقية وأن خالد محيي الدين يريد بسفره إلى باريس أن يعالج ابنته

وذكرت له على لسانكم أن معبود الجبالي عين مديرا للطاقة الذرية وأنني أخشى أن يحولها إلي خلية شيوعية وأن سيادتكم قلتم أنتم موش عاوزين الشيوعيين في الصحافة ولا في التليفزيون، أمال عايزينهم فين..

وفي أسبوع آخر في إحدى مقابلاتي مع بروس التي كانت تتم عادة في يوم الأربعاء وجرى حديث عن انقلاب الجزائر وكيف أن سيادتكم علمتم وتألمتم له كما تألمتم عندما حدث الانفصال في سوريا وأن سيادتكم لا تريدون ان تختلفوا مع كل الدول وأن بن بيلا هو الوحيد في الجزائر الذى كان يقف معنا وأن الرئيس يرى أن بومدين وطني ولا يناقش وطنيته وأن الرئيس قام باتصالات بأصدقائه من رؤساء الدول لإنقاذ حياة بن بيلا وأنه لهذا السبب أرسل عبد الحكيم عامر إلى الجزائر وقلت عن لسانكم أن العلاقات بينكم وبين عبد الحكيم عامر قوية جدا وأنكم كالإخوة وأنه لايمكن أن يقلب عبد الحكيم عامر على الرئيس وأنهم أشبه بأسرة واحدة. وأن عامر يرى أن العلاقات ستحتاج إلى بضعة أشهر لتصل إلى ماكانت عليه مع بن بيلا وأن كل الإشاعات التي تذاع من خلافات بينكم وبين عامر كاذبة ولاأساس لها من الصحة

وقلت على لسانكم أن سوريا بادرت بالاعتراف بالنظام الجديد في الجزائر إغاظة في مصر ـ وأن الصين سارعت بتأييد النظام الجديد لتكسب الجزائر قبل أن تكسبها روسيا وأنه غير صحيح أن انقلاب بومدين انقلاب شيوعي بل هو انقلاب وطني.

وقلت له أن هناك بعض من شمتوا في سقوط بن بيلا، لا كراهية فيه، ولكن كراهية في النظام الماضي، وأن الرئيس يعتقد أن هناك منظمة رجعية تقوم بنشر الإشاعات الكاذبة وأنه سيقضي عليها وقلت على لسانكم أن جبهة التحرير في الجزائر ضعيفة جدا وأن بن بيلا لم يهتم بها وأن تنظيمها أقل من الاتحاد الاشتراكي

وتكلمنا عن رأي عامر في الحالة في الجزائر بأنها غير مستقرة بعد، وأن زعماء الانقلاب غير متفقين، ولايستبعد حدوث انقلاب، وأن الجزائريين رفضوا أن يفرجوا عن بن بيلا ويذهب إلى مصر.. ولايكون له نشاط وأن المتيسر أحضر معه من الجزائر صحيفة الشعب الجزائرية وقد كتبت عن الزيارة في العمود الأخير من الصفحة الأولى، ونشرت نص برقية الرئيس بتهنئة بومدين في صفحة داخلية..

وتحدثنا عن الموقف فى العراق قلت بلسانكم أن الموقف فى العراق يحدث فيه ماحدث فى الجزائر وأنكم تفكرون فى سحب قواتكم من العراق وأننا سحبنا قوات ولم يبق سوى قوات مظلات .. وأن الناس فى مصر فوجئت بانقلاب الجزائر لأنها كانت تتوقع أن يكون الانقلاب فى السعودية أو فى تونس أو فى المغرب أو فى ليبيا.

وسألنى بروس: هل الرئيس قلق؟ فقلت. قلق كثيرا على الحالة فى المنطقة كلها، وأنه عندما قابل الرئيس النعمان قدمت له شيكولاتة فيها بخت وأن الرئيس فتح شيكولاتته فوجد فيها «عدو عاقل خير من صديق جاهل» وورقة شكولاتة النعمان فيها« بالصبر تنال المنى» وأنه عندما عاد النعمان إلى صنعاء أسرع إلى المشايخ وسألوه عن النقود التى أخذها فى القاهرة وأننا عندما ننسحب من منطقة اليمن ويضرب اليمنيون فى الجيش المصرى لأنهم لايريدون أن ننسحب لأنهم يستفيدون من وجود الجيش المصرى فى اليمن وأن شعوره عن النعمان أن لسانه معنا وقلبه مع فيصل

وتحدثنا عن زيارة شواين لاى وقلت له على لسانكم أن هناك٤٣ دولة تؤيد دخول الاتحاد السوفيتى المؤتمر ودولا أكثر من هذا العدد تؤيد دخول ماليزيا وأن شواين لاى يكره الروس وأنه كلما قابله شعر أن كراهيته للروس زادت وأن الصينيين يعتقدون أن روسيا فى جيب أمريكا وأن الصين تتهم روسيا بأن كل الخطط الروسية ضدها، تدبر فى واشنطون وأن الفرق بين خروشوف والزعماء الجدد أن خروشوف كان صريحا فى سياسته، بينما الزعماء الجدد يعملون ضد الصين فى داخل أراضيها

وأن سيادتكم وصفتم شواين لاى بأنه لايهاجم أمريكا فى مصر فى خطاباته حتى لايحرج مصر.

وجرى حديث عن المعونة الأمريكية فقلت على لسانكم أنكم حصلتم على المعونة الأمريكية دون أن تدفعوا أى مقابل سياسى خلافا لما كانوا يقولون، من أن أمريكا تطلب شروطا للمعونة

وقد جرى فى هذا الحديث كلام عن رغبتى فى أن أحصل من أخبار اليوم على أجازة طويلة وأننى أتمنى إجازة سنة على الأقل، وأننى غير متفائل من عملى الصحفى حتى لو خرج الشيوعيون من الصحافة، وأتمنى أن أخرج من الصحافة بعد خروج الشيوعيين وأن أعمل مراسلا متجولا ـــ وقلت أننى أتمنى أن أحصل على موافقة الرئيس على ذلك فقال أن مثل هذا يعتبر خسارة، وأننى خدمت العلاقات الطيبة بين أمريكا ومصر وقال أن المهم هو سعادتى فقلت أن سعادتى هى أن أسافر فى إجازة طويلة

وفى جلسة مع بروس قبل ذلك بأسبوع جرى حديث عن المؤتمر الأفريقى الأسيوى وقلت على لسانكم أنكم متعبون فى مقابلاتكم لجميع الزعماء الدوليين الموجودين فى القاهرة ومحاولة إيجاد حلول للمشكلات فى الخلاف بين الهند وباكستان وبين ماليزيا وأندونيسيا وبين الصين والاتحاد السوفيتي والمشاكل الموجودة بين الأفريقيين أنفسهم، وأنكم ترون أنه إذا لم تحل هذه المشاكل قبل المؤتمر سوف يفشل، وأن مايدفع الرئيس إلى كل هذه المشاكل أن قوته فى وحدة المعسكر الأفريقى الآسيوى

وقلت لبروس على لسانكم أيضا أن المارشال تيتو أرسل لكم رسالة يقترح فيها أن تؤيدوا روسيا فى موقفها فى فيتنام، وأن تعملوا على أن تؤيد الجزائر والهند، هذا الموقف وكذلك الدول الأفريقية. وكذلك بالسبة لبعض المسائل الأخرى.. وذلك لأن روسيا فى حاجة إلى هذا التأييد نظرا لموقفها السيىء بسبب نزاعها مع الصين وأن تيتو سوف يزور موسكو ويقنع الزعماء الجدد بأن يعطوا معونة للجمهورية العربية فى مقابل هذا الموقف وتحدثنا عن معونة الولايات المتحدة وأن هناك اتصالات مع الولايات المتحدة شأنها وأنكم لاتبنون آمالاً على هذه الاتصالات السرية وأن هيكل قد يسافر إلى أمريكا وأن السفير الأمريكي معجب بهيكل ويرحب بسفره إلى الولايات المتحدة. وأن الرئيس لايريد الاعتماد على مساعدة الولايات المتحدة لأنها إذا شعرت أننا نعتمد عليها وحدها سوف تكسرنا.. وجرى حديث عن الوضع الداخلى فقلت أن سيادتكم مهتمون بتقوية الاتحاد الاشتراكى ومهتمون بالوزارة الجديدة، أن المرشح لرئاسة الوزارة هو زكريا محيى الدين

وجرى حديث عن الشيوعيين فى الصحف فقلت له على لسان سيادتكم أنك اتصلت بخالد محيى الدين وتكلمت سيادتكم معه فى استفحال الشيوعيين فى الصحف ووضع حد له ثم قلت أن بغدادى يصلح لرئاسة الوزارة وأن سيادتكم ترون أن بغدادى يريد أن يكون ملكا وأن بغدادى استأذن فى دعوة عدد من الضباط إلى بيته وأنهم كانوا يضحكون ويقولون هذا كنكتة وأن الرئيس لو شاء أن لايحصر أحد من هؤلاء الضباط هذه الدعوة لما ذهب واحد منهم.

وجرى حديث عن مؤتمر الجزائر وقلت على لسانكم أن مصر أرسلت النقاشين والعمال والبنائين للمساعدة فى إتمام بناء قاعة المؤتمر.

وقلت أن النعمان قابل الرئيس وطلب مساعدة مالية لليمن وأن الرئيس رفض وقال أنه ليس عنده نقود ولو كان عنده نقود ألا يدفعها إلا لحكومة فيها سبعة من اليمنيين.

وجرى حديث عن الموقف مع أمريكا فقلت على لسانكم أن سبب سوء العلاقات بيننا

وبين أمريكا هو إسرائيل واليمن والكونغو وأن الرئيس استخدم نفوذه كي يعدل أمين الحافظ عن فكرته في شن حرب فورية على إسرائيل حتى أن جريدة الموند كتبت تقول أن عبد الناصر قال ماقاله بورقيبة وإنما بطريقة أخرى وأن الجمهورية العربية أوقفت مساعداتها لثوار الكونغو وأننا مستعد للرحيل من اليمن وبذلك لايكون هناك سبب للخلاف بين البلدين ولموقف أمريكا من المعونة.

وجرى حديث عن تغير سفير الاتحاد السوفيتي، وأن السفير الجديد له علاقات طيبة مع جميع زعماء الاتحاد السوفيتي الجدد بينما السفير القديم كانت علاقته طيبة مع خروتشوف فقط.

وأن هذا التغير فى مصلحة الجمهورية العربية المتحدة، لأن السفير الجديد يتمتع بثقة الحكام الجدد، وأنه بهذا لايحدث أي تأخير فى إجابة طلبات الجمهورية العربية من الاتحاد السوفيتي

وقلت فى حديث عن العلاقات مع سوريا، أنها سيئة، وأن الجمهورية العربية ستقوم بحملة على سوريا، وأن سوريا طلبت منا أن ندفع إيجاراً فى مقابل استعمالنا القاعدة الجوية وأن عبدالحميد السراج سافر إلى سوريا ليقوم بحملة ضد البعثيين فى العراق، وأنه ستحدث أحداث فى سوريا.

وفى اجتماع قبل ذلك بأسبوعين عرض عليّ أثناء الحديث ورقة مكتوبة على الآلة الكاتبة باللغة الإنجليزية وفيها أن انفجارا وقع فى مدمرة مصرية وأن عددا من ضباط البحرية المعارضين لناصر هم الذين قاموا بهذا التدبير انتقاما منه، وأن هناك ثورة في عدد من البواخر المصرية وأن حوادث تخريب حصلت في بوارج وسفن أخرى تابعة للأسطول المصرى وقرأت هذه الورقة وأعدتها له وقلت له فى أثناء روايتى عن أحاديثى مع سيادتكم أنك حدثتنى بحزن بسبب وقوع انفجار فى المدمرة «القاهرة» وأن هذا الانفجار حدث فى الإسكندرية.

ثم شرحت كيف أن كثيرا من الضباط والجنود قتلوا وأصيب خمسة وأربعون إصابات سيئة وأن الانفجار حدث من الداخل كما أن هذه المدمرة واحدة من أحسن قطعنا. وتحدثنا عن علاقة الولايات المتحدة بالجمهورية العربية فقلت على لسانكم أن أمريكا تسير على سياسة القوة وأن الرئيس يخشى من أثر هذه السياسة على مصر والبلاد الأخرى خاصة أن الاتحاد السوفيتي لم يرد رداً قويا على هذه السياسة العنيفة

وتحدثنا عن زيارة الأستاذ/ أحمد محمد محجوب لسيادتكم وأن محجوب قال لكم أنه متضايق لتغلغل الشيوعية فى الصحافة المصرية، لأن جريدة أخبار اليوم صادرتها الحكومة السودانية لأن فيها اتجاهات شيوعية وأن الحكومة السودانية احتجت فى السفارة المصرية فى

السودان وأن الرئيس قال أنه لايوافق على تغلغل الشيوعية فى الصحافة المصرية، وأن محجوب قال للرئيس أنه يخاف من أن تؤثر الآراء الشيوعية المنشورة في الصحف المصرية على الشعب السودانى وأن سر الختم سيعتزل رئاسة الوزارة وأن محجوب سيتولى رئاسة الوزارة وأنه عين سر الختم سفيراً، وأنه يخشى لو عين سر الختم سفيرا فى القاهرة لأكله الشيوعيون

وأن محجوب قال أن عددا من ثوار الكونغو وصلوا إلى السودان بأسلحة لم يستخدموها وأنهم كانوا يتاجرون فيما بينهم، وأن أحدهم أرسل إلى حكومة السودان مذكرة رسمية يطلب فيها أن تعيد له عشيقته التى خطفها زعيم آخر وأن أحد زعماء الكونغو أرسل إلى حكومة السودان مذكرة يقول فيها أن سائق سيارة خطف زوجته وهربت مع السائق ومعها ٤٨٠ كيلو ذهب وأن الأسلحة غير المستعملة لم تصل إلى مصر وأن الرئيس طلب إبقاء هذه الأسلحة للسودان وطلب محجوب من الرئيس وضع خطة الانسحاب على أن تنفذها السودان ثم أطلعنى بروس على مذكرة مكتوبة باللغة الإنجليزية على الآلة الكاتبة وفيها

١ ــ الشيوعية تغلغلت فى الجيش المصرى

٢ ــ ٧٪ من الجيش إما مصير للشيوعية أو تحت قيادة شيوعية.

وأن الشيوعيين وصلوا إلى رتبة كولونيل..

فقلت له أن المعلومات التى عندى هى أنه اكتشفت خلايا قليلة شيوعية فى بعض وحدات الجيش وأنه قضى عليها وأننى سمعت هذه المعلومات من الرئيس شخصيا، فهز رأسه وأخرج لسانه دهشة من كذب المعلومات التى فى هذه المذكرة التى كانت معه

وقد حدث قبل ذلك بأسبوع أن قلت لمستر بروس أن المشير عامر قال أمام الرئيس وأمامى وأمام على أمين أنه ليس فى الجيش شيوعيون إطلاقا ويجب أن تعلموا ذلك جيدا

فأراد بروس أن يرد على هذا الكلام فجاء فى الأسبوع التالى بالمذكرة التى تدعى أنه يوجد فى الجيش المصرى ٧٪ شيوعيين أو أنصار للشيوعيين أو تحت قيادات شيوعية فلما قلت له بأن الرئيس قال أنه كانت هناك خلايا شيوعية قبض عليها فتح فمه دهشة وأخرج لسانه لأن هذا يخالف ما لديه من معلومات وفى هذه المقابلة تحدثت معه عن مقابلتكم لعلى أمين وأنه سيعمل لتحسين العلاقات بينكم وبين لندن . ولكن لم أخبره عن الطريقة الحقيقية التى تم الاتفاق بينكم وبين على أمين بشأن طريقة المراسلة وهى أن يكتب رسائله لسيادتكم عن طريق هيكل وأن هيكل يسلمها لكم، بل رأيت أن الأسلم أن أذكر له أن الرسائل سترسل لكم شخصيا أو للأستاذ سامى شرف وقلت أنكم طلبتم إليه أن يعطى رسائله مقفولة إلى السفير الذى سيرسلها لكم أو لسامى شرف .

وقلت له أن الرئيس مستعد لتحسين العلاقات مع بريطانيا وحل مسألة التعويضات وسيرسل مذكرة بذلك لعلى فى لندن . وأن الرئيس فضل علاقات طيبة مع حكومة العمال وأن على أخبر السفير البريطانى بأنه يأمل أن تؤدى رحلة السفير إلى تحسين علاقته بين البلدين..

وأن الرئيس قال لعلى أمين انكم تعطون الشيوعيين فى الصحافة أهمية أكثر مما لهم وأنهم فى الواقع أضعف مما كانوا عندما خرجوا من المعتقل وأنهم منقسمون فيما بينهم ويتكالبون على المناصب أكثر من اهتمامهم بنشر الشيوعية.

وأن الرئيس قال أن الشعب يكره الشيوعيين المصريين وأن كل فائدتهم أنهم جسر بيننا وبين الاتحاد السوفيتى ويعودون بالفائدة فى إعاقة امريكا وأن الرئيس لايريد أن يخاطر مع الغرب وأنه لايريد تشويه العلاقات مع روسيا أى أن الرئيس لايريد أن يكون تحسين علاقاته مع الغرب على حساب علاقاته مع الشرق . بل إنه يرغب فى علاقات طيبة مع المعسكرين

وأن على أمين سيقوم بالسفر إلى ألمانيا الغربية لتحصل على مساعدات منها حتى تخفف الأزمة لأن قطع المعونة الأمريكية أرهق مصر، وجرى حديث مع بروس عن موقفنا من بريطانيا فى الخليج العربى واليمن وقلت على لسانكم أن الرئيس على استعداد أن يهدئ الحالة ويصل إلى اتفاق مع بريطانيا باستخدام نفوذ مصر على شعوب المنطقة بشرط أن توقف بريطانيا مساعداتها للملكيين ضد الجمهوريين فى اليمن وإذا توقفت بريطانيا عن هذا التدخل فإن مصر مستعدة أن تسحب قواتها من اليمن أو تحل محلها قوات من القيادة العربية المشتركة وأن الرئيس قال أنه لايريد أن تستخدم القاعدة الجوية الموجودة فى ليبيا ضد مصر.

وجرى حديث مع بروس عما تقوم به المخابرات الأمريكية فى المنطقة وذكرت على لسانكم أنكم تعتقدون أن المخابرات الأمريكية تقوم بنشاط ضد مصر فى كل المنطقة وأنها هى التى أسقطت الناصريين فى انتخابات ليبيا وأسقطت الناصريين فى انتخابات السودان وأنها تسيطر على جيش الملك فيصل فى السعودية وأنها أقامت حصارا حول مصر وأنها تسيطر على الحكم فى تونس وأنها هى التى أقامت الحصار حولنا من السعودية ومن ليبيا ومن السودان ومن المغرب ومن تونس

وتحدثنا عن الحالة فى اليمن والعراق وأن لبنان تقف علنا مع الغرب وجرى حديث من استعمال أمريكا للقوة وأن الهزيمة فى الكونغو كلفتنا كثيرا وأنه يجب جعل روسيا تقف موقفا حاسما فى فيتنام كالموقف الذي وقفته سنة ١٩٥٦ عندما هددت بتدمير باريس ولندن، وإذا كان الروس يقفون هذا الموقف فى فيتنام فكيف يقفون إذا تعرضت مصر لمثل هذا الخطر وتحدثنا فى هذا المعنى الذى سبق لسيادتكم أن خطبتم فى إحدى خطبكم وأشرتم إليه.

وتحدثت إليه عن حضور الرئيس عارف إلى القاهـرة وأن الرئيس كلف عشرة أطباء بفحصه وأنهم يعتقدون أنه مـريض بالسرطان وأنه من رأى الأطباء أن يحري الدكتور تـابر هذه العملية الخطيرة وأنني عندما رأيت عارف فى القصر الجمـهورى لاحظـت أنـه مريض فـعـلا وأن هـدا هـو السبب الحقيقـى فـى زيـارة عـارف

وقبل ذلك بأسبوع احتمعت ببروس وجرى حـديث عن إخراج حلمى سلام من الجمهورية وقلت لـه أن السبب أن حلمـى سلام نشر كلامـا على لسان سيادتكم من مقـابلتكم لماكلوى مـندوب جمهوريـة أمريكا، وكـيف أنه هدد بـقطع المعونة وأنكـم قلتم لـه لانريد معـونة وأن سيادتكم عصت، أن يروى على لسانكم مـوقف بطولى لم يحدث، وأنك لست فى حاجة إلى بطولات زائفة لأن ماكلوى لم يهدد بقطع المعونة وأن سيادتكم لم تقولوا له هدا الكلام.

وتحدثنا عن الميزانية وذكـرت لبروس على لسانكم تخصيص مبلغ ١٧ مـليون حنيه أو مبلغ عشريـن مليون جـنيه فى الميـزانية القادمـة لشراء قمـح وأن هناك فكرة لخـلط الخبز ورفـع ثمن البترول وأنه على مكتبكم اقتراحان من وزير الـتموين بهذا الشأن لم تأخذ بأحدهما بعد. الأول رفع ثمن الخبز أو خلـطه قمح ودرة دون إعلان ذلك، الثانى رفع ثمن منـتجات البترول وجرى حديث عن السد العالي، وتحـدثت على لسان سيادتكم بأننا بحثنا مع الاتحـاد السوفيتى اختصار المدة وتحدثنـا عن موقف موسى صـبرى فى أخبار الـيـوم وأن سبب وقفه هو أن الـرئيس رأى أنه كان عليه أن يمتثل للأوامر ولايتحداها وأن على أمين قابل السفير البريطانى

قبـل ذلك بأسـبوع جرى حديث مـع بروس بشـأن المعونة الأمـريكيـة وعن مقابـلة السفير الأمريكي للدكتـور القيسونى وقلت على لسان سـيادتكم أنكم غير متفائلـين من أن الأمريكيين سيـستأنـفون المعـونة وأننـا سوف ندبر أنـفسنـا على أسـوأ الاحتمـالات أى أن أمريكـا سوف لاتستأنف المعونة وقد قـلت لبروس أنه فى حالة توقف أمريكا عن إعطائـنا القمح فإن الرئيس سوف لايسكت على هذا بل سوف يرد على ذلك بالالتجاء إلى الكتلة الشرقية

وجرى حديث عن اليمن وقلت له أن من رأى سيادتكم أن مـسألة اليمن وحربها لن يكسبها أحد وأن الرئـيس يعمل لـلوصول إلى حـل يبقى علـى هيبة الجيـش المصرى وسط الـرأى العام العربى وأن الانسحاب يجـب أن يتم بطريقة مشرفة لمصر وأن الرئيس يـعمل على الوصول إلى حل لهذا الموضوع فى اجتماع مؤتمر القمة العربى

وجرى حديث عن العدوان فى سان دومينجو ودكرت لبروس على لسان سيادتكم أن الاتحاد السوفيتى طلب منكم فى رسالة حملها السفيـر السوفيتى تأييد قضية العدوان على سان دومينجو

فى مجلس الأمن عندما تثار بنفس الطريقة التى أثير بها العدوان على مصر سنة ١٩٥٦ وأننا لم نتدخل مباشرة فى أزمة سان دومينجو

وجرى حديث عن موقف العرب من ألمانيا الغربية قلت على لسان سيادتكم أن الاتفاق تم بأن يبدأ العراق بقطع العلاقات وأن العراق سيعهد إلى سمارة سويسرا فى بون بشئونه والذى سيتولى رعاية مصالحنا أفغانستان وكان الكثيرون قد تصوروا أن الرئيس عبد السلام عارف خالف اتفاقه مع الجمهورية العربية وسبقها بقطع العلاقات

وجرى حديث عن الحكومة فقلت على لسان سيادتكم أنكم ترون أن هناك أمورا لاتعجبكم وأنها كثيرة فى الحكومة التى تسير سيراً سيئاً وأن الشعب يريد حكومة قوية.

وجرى حديث بخصوص شراء أسلحة من روسيا وقلت على لسان سيادتكم أنكم طلبتم من المشير عبد الحكيم عامر تخفيض نفقات الجيش لأن البلد تواجه صعوبات وأنكم ذكرتم أن هناك بعثة ستسافر لشراء أسلحة من الاتحاد السوفيتى وأنها سافرت بغرض حضور احتفالات الذكرى العشرين فى موسكو وكان ذلك إيضاحا لموقفنا وأننا دبرنا أنفسنا على أساس أن لانأخذ معونة من أمريكا وأن الاتحاد السوفيتى سيعطينا ما نحتاجه من أسلحة بأقل من قيمتها نتيجة لموقف أمريكا

وقبل ذلك بأسبوع اجتمعت ببروس وقلت له أننا سنرسل علماء إلى الصين على لسان سيادتكم وأننا سوف نصنع القنبلة الذرية وأنه تم الاتفاق على ذلك فى زيارة شواين لاى

وجرى حديث عن معونة القمح من أمريكا وإعلان الولايات المتحدة بأننا لم نطلب منها قمحاً وقلت على لسان سيادتكم بأنكم تعهدتم فى خطابكم أن تقولوا أننا طلبنا قمحا من الولايات المتحدة لأن أمريكا صرحت بأن مصر لم تطلب قمحا ولهذا لم تعطها أمريكا وأن الرئيس أراد أن يقطع الحجة على هذه الدعوى.

وهناك ملاحظة وهى كما تعلمون سيادتكم بأن الأمريكيين يستعملون فى أحاديثهم الحروف الأولى مس أسماء الأشخاص والأشياء وألقابهم وقد كان فى بعض الأحيان أن نذكر اسمك بحرف (R) وهو الحرف الأول مس كلمة (ريس) وأحيانا نقول الريس وأحيانا نذكر اسمك (P) وهو الحرف من كلمة (president) وفى بعض الأحيان ذكرت اسمك (N) وهو الحرف الأول من كلمة (ناصر)

وإن كان على ما أذكر أن فى كل ماكتبته فيما تقدم أشرت إليك بحرف (R) وفى مناسبات

كثيـرة أشرت إلى الإشاعـة باسم (R) أو إلى الـرجال المسئـولين باسم أيـضا Pesponsible people

وقد كانت المقابلات بينى وبين بروس فى بيتى ونتناول الغداء يوم الأربعاء؟ من كل أسبوع وأحيانا كان يتغير اليوم فيصبح الثلاثاء أو الخـميس وقد تمت بعض المقابلات فى مكتبى بأخبار اليوم

وهناك بـعض الامور التى دارت بيننا فى أحـاديثنا فى فتـرات لقائنا قـبل ذلك ولاتسعـفنى داكرتى فـى أن أحدد تواريخها أو تـتابعها بالـضبط بسبب ابـتعاد المدة فقد حـدث فى إحدى المرات أن سألنى بروس مادا سـحدث إذا أصيب الرئيس حمال عبد الناصـر فى حادث، فقلت له أنه إذا حدث شيء من هذا للرئيس عبد الناصر فسوف تتحول مصر ماشرة إلى بلد شيوعى بل إننى أخشى أن المنطقة كـلها تتحول إلى الشيوعية لأن جمال عبد النـاصر يمثل الحاجز أمام البلاد العربية الذى يمنع الشيوعية . فقال أنه سمع أنه يوحد فى الحيش شخصيات قوية يمكنها أن تقود البلاد في حـالة اختفاء عبد الـناصر فسألته عـن أسماء هذه الشخصـيات التى يقول عنـها فلم يذكر اسما واحدا

والغريـب أنه عاد فى مقـابلة بعـد ذلك بأسبوعـين أو ثلاثة وعاد يفـتح الموضوع ويـقول أنه لايفهم أن اختفـاء حمال عبد الناصر من الميدان سـوف يؤدى أن تقع البلاد العربية فـى التيوعية فقلت لـه أنه إذا كان اختفاء جـمال عبد الناصـر نتيجة لحادث اغـتيال وحتى لوكـان الفاعل مصريا وهذا ما أستبعده فإن المصريين سيعتبرون أن الأمريكيين أو الغرب أو إسرائيل بالاتفاق مع الغرب هى التى دبرت هـدا الحادث وسوف تكون النتيجة الأولى حدوث مذبحـة فى كل المنطقة ضد الأمريكيـين والغربيين كلهم وأن الـذى أعلمه من الرئيس جـمال عبد الناصر شخـصيا أنه ألف جهـازا سريا تحت الأرض مهـمته أن يقوم بـالانتقام فـى حالة حدوث مثـل هذا الحادث أو مايشابهه فـالذى يحدث أنه ستقوم المذبحـة أولا ثم تجئ الفوضى وفى رأيى أن القوى الـشيوعية المختفية والمتفرقة ظاهريا سوف تتجمع وستحدث انقلابات شيوعية فى كل البلاد العربية

فسألنى بروس هل أعـرف من هو رئيس هذا الحهاز السرى المشرف عـلى حوادث الاعتيال؟ فقلـت له إننى لا أعرفه والمـعلومات التـى لدى من الرئيـس أن أحدا من رجاله لايعـرف أسماء هؤلاء الأشخاص وأننى حاولت أن أعرف من الرئيس اسـم هذا التسخص فلم أستطع وقد قال لىّ الرئـيس مرة أن هدا الـشحص ليس وزيـرا ولا طاهرا ولايعرفـه أحد حتى ولا نـواب رئيس الجمهورية فـقال بروس معنى هذا أن هدا الرجـل هو الذى سيحلف عبد الـناصر إذا حدث له

شئ. فقلت له: أن الذى علمته من الرئيس أن مهمـة هذا التخص هى قيادة هذه العملية السرية فى المنطقـة كلها في حالة حدوث أى اغـتيال للرئيس جمـال عبد الناصر فقال بـروس أنه يهمه كثيرا أن أعرف اسم هذا الشخص فقلت· إننى أعتقد أن هدا صعب جدا.

وحدث مرة أن سألنى ولا أذكر متى، هل كان قبل هذا الحديث آو بعده أن تحدث بروس عن كمال الدين حسين وهل الأخوان المسلمون يعترونه الزعيم المنتظر فقلت له إن الذى أعرفه أن كمال الدين حسين متعصب دينى، ولكن ليس له أى قـيمة شعبية وأن الرئيس جمال عبدالناصر قال لى: أن كمال الدين حسين اعترض على الفوائد لأنها ضد الإسلام وأنه عارض فى القوانين الاشتراكية فسأله الرئيس إذا كنت لاتؤمن بالفوائد فلماذا لاتبيع الأسهم التى تملكها، فقال كمال الدين حسين: أخشى أن أخسـر فيها وأن الرئيس قال إذا كان كـمال الدين حسـين لايريد أن يحسر جنيهات يجئ ويطالب بإلغاء الفوائد

وقال بروس فـى أحد الاجتماعات أنـه تلقى معـلومات بأن علـى صبرى شيوعى وبـأنه هو الذى يتجه بمصـر إلى الشيوعية فقلت له أن الـذى أعلمه أن على صبرى ليس لـه سياسة خاصة وأنه لايمكن أن تكون له اتصالات بـالشيوعية بغير علم الرئيس جمال عـبد الناصر وأن الرئيس يحبه لأنه يعرف كل تفاصيل مسائل الوزارات منذ أن كان يعمل مديرا لمكتبه

وقال بروس مـرة أخرى أن الشيوعـيـين يقولون أن على صـبرى هو الذى ساعدهـم وأنه هو الذى اختار الـوزراء ذوى الميول الشيوعـية فى الوزارة، فسألـته عمن يعتـقد أنهم شيوعـيون فى الوزارة فذكر اسم الدكتـور نزيه ضيف واسم الدكتور خلاف وقال أن كمـال رفعت حوله عدد من الشيوعيين

وقال لى بروس أنـه علم بأن الرئيـس جمال عبد النـاصر قرب له فى المدة الأخـيرة صلاح دسوقى وأنه أصبح يعتمد عليه فى المسائل الحارجية وأنه يتق به فى الجهاز.. وأنه اختاره فى عدة عمليات سياسية هامة وأن هناك أخبارا تقول أنه الرجل القادم

وتصادف أن نشرت جريدة الأهرام كـاريكاتيرا هاجمت فيه بعنف صلاح دسـوقى فأعطيته عدد الأهرام وقـلت له إذا كانت المعـلومات التى لـديك عن صلاح دسوقـي صحيحة فلـم قبل هيكل نـشر متل هذا الكـاريكاتير وقال لـى بروس مرة تانية ـأنه سمع إشاعة بـأن عددا من قوات اليمن تـرغب فى العودة وأنها تمردت فى اليـمن وأقيمت محاكمات فـى اليمن وصدرت أحكام عنـيفة جدا ضد عدد مـن الضباط فقلـت له أن الرئيس جمـال عبد الناصر أخـبرنى بأن الضباط تحاسـقوا على الذهاب إلى اليمن وأنهـم يستفيدون ماديا من هذا الـسمر وأن هناك آوامر

بإعطاء سيارة نصر وشقة ووظيفة لكل عائد من اليمن، وذكر بروس بأن الولايات المتحدة عقدت اتفاقا سريا مع المملكة السعودية بأنه فى حالة ما إذا دخلت القوات المصرية أرض السعودية فسوف تتحرك الطائرات الأمريكية فورا لضرب الجيش المصرى.

فقلت له إننى علمت من الرئيس جمال عبد الناصر بأنه أصدر تعليمات إلى الجيش المصرى بعدم ضرب الأراضى السعودية وعند سقوط خروشوف أو بعد ذلك بفترة لاأستطيع تحديدها قال لىَ بروس أن تعليمات سرية صدرت من واشنطن بأن أمريكا قررت استعمال القوة وأن الحالة فى داخل الاتحاد السوفيتى تسمح لها باتخاذ هذه السياسة دون خشية من رد فعل الروس وأن لديهم معلومات سرية بأن الروس لن يتحركوا وسوف يكتفون بالاحتجاجات

وذكر لىَ مرة أخرى بأن حكومة الولايات المتحدة ثائرة لأسلوب الكتابة في الصحف المصرية وأنه أسلوب شيوعى فى الكتابة وأن واشنطن حللت أسلوب الكتابة فى الصحف المصرية فوجدتها أشد روسية من جريدة برافدا

فقلت له أن الرئيس جمال عبد الناصر قال لىَ أنه يعرف أن الولايات المتحدة غيرت سياستها بعد وفاة كنيدى وأنها تلجأ إلى استعمال القوة وأنه سبق وأصدر أوامره للجيش المصرى بعدم عبور الأراضى السعودية برغم إلحاح اليمنيين فى ضرورة ذلك وأن الرئيس فعل ذلك قبل أن يعرف أن أمريكا لجأت إلى سياسة القوة وقلت له أن البلد غير شيوعى وأن المقالات الشيوعية التي يكتبها الشيوعيون تحدث رد فعل عكسيا فى الرأي العام المصرى.

وأن الرئيس جمال عبد الناصر قال لى أنه أراد أن يكشف الشيوعيين المصريين أمام الرأى العام وأنه يعلم أن الناس تكره الشيوعيين

وقد قابلت الأستاذ سامى شرف وأبلغته ما سمعته من أن الأمريكيين مستاءون من أن الصحف المصرية تهاجم أمريكا بعنف، وقلت له أن السياسة الأمريكية تغيرت فقال سامى إننا نعرف ذلك من قبل. وأخبرنى مستر بروس بأن الملك فيصل قال أنه سيجعل اليمن مقبرة عبدالناصر، وأن فيصل استطاع أن يكسب من حرب اليمن . وأنه أصبحت له علاقات مع الإنجليز وأن الشيخ حافظ وهبة يقوم بتحسين العلاقات مع لندن بينما عبد الرحمن عزام يوفق العلاقة مع واشنطون، وأن أمريكا ساعدت الملك فيصل ضد الملك سعود لأنه لو بقى الملك سعود سنتين فى الحكم لانتهى الحكم السعودى كله، وأن الخطر على الملك فيصل من صحته السيئة، وقال أن زوجة الملك فيصل تكره جمال عبد الناصر لأنه صادر عمارتها وأن نفوذها قوى جدا على الملك فيصل

وهنـاك مـوضوعـات أخرى تكـلمنا فيهـا أنـا وبـروس خـلال المقـابـلات بينـنا، فقد سألنى بروس ذات يوم هل أعرف شـخصا مسئولا فى الأزهر تثق فيه؟ فسألـتـه عن السبب؟.. فقال أن الأزهر طلب مساعدة ثقافية من الولايات المتحدة وأنت تعرف أنهم ليسوا تابعين لوزارة التربية والتعليم، وأنه يريد شخصا موثوقا به لمعرفة معلومات عن هذا الموضوع.

فقلت له أنه يمكن سـؤال الباقورى وهو عنصر طيب وأننى أرى أن من مصـلحة أمريكا منح المعونة للأزهر دون عمل دعاية كثيرة لهذا.

وحدثنى مرة عن كتـاب ألفه «تيودور هوايت» عن الرئيس جونسـون وكان تعليق بروس أن جونسون يشبه الرئيس حمال عبـد الناصر فـى عدة مسائل وهى أن كلا منهما معتد برأيه وجرئ . ولا يتراجع وأنه سيرسل لىّ الكتاب لأرسل نسخة لـلرئيس

وحدثنى بروس عن الحملات التى تشنها الصحافة المصرية على أمريـكا وأنها تدل على سيـاسة معـينة واتجـاه واحد . فـقلت لـه أن هذه المقـالات ليسـت موجهـة صد أمـريكا وأنـها للاستهلاك المحلى وكان هذا تعقيبا على حديث سابق فقد أثار بروس لهجة الصحف المصرية وقال أنها عـدائية لأمريكا وأن المقـالات تترجم وتحلل وتصل إلـى نتيجة بأن مصـر اتجهت إلى روسيا وأن هذا سيمنع أى أمل فى المعونة فقلـت له أن هذه المقالات ليست موجهة إلى أمريكا وإنما هى للاستهلاك المحلى وردا على الحملات الأمريكية.

وقد تحدثت معه فى أكثـر من مرة أنني أفكر جديا فى أن أطلب إجازة طويـلة من عملي فى أخبار اليوم لأننى مـرهق، ومن رأيى أنه يجب أن أعتزل أى عمل صحـفى أو إدارى بعد بلوغى سن الخمسين، وأننى أفكر فى أن أكون مراسلا متجولا لأخبار اليوم، ويكون مركزى فى بيروت ولكنني أخـشى على حياتـى فى بيروت، وقد سبق أن حـذرت من أن حياتى فى خـطر فى هذه المدينة، وطـلبت منه أن يسـأل أصدقاءنا عن مكان فـى رأيهم يضمن سـلامتى الشخصـية يكون مركزي فـيه خصوصـا إذا حدث أثناء وجودي خـارج مصر أى انقلاب فـيها، فقـال لىّ أن هذا يتوقف علـى القائمين بالانقلاب فـيها، فإذا كان انقلابا شيـوعيا فلن يكون مركـزك طيبا لا فى مصر ولا فى أى دولة عربية فى الشرق الأوسط.

وقلت أننى أفضل أن يكـون مركزى كصحفى متجول لأخبار اليوم فى لـندن لأننى أستطيع أن ألم بالأخبار بحكم معرفتى للـغة الانجليزية وقال لىّ بـروس أنك طبعا ستحصل على موافقة الرئيس جمال عبد الناصرقبل أن تقوم بهذا العمل

فقلت: إننى طبعا سوف أطلب موافقة الرئيس، ولن أقوم بمثل هذا العمل أو أى عمل إلا بعد موافقة الرئيس . وقال لى بروس أن من رأيه أن لا أتقدم إلى الرئيس طالبا الموافقة على هذا العمل قبل انتهاء مؤتمر الحزائر وقال أنه يعلق أهمية خاصة على هذا المؤتمر وقال مقترحا أن أحضر المؤتمر فى الجزائر.

وقد تطرق الحديث، إلى الموقف فى الصحف بعد خروج الشيوعيين من الصحف فقلت إن هذا يتوقف على الطريقة التى سوف يتبعها الرئيس فى إخراجهم وإذا كانت هذه الطريقة ستجعل الشيوعيين حتى بعد خروجهم قادرين على إلحاق الضرر بى نظرا لموقفى ضد الشيوعية، فقال بروس أنه فى مثل هذه الحالة فإنه يحسن أن أطلب من الرئيس أن يبقينى فى وظيفة لها صمة المتجول فى الخارج

ولقد كان بروس دائما يصف الإقامة فى بيروت بأنها خطر عظيم وأنه من الممكن قتلي في بيروت ببضع ليرات، وقال لىَ مرة أن من السهل التصويب عليك وكان يردد أن البعثيين أو اليهود أو الشيوعيين يستطيعون أن يرتكبوا جريمة قتل بسهولة جدا فى بيروت.

وقال بروس أن إصرارى أن أكون مراسلا متجولا فى الخارج سوف يجعله ينقذنى شخصيا ولكن علاقتنا ستستمر واقترح بروس أن أكون سفيرا متجولا غير رسمى وقال أنه من الصعب أن أسافر إلى الخارج مع وجود أخى على أمين فى الخارج..

وذكر بروس أن كل مايهمه هو سعادتى الشخصية وقال لى لقد ساعدت الولايات المتحدة مساعدات عظيمة بغير جدال.. وأذكر أنه فى إحدى مقابلاتى مع مستر جون سيدر فى صيف العام الماضى أن عرض علىّ كشفا بأسماء بعض محررى أخبار اليوم وموظفيها الشيوعيين وطلب منى رأيي هل هؤلاء شيوعيون حقيقة أم يسيرون فى ركاب الشيوعيين؟

وأخبرته برأيى فيمن سألني عنهم، وقد أحضر بعد ذلك بروس هذا الكشف وسألنى عن شخص أسمه «طنطاوى» وهل هناك اثنان باسم طنطاوى، ومن هو الشيوعى منهم فأجبته على سؤاله. وحدث مرة أن سألنى بروس عن إشاعة القبض على السفير المصرى فى الجزائر عقب انقلاب الحزائر فقلت له أن الإشاعة صحيحة فقال: إن السفير لم يقبض عليه ولكن فتش فقط.

وعقب انقلاب الحزائر قال لىَ بروس معلقا على زيارة المشير أن تصرف المشير فى الحزائر كان بحماقة وأنه اعتبر نفسه (إلها) متعاليا على الجزائريين، لدرجة أنهم كانوا يتساءلون من هو عامر

هذا، وأنه إذا كـان هذا التصرف قـد تم بناء على رغبـة الرئيس فإن تـصرف المتعالـى هو الذى يسبب الضرر للعلاقات المصرية الجزائرية وأن الرئيس لايواجه الحقائق كما هى

وحدث أن أشار بروس إلى مـقال مناهض لأمريكا نشـر فى صفحة بجريدة الجـمهورية يوم ٦/٧ وطلب منى أن أتحرى عن كاتب هذا المقال وكيفـية وصول المقال إلى الجريدة لأنه يعتقد أن هذا المقال فى صيغته الأصلية ليس صادرا عن قلم مصرى ولكنه مكتوب بقلم سوفيتى وهو يريد أن يتوصل إلى معرفة مَنْ مِنْ السوفييت علـى اتصال بجريدة الجمهورية، وأن هذا قد يكون أحد رجال المخابرات السوفيتـية وذكر أنه عند التوصل إلى معرفة المصدر الحقـيقى لهذا المقال وأنه إذا كان سوفيتيا فسيـكون هذا برهانا للرئيس عبد الناصر على أن السـوفييت يدسون المقالات فى الصحف

وفى خلال شـهر يونيو أطـلعنى بروس عـلى صورة للـسيدة/ قدرية صـديقة السيـد حسن إبراهيم وقـد كتب عليها بـاللغة الإنجليزيـة «نائبة رئيس الجـمهورية الجديدة» فقـلت له أن هذه السيدة ليست زوجة حسن إبراهيم وأن الرئيـس لم يوافق على زواج حسن إبراهيم بها وحدث فى نفس المقابلة أن قدم لىَ ورقة ررقاء مكتوبة على الآلة الكاتبة الإنجليزية جاء فيها

الكولونيل أحـمد ـــ سلاح المشاة ـــ قبض علـيه وهو يقود خلايا سرية كبـيرة جدا فى المشاة وله قوة كبيرة.. وقد هـززت رأسى بأنى لم أسمع مطلقاً بهذا الاسم ولـم أسمع أن هناك خلايا سرية كبيرة، وكل ما أعلمه أنه كانت هناك بضع خلايا سرية ولـم يعرف بعد ميول هذه الخلايا، ومرة أخرى قال لـىَ أنه علم أن الدكتور الـشحات وطه النمـر ومحمد مندور قتـلوا فى ظروف غامضة وأن هذه المعلومات وصلت إليهم عن طريق تقارير قدمت إليهم

فقلت إن الدكتور الشحات انتحر لمرضه، وأن طه النمر لم يمت ولايزال حيا والدكتور مندور مات بـالذبـحة الصـدرية، وفـى مرة أخرى قـال بروس أن يعـرف سر وجـود المشيـر عامـر فى المستشفى، فقلت له أن المشير عامر أجرى عملية الزائدة وأن هذا نشر فى الصحف.

فقال كنت أتمنى أن تكون العملية أسوأ من الزائدة الدودية، فرددت عليه بأن الذى يقال أنه حدث خلاف بين الرئيس والمشير بسبب مصاريف الجيش وأنه عقب ذلك شعر المشير بتعب وأن الرئيس صحبه إلى المستشفى وحضر إجراء العملية.

وقال لى بروس أن الحكـومة الأمريكية ترغب أن توصـل بعض توجيهات إلى الـسيد رئيس الجمهوريـة العربـية فـى قالـب يقبلـه وذلـك بصـورة مباشرة أو غير مباشرة..

فقلت له أن أحسن طريقة لهذا أن أقوم بتبليغ الرئيس بعض الأبناء المبكرة عن التصرفات التى ستقوم بها الحكومة الأمريكية حيال مصر وبذلك سيقتنع الرئيس بأنه على بينة من هذه الأمور عندما تنشر بعد ذلك فى أمريكا بطريقة رسمية وقلت له أن الرئيس لن يقبل أية توجيهات من أمريكا إذا عرضت عليه فى قالب نصيحة إذ أنه قد ضاق صدره بالنصائح الأمريكية.

وكان الأمريكيون كما تذكر سيادتكم يقولون عن عبد الحميد السراج شيوعى، وتذكرون سيادتكم أنه أثناء محادثات الجلاء بعد العدوان وكنت فى أمريكا أن طلب الأمريكيون أن أرجو من سيادتكم العمل على إخراج عبد الحميد السراج من الحكم فى سوريا لأنهم واثقون أنه شيوعى مائة فى المائة

وأذكر أن سيادتكم هزأتم بهذا المطلب ورفضتموه وقلتم أن عبد الحميد السراج غير شيوعى وأن الأمريكيين مغفلون

وقد حدث أن قابلت عبد الحميد السراج فى شهر مايو ودار حديث معه وقد رويته لبروس فقلت أن السراج قلق جدا بالنسبة للشيوعية وأنه قال لىّ أنه عندما يقرأ جريدة الأخبار يشعرأنه يقرأ جريدة شيوعية مائة فى المائة، وكذلك مجلات آخر ساعة وروزاليوسف وأنه يرى أن ذلك يسئ جدا إلى الناصريين فى الدول العربية ورجانى أن أبلغ هدا على لسانه للرئيس

وأنه منذ عام ١٩٥٩ لم ينضم أحد إلى الأحزاب الشيوعية العربية ولكن منذ دخلت الشيوعية إلى الصحافة بدأت حركة الانضمام إلى الأحزاب الشيوعية، وأضاف السراج بأنه رغم أن الرئيس جمال عبد الناصر قال أنه يمكنه القبض على الشيوعيين فى ساعة واحدة، إلا أن الموقف حاليا قد تغير عن طريق سلاح الصحافة إذ تنشأ خلايا جديدة لم يتعرف عليها بعد وأنه عندما دخل السراج سفارة الجزائر في مصر وجد أن جميع المصرين فيها شيوعيون.

وسألنى بروس عن صدى مقال عن الرئيس نشرته جريدة نيويورك تيمس وقالت فيه أن عدد الجنود المصريين فى اليمن وصلوا إلى مائة ألف

وسألنى مرة عن أن لديه أخبارا، أن المشير عامر ذهب إلى اليمن فى رحلة سرية وطلب منى أن يعرف حقيقة هذا الخبر فقلت أن الخبر غير صحيح وأصر على أن يعرف مصدرى، فأفهمته أنه مصدر موثوق به جدا، وأنه شمس بدران وسألنى «بروس» بأنه علم بأن مصر أرسلت قوات إضافية إلى اليمن، فقلت أن الذى يحدث هو استبدال القوات بنظام المناوبة، أى أن وحدة تسافر وتعود وحدة أخرى..

وأوهمته بأن المصدر هو شمس بدران، بينما أن شمس لم يذكر لىَ شيئا من هذا وإنما أردت أن أنفى نبأ زيادة قواتنا فى اليمن.

وكان بروس دائم السؤال عن رحلات صدقى محمود ولعل ذلك يرجع إلى ماسبق أن ادعيته بأننا نقوم بصنع قنبلة ذرية

وأطلعنى بروس على صورة تقرير عن القبض على اىن على صبرى، وأن البوليس ضربه كما يضرب الجستابو الضحايا، فأنا قلت أن خبر القبض صحيح، وأن شخصيته لم تكن معروفة للبوليس وأن عسكرى البوليس عوقب . وحاء ذكر قضية الاستيراد المتهم فيها صهر على صبرى وكيف أن السيد مصطفى الهلباوى كتب مذكرة يطعن بها فى حكم المحكمة . وأن حامد محمود مدير مكتب رئيس الوزراء طلب أن يعدل هذه المذكرة، وأن سلطات حامد محمود كبيرة، وأن الوزراء كانوا يجدون من الأسهل أن يقابلوا الرئيس جمال عبد الناصر عن مقابلة حامد محمود.

وكان يسألنى كثيرا عن أخبار المشير، ويطلب منى أن أتحرى عن بعض الأنباء، ومن أمثلة ذلك ماذكره حول زيارة المشير لليمن، واشتراكه فى مؤتمر حرض، وأنا أفهمته أن العرض من أسفار المشير إلى اليمن أن يرفع معنويات القوات

وقال أن تحركات المشير واضحة فى خلال هذه المرحلة، إلا أن أيام ٢١،٢٢،٢٣ أبريل غير معلوم عنها أى شيء وسألنى عنها ولم أخبره عن ذلك

وأحب ياسيادة الرئيس أن أروى لكم بأمانة كيف بدأت علاقتى بالأمريكيين، ففى سنة ١٩٢٥ عين والدى وزيرا مفوضا فى واشنطون، وسافرت معه وأقمت فى السمارة المصرية بواشنطون. وكنت أرعب فى أن أدخل كلية لدراسة الصحافة ولكن والدى كان يرفض أن أعمل بالصحافة، وأصر على أن أدرس العلوم السياسية، ودخلت حامعة حورج تاون فى مدينة واشنطون سنة ١٩٣٥، فى كلية العلوم السياسية حيث حصلت على ماجستير في العلوم السياسية فى عام ١٩٣٨، وهذه الكلية هى المدرسة التى يتحرج ميها أعلب رجال السلك السياسى فى أمريكا، والذين يتولون وظائف وزارة الخارجية الصغيرة، إد أن الوظائف الكبيرة فى السلك السياسى الأمريكى كانت دائما وقفاً على رجال الأحزاب، ولم يصبح هناك سلك سياسى بمعنى الكلمة يترقى فيه الموظف إلى أعلى الدرجات إلا بعد الحرب العالمية التانية عندما خرجت الولايات المتحدة من عزلتها وفي أثناء وجودى فى واشطون كانت السفارة المصرية

تقيم حفلات يحضرها شباب موظفى الخارجية، وكنت أُدعى إلى حميع الحملات التى يؤمها السفراء الأجانب في واشنطون، فقد كان اسمى مكتوبا فى قائمة الدبلوماسيين فى مدينة واشنطون باعتبارى ابن السفير المصرى..

وفى هذه الفترة تعرفت إلى عدد ضخم من شبان وزارة الخارحية، وإلى طلبة الحامعة، وكل هؤلاء أصبحوا يشغلون بعد ذلك أهم مناصب السفارات الأمريكية فى العالم أو فى وزارة الخارجية الأمريكية، ولهذا كانت علاقاتى وصداقاتى مع كثير من الدبلوماسيين الذين كانوا شبانا فى عام ١٩٣٥، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ عندما كنت طالبا فى جورج تاون.

وبعد عودتى من أمريكا واشتغالى بالصحافة التقيت بكثير من هؤلاء، وحدثت صداقات معهم، ثم حدث فى أثناء الحرب العالمية أن حضر كثيرون من الشبان الأمريكيين مع جيوش الحلفاء إلى مصر، وكانت علاقاتى مستمرة بأصدقائى الذين كنت اعرفهم من قبل، وكان من بين هؤلاء «كاى كازوهاى» **«هولت وبرت سمت» «وماهونى»** وكان بعض هؤلاء يعمل فى مكتب مستر «لندى» وزير الدولة الأمريكي المختص بشئون التموين وفى هذه الفترة أيضا التقيت «بأرشى روزفلت» «وكيم روزفلت» وكان «رورفلت» يؤلف كتابا عن البترول فى الشرق الأوسط، وكنت ألتقى باستمرار مع هؤلاء جميعا وكنا نتحدث فى شئون الحرب وفى كل شئون الشرق الاوسط وكانوا يسألونى عن آرائى فى الشرق الأوسط

وكانت آرائى تختلف مع آراء الكثيرين منهم، فقد كنت فى أثناء الحرب متحمسا لعلى ماهر ولسياسة عدم الانحياز، وكان رأيهم جميعا أن على ماهر هو عميل آلمانى، وكانوا يؤكدون أن مصر تخسر من سياسة عدم الانحيار فى الحرب، وحاولوا كثيراً إقناعى بأن مصلحة مصر فى أن تدخل الحرب إلى جانب الحلفاء ولكن لم اقتنع بهذا الرأى وكنا فى أيامها نهاجم سياسة الإنجليز. وكانوا فى تلك الأيام يؤيدون هذه السياسة ويدافعون بشدة عن حادث ٤ فبراير وحصار قصر الملك بالدبابات وكانوا يؤكدون أن لديهم وثائق سرية تؤكد أن الملك فاروق كان يتخابر مع الألمان وهتلر، فى أثناء الحرب، وأنهم ضبطوا هذه المحادثات وكانت سياسة أمريكا وقتئذ أن مصر داخل منطقة النفوذ البريطانى، وأنهم لن يحتلفوا مع الإنجليز فى أثناء الحرب من أجل مصر الواقفة على الحياد

والتقيت فى ذلك الوقت بالسفير الأمريكى وكان يدعونى باستمرار للغداء والعشاء معه، وكانت له عدة بيوت فى القاهرة وكان لايهمه أمر مصر إطلاقا ولايجذبه أن يسمع أى شىء عنها، وكان كل اهتمامه بالحفلات وتأمين الإنجليز فى الحرب وبصابون سان لايت الذى ملك أغلب أسهم شركته..

وفى أثناء ذلك أمكننى أن أعرف منهم عدة أخبار هامة أفادتنى صحفيا، وقد سبقت صحف العالم بنشر نبأ تسليم إيطاليا، ونشرته جريدة الأهرام. وبخبر فتح الجبهة الثانية، ومكانه وموعده، وأشرت إليه فى مجلة الأثنين، بل إن أحدهم وهو «هاى هولت» أخبرنى بتوقع هجوم هتلر على روسيا، وأردت أن أنشر هذا الخبر فى جريدة الأهرام، لكن أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام أجل نشر الخبر ٢٤ ساعة فإذا بهتلر يهاجم روسيا فى نفس الليلة..

وحصلت منهم على خبر مفاوضات الصلح مع الألمان، ونشرته وكان نقلا عن صديقة «هاى هولت» وكانت تعمل سكرتيرة لوزير الدولة البريطانى

واستمرت علاقاتى واتصالاتى بالسفارة الأمريكية بالقاهرة وموظفيها، وحدث فى سنة ١٩٤٧أن طلب منى المرحوم النقراشى باشا رئيس الوزراء أن أكون واسطة الاتصال بينه وبين الأمريكيين، لمناسبة توقف المفاوضات بين مصر وبريطانيا، وكنت دائم الاتصال بهم، وقد وعدونا فى أول الأمر بتأييد مصر فى عرض القضية فى مجلس الأمن ثم حاربونا بعد ذلك وكل مافعلوه أن رئيس جمهورية أمريكا عرض وساطته بين الملك فاروق وانجلترا

وقد حصلت على الخطابات السرية المتبادلة بين رئيس جمهورية أمريكا والملك ونشرتها في أخبار اليوم، فقامت الدنيا وقعدت وثار الأمريكيون لهذا النشر يومها

ثم تولى «مستر تاك» منصب سفير أمريكا وكانت علاقتى به قوية جدا . وكنت أقابله باستمرار، وفى تلك الأيام تغيرت سياسة أمريكا وأصبحت لها سياسة مستقلة فى المنطقة بعد أن كانت تصر.. أن تكون ذيلا لبريطانيا، وكان السر فى ذلك أن أهمية البترول فى السعودية بدأت تظهر وأصبح لأمريكا مصالح هامة فى بترول هذه المنطقة، وكثيرا ما انتقد قبل ذلك؛ سياسة الأمريكان فى أنهم يتلقون تعليماتهم من السفير البريطانى، فى القاهرة وكانوا شبه منومين مغناطيسيا، لايصدقون إلا مايقوله لهم الإنجليز!!

ثم حدث بعد ذلك أن توثقت علاقتى بمستر كافرى السفير الأمريكى الجديد، وكنت أقابله باستمرار وكان مقتنعا برأيى بأن مصلحة أمريكا هى مصلحة الشعوب العربية فى الوقت نفسه، وهى أن تؤيد أمريكا خروج المنطقة من النفوذ البريطانى وكان يكره الإنجليز كراهية شديدة.

وعندما كان يسمعنى أنتقد تصرفات الإنجليز فى المنطقة يهتز طربا، وكأنه يسمع قطعة موسيقية، ولكنه كان يعطف على الملك فاروق، وكان الملك قد وثق علاقته به، وكان يفهمه أنه يستشيره فى كل المواضيع، وأنه يأخذ رأيه قبل أن يفعل أى شيء

وبعد أن تولي نجيب الهلالى الحكم عرفت أن الملك فاروق أخذ رشوة قدرها مليون جنيه مس أحمد عبود باشا ليقيل نجيب الهلالى من الوزارة، وأخبرت كافرى بدلك فلم يصدق، ثم تحرى الخبر بطريقته الخاصة وتأكد أنه صحيح، وكنت أبلغته كذلك لنجيب الهلالى، ثم زار كافرى نجيب الهلالى وقال له أنه تأكد أن الملك قبض فعلا مليون جنيه ليقيله من رياسة الوزارة!!

وعندما استقال نجيب الهلالى راح يصرح للناس بحكاية رشوة المليون جنيه وهذا الموقف الذى جعل كافرى يغير رأيه فى الملك ويرى أن بقاءه على العرش كارثة

وعرفنى كافرى بمستر «ليكلاند» وهو شاب أعور، ويعمل ملحقا فى السفارة، واكتشفت أنه أقوى موظف وأن له نفود على كافرى، برغم أنه ملحق صغير فى السفارة، وكان يجيد اللغة العربية إجادة تامة، وكان يزورنى فى مكتبى وفى بيتى باستمرار، وأعتقدأن له فضلاً كبيراً فى التأثير على كافرى وعلى سياسة أمريكا نحو مصر، فقد كان من رأى سفراء أمريكا المتعاقبين أن مصلحة أمريكا فى أن يتولى الوفد الحكم، وأن النحاس هوأضمن حاكم لمصر، وأن بعد الوفد ستجئ الشيوعية لمصر مائة فى المائة، وكنت أنا أهاجم النحاس باستمرار وكان من رأى الأمريكيين أن هذا الهجوم لن يكسب منه إلا الشيوعيون ولكن كافرى لم يلبث أن اقتنع بغير ذلك.

وعندما قامت الثورة أبلغني «ليكلاند»أنه فى ليلة قيامها أيقظ السفير البريطانى فى واشنطون مستر «دين اتشسون» وزير الخارجية من النوم وأبلغه أن ثورة شيوعية قامت فى مصر، وأن الحكومة البريطانية قررت التدخل العسكرى فورا، وتحرك الجيش البريطانى من فايد لقمع الثورة، وقال لىَ «ليكلاند» أن دين اتشسون طلب مهلة للتشاور، وأنه أبرق إلى كافرى يسأله رأيه وأن «ليكلاند» هو الذى أعد البرقية العنيفة التى على أثرها أبدت أمريكا اعتراضها على التدخل العسكرى البريطانى فى مصر، وشعرت بحكم اتصالى بأهمية «ليكلاند» وقوته رغم صغر سنه، وأبلغت المرحوم صلاح سالم برأيي أن «ليكلاند» هو السفير الحقيقى، وعقب ذلك حدث اتصال مستمر بين «ليكلاند» وبين الرئيس جمال عبد الناصر وصلاح سالم وبعض رجال الثورة وكان «ليكلاند» هو الواسطة بين الثورة والسفير الأمريكى، وشعرت من «ليكلاند» فى احتماعاتى المتكررة معه أنه كثير الأسئلة، وأنه يتظاهر بالخوف وبأنه لاقيمة له، بيما شعرت أنه صاحب أكبر نفوذ على السفير، وأكثر علما بالسياسة الأمريكية من جميع موظفى السفارة الأمريكية الذين احتمعت بهم

وقد أبلغنى صلاح سالم أنه يشعر بأنه يعتقد أن «ليكلاند» من المخابرات الأمريكية وأن رأى رجال الثورة أنه من جهاز المخابرات الأمريكية، وطلب منى أن أسأله بينى وبينه عن ذلك، فسألته عن ذلك فنفى بشدة وقال أنه طلب منه أن يشتغل بالمخابرات ورفض ذلك.

وكان «ليكلاند» يسألنى أسئلة كثيرة جدا، ولكنه كان يبدو متحمسا للثورة ومؤيدا لها، ولم أشعر فى علاقتى الوثيقة به، أنه كان يخدعنى أو يضللنى أو يستعلنى أو يوهمنى ، بأنه مع الثورة وهو فى الواقع ضدها، وأعتقد أنه قام بخدمات جليلة جدا فى شأن علاقات أمريكا مع الثورة فى بدء قيامها.

وكان «ليكلاند» يحضر إلى أخبار اليوم يوميا وفى بعض الأحيان يتناول الغداء معى أو أتناول العشاء عنده. وكان أهم مايسأل «ليكلاند» عنه هل هناك بين قادة الثورة من له ميول شيوعية، وعرفت منه أن الإنجليز كانوا يقولون لهم باستمرارأن لديهم معلومات مؤكدة بأن عددا من أعضاء مجلس الثورة من الشيوعيين، وأن اتجاهاتهم كلهم ضد الغرب، ومن «ليكلاند» عرفت أن الإنجليز يؤكدون أن يوسف صديق شيوعى، وأن خالد محيى الدين شيوعى فأكدت «لليكلاند» أنه إذا كان تفكير خالد محيى الدين مثل أنور السادات فلا يمكن أن يكون شيوعيا، بل إن أنور السادات شيوعى أيضا، وكنت على صلة بأنور السادات، فلا يمكن أن يكون أحد فى مجلس الثورة من الشيوعيين بل إننى على العكس أرى أن مجلس الثورة ضد الشيوعية .

وقد انزعج الأمريكيون عندما أفرجت الثورة عن المعتقلين فى أول قيامها، وكان الإنجليز يؤكدون لهم أن كثيرا من الذين أفرجت عنهم الثورة من الشيوعيين، وكان الإنجليز يعتبرون كل من يهاجمون سياستهم من الشيوعيين.وقال لى «ليكلاند»أنه واثق ومتأكد من أن الثورة ليس اتجاهها شيوعيا، وأن الإنجليز مغفلون، وأنه غير صحيح أنهم خير من يعرف المنطقة، وأنه جعل كافرى يكتب تقارير تهاجم هذه الآراء التى كانت تقدمها السفارة البريطانية فى واشنطون إلى البيت الأبيض، وإلى وزارة الخارجية الأمريكية، وشعرت بأن «ليكلاند» «وكافرى» أمكنهما أن يقفا ضد كل محاولات المخابرات البريطانية لتشويه صورة الثورة أمام واشنطن.

وفى هذه الأثناء كان يحضر إلى مصر من وقت إلى آخر «كيرميت روزفلت» وكان «كيرميت» يقابلنى، وكان يقابل الرئيس جمال عبد الناصر وكانت مقابلاتى لكيرميت روزفلت بعلم الدولة وبموافقتها التامة.. وقد علمت من الرئيس جمال عبد الناصرأن «كيرميت» من المخابرات الأمريكية وأنه عضو بارز فيها، وأبديت فزعى من ذلك، ولكن الرئيس جمال عبدالناصر وافق على استمرار صداقتى بكيرميت روزفلت وكنت أخبر الرئيس عبد الناصر

باستمــرار عـلى كـل مـايقوله كيرميـت روزفلت وعن جميع الآراء الـتى يبديها فى مـقابلاته معى

وكنت أيضا علـى اتصال مستمر بمستر «وزرنـى» ومستر «بين» الموظفين بقسـم الاستعلامات الأمريكى، وكنـت على صلة وثيقة ومسـتمرة بهما، وكنت أشعـر من أسئلتهما أنهـما أيضا من رجال المخابرات وعـرفنى مستر وزرنى عـلى ما أذكر أو المستر بـين بمستر ايكل بيـرجر وكنت على اتصــال مستمر بمستـر مايلز كوبلاند الـذى كان على صلة دائـمة بالرئيس وزكريـا محيى الدين

وفهمـت من أحاديث المسـئولين أن قادة الثـورة يعلمـون جيدا أن كل هؤلاء مـن المخابرات الأمريكية، وأنهم واثقون من ذلك ولكنهم يـرون أن المصلحة فى الاتصال بهم، وخاصة أنه تبين بوضوح أن المخابـرات الأمريكية هى صاحبـة السلطة الحقيقـية فى أمريكا وأنها أقـوى نفوذا من وزارة الخارجية الأمريكية، وأنهـا قادرة على رسم السياسة فإن كثيرا من الأشياء الـتى كنا نطلبها من أمريكا أو نسأل عنهـا، كانت تصلنا عن طريق المخابرات الأمريكية قـبل أن نعرفها بواسطة السفير الأمريكى فى القاهرة بعدة شهور

ومع علم المـسئولين المصريين، وتـأكدهم بأن هؤلاء جميعـا من المخابرات الأمريكيـة، فإنهم كانوا يـصرون دائما، أن هـذا غير صحيـح، وأن هذه معلـومات خاطئة، وأن وظـيفة «كيـرميت روزفلت» مثـلا هى أنه مستشار سـياسى لرئيس الجـمهورية، ولم يحدث مـرة واحدة أن اعترف واحد منهم، فى أى حديث مباشر أو غير مباشر بأنهم من المخابرات الأمريكية

وكان لدينا اعتقاد أن كـثيرين جدا، من موظفى السفارة الأمريكيـة فى القاهرة، من المخابرات الأمريكية، وكان يحدث فى بعض الأحيان أن يكـون أحد الموظفين، من غير المخابرات ثم تظهر كفاءته، فلا تلبث المخابرات الأمريكية أن تجنده فيها

وحدث فـى سنة ١٩٥٤ أن حدثـت أزمة محمـد نجيب، وعـلمت أن محـمد نجيب اتـصل بشخص من المخابرات الأمـريكية، اسمه «مسترلى» وأن هذا الشخص كـان ملازما لمحمد نجيب طوال الوقت، وأفهم محمد نجيب «مسترلى» أن أعضاء مجلس الثورة، كلهم شيوعيون وأنه يريد أن يخـلص الـبلاد منهم وأنـه يرغـب فى تـأييد الـولايات المـتحـدة له فى مـعركـة مجـلس الثورة..وكانت الحكومة البريطانية تؤيد محمد نجيـب كل التأييد وتعتقد أن مصلحة بريطانيا فى الخلاص من جمال عبد الـناصر وأصدقائه. وكان «كوبلاند» يخبرنى هـو و «ايكل بيرجر» عن

تقارير تصلهم باستمرار من المخابرات البريطانية، تؤكد أن جمال عبد الناصر هو الخطر الحقيقى ضد الغرب، وأن مصلحة العرب فى بقاء محمد نجيب، وأن المصلحة أن يبدأ انقلاب محمد نجيب ، بحكم مؤلف من الوفد والإخوان المسلمين والتيوعيين، ثم بعد ذلك يتخلص الغرب من الشيوعيين، ويبقى محمد نجيب الذى أكد «مسترلى » لهم أنه سيكون أصدق صديق لأمريكا ولبريطانيا، وأنه إذا انتصر فريق جمال عبد الناصر، فإنه سيصبح خطرا على مصلحة أمريكا وبريطانيا، لا فى مصر وحدها بل فى الشرق الأوسط ككل

وقد وقفت أخبار اليوم فى هذه المعركة ضد محمد نجيب ونشرت مقالا فى الأخبار بعنوان «سلاطة روسى» عن مشروع حكم محمد نجيب بوزارة من الوفديين والشيوعيين والإخوان المسلمين، ونشرت فى أخبار اليوم الحديث السرى التليفونى الذى جرى بين محمد نجيب ومصطفي النحاس، وقد أحدث نشر الحديث ضجة كبرى، فى الرأى العام وأسقط محمد نجيب بين الجماهير.

وكان كوبلاند وايكل بيرجر على ما أذكر يتصلان بى فى تلك الأيام باستمرار ويقابلانى يوميا، وكنت أطلع المسئولين على المحاولات، التى تبذل من أجل تأييد محمد نجيب ولقد شعرت يومها، بأن نفوذ مايلز كوبلاند أقوى كثيرا من عدد من كبار رجال السفارة الأمريكية الذين كانوا يجمعون على وجوب تأييد محمد نجيب، وأن الإنجليز والمخابرات البريطانية، أقدر على الحكم على الحالة فى مصر منهم.

وقد حدث خلاف خطير بين الرأيين فى هذا الشأن خصوصا بعدما حدث من انتصار مؤقت لمحمد نجيب وحل مجلس الثورة وأخبرنى كوبلاند أن رجال السفارة البريطانية فى القاهرة كانوا يتبادلون التهانى ولقد كانت واشنطون نفسها مقتنعة برأى الحكومة البريطانية بحتمية انتصار محمد نجيب وضرورة تأييده.

وكان رأيى الذى أبديته دائما لكل من سألني منهم أن السلاطة الروسى التى يدعو إليها محمد نجيب ستنتهى بأن يستولى الشيوعيون على الحكم وأنه من مصلحة أمريكا أن يتولى الحكم جمال عبد الناصر وهو عدو للنفوذ الأجنبى فى المنطقة، من أن يتولاه عميل شيوعى، يحول كل المنطقة إلى مستعمرة روسية

وفى سنة ١٩٥٦ عندما حدث تأميم قناة السويس، كنت على صلة ببيل ميلر وكان الرئيس عبد الناصر على علم بهذا الاتصال، وكان ميلر يحضر إلى مكتبى يوميا وكنت أبلغ الرئيس

يوميا بما يقوله ميلر، وكان الرئيس يسميه على ما أذكر أزمرلدا أو اسما آخر لا أذكره وسألت الرئيس لماذا يسميه بهذا الاسم فقال إنه اسم رواية قرأها عن فتاة تسمع باسمها باستمرار ولا تراها.

وكان بيل ميلر يطلعنى باستمرار على كل الأنباء والبرقيات الهامة التى تصل إليه كما كان يفعل كوبلاند وايكل بيرجر الذى كان من وظيفته فى السفارة أن يطلع على البرقيات السرية . وحدث سنة ١٩٥٤ أن أخبرنى ايكل بيرجر أنه اطلع على برقية سرية جدا وصلت على التو من السفير الأمريكى فى تل أبيب وألمح لى أن لا أخبر الرئيس بها وقال أنه لوعرف أن هذه البرقية تسربت فسوف يفقد عمله

وأسرعت على الفور وأخبرت الرئيس عبد الناصر بما حدث واهتم الرئيس بهذا النبأ وطلب معلومات أوسع عن هذه العملية الخطيرة ومكانها!!

واتفقنا أن أذهب أنا ومحمد حسنين هيكل ونقابل مستر بايرود السفير الأمريكى واستطعنا أن نستدرجه ونعلم أن الخبر صحيح مائة فى المائة

وأحضر ميلر البرقيات السرية التى وصلت إليه، وتفاهمت أنا وهيكل أن يشغله هيكل بالحديث بينما أنا أنقل البرقية وفعلا استطعت أن أنقل نص البرقية، وقدمناها للرئيس حمال عبد الناصر، وأصدر الرئيس على الفور أمره إلى الجيش المصرى بالاستعداد لهذا العدوان المفاجئ، وتم العدوان فى موعده، وكان الجيش المصرى مستعدا له، ولقن الجيش المصرى يومها درسا لليهود وقد شكرنى الرئيس جمال عبد الناصر يومها على هذا العمل الذى قمت به، وقال إننى قدمت خدمة كبرى لبلادى

ولقد كان ايكل بيرجر يسألنى دائما أسئلة كلها حول موقف الرئيس جمال عبد الناصر من الشيوعية، وموقف زملائه من الشيوعية، وكنت أشعرأن أغلب المعلومات التى كانت تستند إليها أسئلته فى هذا الموضوع مستمدة من معلومات كانت تبلغ إلى أمريكا بطريق التسرب بواسطة جهاز المخابرات البريطانية الذى كان يعمل باستمرار على تشويه حقيقة جمال عبدالناصر، ويضرب باستمرار على هذه النغمة لأنه يعرف أن أمريكا تصاب بالجنون إذا عرفت أن الرئيس جمال عبد الناصر شيوعى

وحرصت على إبلاغ المسئولين عن محاولات التشويه التى تقوم بها بريطانيا ضدنا وأنها تعطى أمريكا هذه المعلومات وهى تعلم أنها كاذبة ولكن كان جهاز المخابرات البريطانى

يعمل باستمرار على أساس أن الرئيس عبد الناصر خطر على مصالح بريطانيا الاستعمارية والاقتصادية فى المنطقة وليس أن عبد الناصر يمثل خطرا شيوعيا

وكان مايلز كوبلاند وميلر بيرجر وكيرميت روزفلت يقولون لى أنهم مقتنعون بهذا الرأى، وكانوا يقولون أن المخابرات البريطانية تحاول تضليل أمريكا لمصلحة بريطانيا ولكنهم مع ذلك ومع أننى أحسست منهم دائما بهذا الاقتناع، فإنهم كانوا يجيئون كل يوم ويسألوننى عن أشخاص أثق حيدا بأنهم غير شيوعيين، ويؤكدون أنهم شيوعيون، أو يقولون أن معلومات وصلتهم بأن لهم ميولا شيوعية، ومس الأسماء التى كانوا يكثرون من السؤال عنها ويتهمونها بالشيوعية أسماء أنور السادات وعبد الحكيم عامر وثروت عكاشة وعلى صبرى وكمال رفعت وغيرهم .

بل لقد حدث مرة بأن كيرميت روزفلت قال لى أن لديهم معلومات مؤكدة جدا بأن عبد الحميد السراج شيوعى مائة فى المائة، وأنها معلومات لا يتطرق إليها الشك، وأنهم قاموا بتحريات واسعة فى هذا الشأن فأيدت ذلك وأن المخابرات البريطابية قامت أيضا بعمل حرد عام وفحص علىى عد الحميد السراج فعرفت أنه شيوعى، وأن حكومة الولايات المتحدة مستعدة لمساعدة مصر إذا استغل عبد الناصر نفوذه فى سوريا لإخراج عبد الحميد السراج من الحكم فى سوريا

وطلب منى كيرميت روزفلت، أن أقول هذه الأنباء للرئيس جمال عبد الناصر على أنها معلومات علمتها أثناء وجودي فى واشنطون، أثناء اشتراكى فى مفاوضات الجلاء بعد العدوان لا على أنها معلومات هو مصدرها   ولكنى ذهبت إلى الرئيس جمال عبد الناصر بعد عودتى مباشرة من رحلتى فى أمريكا وقلت له أن كيرميت روزفلت هو الذى قال لىَ هذه المعلومات، فقال لى الرئيس جمال عبد الناصرأن الأمريكيين مغفلون وجهلاء ومعلومات مخابراتهم كاذبة، وأنه لن يحارب عبد الحميد السراج، بل على العكس سوف يؤيده ويدعمه

وقبل قيام العدوان البريطانى الفرنسى الإسرائيلى على مصر كانت الولايات المتحدة بجميع أجهزتها على جهل تام بهذا العدوان

وكان بيل يتردد علينا باستمرار فى أخار اليوم، ويؤكد هذا ويقول أن أمريكا لا توافق على هذا العدوان، ومادامت هى لاتوافق فلن يقوم العدوان

ثم حدث أن أوفد الرئيس حمال عبد الناصر أخى على أمين إلى لندن للاتصال بحزب العمال المعارض وإبلاغه وحهة نطرنا فى تأميم القناة

وعاد على أمين من لندن وقابلت معه ومحمد حسنين هيكل الرئيس فى القناطر الخيرية، فقال على أمين للرئيس أن المعلومات السرية التى حصل عليها من انجلترا تؤكد بأن انجلترا ستقوم بالعدوان، وأنها بدأت تستعد له وأوفدنا الرئيس فى مهمة إلى أمريكا أثناء عرض مسألة تأميم القناة فى مجلس الأمن واتصلنا بكيرميت روزفلت وايكل بيرجر وبعدد من كبار موظفى وزارة الخارجية الأمريكية، وأبلغنا مستر دالاس أن العدوان أصبح فى ذمة التاريخ وأنه واثق أنه لن يحدث عدوان، ولكن العدوان حدث بعد ذلك ببضعة أسابيع، وكنا فى جميع اتصالاتنا بهؤلاء نعلم أنهم متصلون بجهاز المخابرات الأمريكية، وكانت الدولة تعلم بهذه الاتصالات وتعرفها تفصيلا، وكان يحدث كثيرا أن يسألنى هؤلاء أسئلة عن الموقف ولكن كانت كلها أسئلة سياسية، وليست أسئلة محددة.

وعندما أوفدنى الرئيس عبد الناصر فى مهمة إلى أمريكا أثناء العدوان قابلت كيرميت روزفلت عدة مرات فى حضور الدكتور أحمد حسين سفير مصر فى واشنطون فى ذلك الوقت، وبعلم الرئيس جمال عبد الناصر، وعرفت أن المخابرات الأمريكية فوجئت بالعدوان، وأنها لم تعلم به من لندن أو باريس وإنما علمت به من تل أبيب، وفى أيام العدوان الأولى كان بيل ميلر يزورنا يوميا فى أخبار اليوم، وأحيانا يقابلنا أكثر من مرة فى اليوم، وكان السؤال الذى يسأله دائما واحدا لايتغير وهو هل نستطيع الصمود، وكم ساعة نستطيع أن نقف على أقدامنا، وكان يسأل هذا السؤال أكثر من مرة فى اليوم، وعندما كنت أجيبه بأننا سنستطيع الصمود، كان يقول لو صمدت مصر ثلاثة أيام فسوف تخسر بريطانيا المعركة.. وكنت على صلة مستمرة ودائمة بالليل والنهار تليفونيا بالرئيس جمال عبد الناصر وكنت أبلغه أولا بأول بكل كلمة يقولها بيل ميلر فى مقابلاته العديدة المتكررة..

واستطعنا أن نعرف أن ايزنهاور غاضب من أن العدوان تم من وراء ظهره وأن إيدن استغفله، وكانت هذه المعلومات مفيدة جدا فى أثناء المعركة ولما كانت تجرى المباحثات بشأن وقف إطلاق النار وإرسال البوليس الدولى كانت المعلومات تصل إلىّ عن طريق ميلر أولا بأول وتبلغ للرئيس جمال عبد الناصر حتى أن الرئيس جمال عبد الناصر قال يومها أن أخبار اليوم أصبحت وزارة خارجية وكنا نشعر وقتها أن رسائلنا تصل إلى ايزنهاور بهذه الطريقة أسرع كثيرا مما لو أرسلت بطريق السفير..

وكان بيل ميلر يقول أنه يقوم بهذه المساعدات لنا، فى مقابل أن نعطيه سر طائرة ميج بعد انتهاء العدوان وهزيمته وأبلغته كذبا بأن الرئيس جمال عبد الناصر وافق على أن يعطيه طائرة ميج روسية لأن الأمريكيين وقتئذ كانوا يحاولون الحصول على الطائرة بأى ثمن لأنهم كانوا يجهلون سر صنعها..

وأبلغت الرئيس جمال عبد الناصر بما طلبه بيل ميلر وبالوعد الذى أعطيته له باسم سيادتكم وقلت لسيادتكم أنكم فى أى وقت تستطيعون أن تكذبوا علمكم بهذا الموضوع أو أنكم عرفتم أى شيء من هذا الوعد. وعندما انتهت المعركة بانتصارنا راح بيل ميلر يطالبني بأن أطلب إلى الرئيس جمال عبد الناصر تنفيذ الوعد وكنت أتهرب منه.. وكان يلح فى ذلك إلحاحا غريبا ، وكان يقابلنى يوميا ولايدور حديثه إلا عن الطائرة الميج التى وعدتهم بها باسم سيادتكم..

وكل ماحصل عليه بيل ميلر أن سيادتكم أهديتم له صورتكم تقديرا لموقفه معنا فى أثناء معركة العدوان.. ولم يكن بيل ميلر يسأل أسئلة محددة، ولكنه كان يطلب منى أن أبلغ الرئيس جمال عبد الناصر رسائل معينة عن وجهة نظر الحكومة الأمريكية فى مسائل عديدة، وكنت أبلغ سيادتكم مايطلب منى بيل ميلر إبلاغه إلى سيادتكم، وكنت على اتصال وثيق بمستر بايرود السفير الأمريكى وكنت أقابله باستمرار، ولكن صلتى كانت أقوى بمستر ريموند هير لأننى كنت صديقا له منذ كان قنصلا لأمريكا فى مصر وكان هير يسألنى فى كثير من الأمور، ويطلب منى إبلاغ رسائل معينة إلى الرئيس جمال عبد الناصر وكانت أكثر اتصالاتى بمستر هير.

وذات يوم فى أثناء ثورة لبنان فى النصف الثانى من سنة ١٩٥٨، علمت من هير أنه تلقى رسالة من وزير خارجية أمريكا يطلب إليه أن يقدم إنذارا إلى الرئيس جمال عبد الناصر بأن الأسطول الأمريكى سيضرب فينا، إذا اعتدى على الجنود الأمريكيين الدين نزلوا فى لبنان، وأنه تقرر ذلك بعد الموعد الذى يقدم فيه الإنذار رسميا.

ولم تكن سيادتكم موجودا فى القاهرة، فأسرعت وذهبت بعد منتصف الليل إلى منزل السيد/ على صبرى بمصر الجديدة، وأبلغته بما سمعته، من هير فقال على صبرى أن الأمر خطير جدا، ولايمكن أن نسكت على هذا، وأصر على استدعاء هير وإيقاظه من نومه وذهابه إليه فى قصر القبة، وتم اللقاء بينهما وأبلغه على صبرى بأن الجمهورية العربية سترفض هذا الإنذار إذا وجه إليها، وكان قد وصل إلى المخابرات الأمريكية فى بيروت بأن الجمهورية العربية أصدرت قرارا سريا بأن يغتال عدد من رجال الأسطول الأمريكى فى لبنان.

وفى هذه الأثناء قامت أخبار اليوم بحملة عنيفة ضد الشيوعية، وتعرضت أخبار اليوم للاتهامات فى كثير من الدوائر بأن هذه الحملة موعز بها من أمريكا وتعلمون سيادتكم بأنكم الذين أمرتمونى بهده الحملة، وأنكم الذين طلبتم منى طبع كتاب المجر وهى الكراسة الحمراء التى دفعت الحكومة المصرية نفقات طبعها، وأن جميع هده الحملة كنت أستشير سيادتكم فيها، وذلك فى أثناء تنظيم حملتنا على الشيوعية بعد خطاب سيادتكم فى دمشق .

وكذلك الحملة التى قامت بها أخبار اليوم عن مذابح الموصل بعد ثورة الشواف وقد سافرت بعد ذلك إلى أمريكا فى مهمة أوفدتنى سيادتكم فيها، وقد عرضت على سيادتكم بعد عودتى كل خطواتى ومقابلاتى واجتماعاتى، وقد وفقت فيها بأن أحصل للصحافة المصرية على ورق بمليون جنيه مجانا من امريكا، وتولى مستر هير السفير الأمريكى فى القاهرة إبلاغ سيادتكم ذلك بنفسه..

وكنت على اتصال يومى بسيادتكم وكنت أبلغكم تفصيليا بكل مقابلاتى مع الرجال الأمريكيين الذين اتصلت بهم، وكل ماكنت أحصل عليه من أنباء ومعلومات وأسرار بحيث كنا نعرف أولا بأول كل الأنباء التي يهمنا أن نعلم بها سواء مايجرى فى أمريكا أو يجرى فى المنطقة العربية .

وكنتم سيادتكم تطلبون منى الاستفسار عن مسائل معينة، أو إبلاغهم مسائل معينة، كان الأستاذ سامى شرف يتصل بى ويطلب منى أن أحصل على معلومات معينة من أصدقائى الأمريكيين، وأعتقد أننى كنت أحصل على بيانات تهم بلادى فى فترات عصبية قلقة. وحدث بعد تعيين الأستاذ خالد محيى الدين رئيسا لمجلس إدارة مؤسسة أخبار اليوم، أن قررت إيقاف اتصالى بأى أمريكى، وسألت الأستاذ سامى شرف فى ذلك فطلب إلى الاستمرار كما أنا..

ثم حدث وحصلت على بضعة أخبار هامة من محادثاتى مع بروس أوديل التى أبلغتها إلى سيادتكم شخصيا، وأبلغتها إلى الأستاذ سامى شرف أو إلى الدكتور عبد القادر حاتم وعند مقابلاتى مع بروس أوديل لم يكن يوجه إلى أسئلة محددة، ولكنه كان هو الذى يتحدث ويتكلم كثيرا ثم يسألنى بعض أسئلة متناثرة.. ولكن فى الشهور الأخيرة بدأت أسئلته تتحول إلى أسئلة محددة، وبدأ يسأل عن تفاصيل لم يكن الذين سبقوه يهتمون بها.. ولقد كنت اجيبه عن اسئلته. وكنت فى كثير من الأحوال أضلله، وأدعى على لسان سيادتكم أشياء تقولونها لى، ولقد كنت أتصور أننى بهذه الطريقة أستطيع أن أحصل على معلومات هامة، وأن من واجبى أن أصحح بعض المعلومات الكاذبة، وأن أوهمهم بأن قدرتنا ضخمة وأننا قادرون على نسف آبار البترول وعلى صنع قنبلة ذرية

وعندما أعود إلى نفسى، وأتذكر كل ماقلت أجد أننى أخطأت ، ولكن شفيعى فى ذلك حسن نيتى، وأننى قدمت لبلادى بهذه الاتصالات خدمات عبرتم سيادتكم فى أكثر من مناسبة عن تقديركم لها.

هذا هو مجمل الأحاديث التى دارت تقريبا ويمكن تلخيص علاقاتى مع الأمريكيين بأن علاقتى الشخصية كانت طيبة دائما بالسفراء الأمريكيين فى مصر ورجال السفارة الأمريكية، وكان هدفى الوحيد دائما من هذه العلاقات فى ذلك الوقت وفيما بعد خدمة بلادى. وحدث بعد ذلك أن عرفنى السفير الامريكى مستر كافرى بمستر ليكلاند الملحق السياسى بالسفارة، وهو الذى قال صلاح سالم لى بأنه يشك أنه ضابط مخابرات أمريكى، ولست أقطع بذلك، ولكن دلت أسئلته أنه فعلا ضابط مخابرات ولكنى كنت أتصل به بعلم الدولة

ومنذ ذلك الحين بدأت اتصالاتى برجال السفارة الأمريكية بالقاهرة، والذين أشك وتدل أسئلتهم على أنهم من رجال المخابرات الأمريكية، وكانت السلطات المصرية تعلم ذلك تماما، وتعرف بهذا الاتصال وقد بدأت هذه العلاقات بطريقة مقابلات غير منتظمة وكانت تتم فى مواعيد متغيرة وغير ثابتة، وبحضور بعض أشخاص آخرين منهم الأستاذ محمد حسنين هيكل

وبدأت هذه المقابلات تصبح مقابلات شبه منتظمة، بينى وبينهم فى بيتى على انفراد، بعد طلاق زوجتى وعودتى للإقامة في منزلى، وذلك من أواخر سنة ١٩٦٠ وكان يقابلنى فى ذلك الوقت مستر جون سيدل الملحق بالقسم السياسى بالسفارة الأمريكية، وكنت أشير دائما إلى أسمائهم فى اتصالاتى بسيادتكم عندما أبلغكم الأخبار التى أحصل عليها منهم

وكانت علاقتى بأوديل عبارة عن مناقشات ، وكان يسأل فى خلالها بعض أسئلة ولم يحدث مرة واحدة أن شعرت بأنه يسأل أسئلة محددة وإن كان يسأل دائما عن الحوادث الجارية ويستفسر عنها.

وفى بعض المرات كان يطلب منى إبلاغ السيد الرئيس بعض مسائل معينة، مثل أن رئيس جمهورية أمريكا يطلب تحديد موعد ليطير منه مستر ماكلون مندوبه الشخصى لمحادثة الرئيس جمال عبد الناصر فى أمور هامة واستمر هكذا بعد أن جاء إلى مصر مستر بروس أوديل، الذى بدأ طريقته فى المناقشات مثل طريقه سيدل ثم حدث فى الشهور الثلاثة الأخيرة أن أصبح يوجه إلىّ أسئلة محددة ويشير إشارات جعلتنى أشعر صراحة بأنه يعمل فى المخابرات الأمريكية فقد حدث أن سألته عن عنوان بيته فى الإسكندرية فرفض، وطلب منى عدم التردد على منزله فى الإسكندرية، كما طلب منى عندما أتصل بمنزله وقت غيابه فى أثينا أن لاأذكر اسمى كاملا، بل أذكر اسم مصطفى فقط، كما طلب أيضا أنه يريد أن تكون مقابلاته لىّ فى الإسكندرية غير ملحوظة لأحد، وكان عندما يريد إبلاغى توجيهات من الحكومة الأمريكية للرئيس جمال عبد الناصر يطلب أن أبلغها للرئيس بطريقة كأنها صادرة منى، وبدون الإشارة

إليه أو ذكر اسمه   وبهذه المناسبة أذكر أنه طلب منى أن أبلغ الرئيس جمال عبد الناصر بهذا الأسلوب مايأتى..

١ ــ أن الحكومة الأمريكية قررت أن لاتدفع لمصر بنسا واحدا من المعونة إلا إذا سحبت كل قواتها من اليمن، وإلا إذا توقفت عن مساعدة الكونغو وإلا إذا هادنت إسرائيل   ولم أبلغ سيادتكم هذا التهديد ثم عاد وسألنى هل أبلغت الرئيس ماقلته فكذبت عليه وقلت نعم

٢ ــ أن الحكومة الأمريكية قررت انتهاج سياسة القوة والحزم قاصدة من ذلك تخويف الرئيس جمال عبد الناصر، وإجباره على اتباع السياسة التى تتلاءم مع سياسة الولايات المتحدة فى المنطقة، ولم أبلغ سيادتكم هذا التهديد   ثم عاد وسألنى فى الأسبوع التالى هل أبلغت الرئيس ما قلته لك فكذبت عليه، وقلت نعم

٣ ــ إشعار الرئيس جمال عبد الناصر دائما بأن شخصية جونسون عنيفة غير مرنة ويتجه إلى الاندفاع واستعمال القوة لتنفيذ رغباته، ثم أراد أن يؤكد هذا المعنى فأرسل لى كتابا ألفه مستر هوايت عن الرئيس جونسون، وطلب منى أن أعطى هذا الكتاب للرئيس جمال عبد الناصر ولم أبلغ سيادتكم هذا التهديد   ثم عاد وسألنى فى الأسبوع التالى هل أبلغت ما قلته للرئيس جمال عبد الناصر، فكذبت عليه وقلت له أننى تحدثت تليفونيا مع سيادتكم وأبلغتكم كل ماقاله فى هذا الشأن ولم أرسل لسيادتكم الكتاب كما طلب منى..

٤ ــ محاولة الوقيعة بين مصر والاتحاد السوفيتى فقد أعطانى عدة مرات مقالات نشرت فى صحف شيوعية سوفيتية، بها مايمس مصر، وطلب منى إرسالها للرئيس جمال عبد الناصر، وكان المقصود بهذا الوقيعة بين مصر والكتلة الشرقية ولم أرسل لسيادتكم هذه المقالات وكذبت عليه وقلت أننى أبلغتها لسيادتكم تليفونيا.

٥ ــ محاولة الإيقاع بين مصر والدول العربية، وأذكر فى هذا المجال ما قاله من أن الملك فيصل صرح بأن اليمن ستكون مقبرة للرئيس عبد الناصر

٦ ــ الإشعار دائما بعجز مصر المالى، فقد طلب منى أن أبلغ سيادتكم بأن بنوك العالم قررت ألا تعقد قروضا لمصر لإذلالها كما أن الولايات المتحدة لن تستأنف إرسال المعونة. ولم أبلغ سيادتكم بهذا الخبر وسألنى بروس بعدها بأسبوع هل أبلغت الرئيس فكذبت عليه وقلت نعم أبلغت الرئيس.

وتنحصر باقى أهدافهم علاوة على إيصال هذه التوجيهات إلى سيادتكم فى الحصول على معلومات بعضها سياسى وبعضها عسكرى وبعضها اقتصادى وقد كنت أرد على أسئلة بروس بإجابات مضللة وغير صحيحة فى رأيى، ولكى أضفى عليها صفة، كنت انسبها أو بعضها إلى أحاديث مزعومة مع سيادتكم، وإلى بعض المسئولين، وكانت اجاباتى على الأسئلة كلها توهمه بأن مصر فى حالة سيئة وأنه على وشك أن يحدث فيها انقلاب شيوعى ضد الرئيس جمال عبد الناصر وأنه قلق وأن هناك خلايا سرية فى الجيش ولو أصيب جمال عبد الناصر فى حادث اغتيال فسوف يحدث فى مصر انقلاب شيوعى وتعم الشيوعية فى المنطقة كلها وأننى راغب فى الحصول على إجازة طويلة، حتى لا أتعرض لأخطار الشيوعية فى حالة حدوث انقلاب شيوعى.

إن هذا التصرف من حانبى دون توجيهات من سيادتكم كان خطأ، وانني أعترف بخطئى إلا أن دافعى فى هذا أن أستدرجه لاحصل على أكبر قسط من المعلومات مما يفيد البلاد ولا أمكنه من الحصول على أهدافه .

أذكر فيما يختص بسيادتكم أنه طلب منى فى إحدى المرات ولا أذكر التاريخ، نص خطاب سيادتكم فى الحلسة السرية لمجلس الأمة ورغم أننى تظاهرت باننى سأحضره إلا أن الحقيقة أننى لم أسلمه إليه

بقى موضوع آخر أحب أن أوضحه على حقيقته بصراحة تامة مهما كان يتضمن من اخطاء، وهو العلاقات المالية مع الأمريكيين، وقد حدث أن قال لى بروس أنه لو أراد أن يكون مليونيرا لاستطاع ذلك، فإن كثيرين من الدبلوماسيين يعملون فى التهريب ويربحون أرباحا طائلة.. وبعد ذلك طلبت إليه أن يأخذ خمسة آلاف جنيه مصرى يحولها إلى لندن فقال أنه لا يستطيع أن يفعل ذلك لأن تعليمات السفير مشددة فى عدم جواز ذلك، ولكن ممكن أن يحولها لى بصفته الشخصية بواسطة صديق له يسافر إلى بيروت، وفى هذه الحالة يجب أن تحول أولا إلى ليرات، ثم بعد ذلك إلى جنيهات استرلينية، ونظير عمولة بسيطة وأن يتم البيع فى السوق السوداء

وفى حديث آخر عدت إلى مناقشة الموضوع معه، وأشعرنى أولا أنه لايستطيع أن يجزم أن فى مقدوره أن يقوم بهذا العمل، بل يجب أن يسأل أولا عن إمكانية ذلك، وبعد ذلك أفهمنى أنه يستطيع تنفيذ ما أطلبه منه . وعليه سلمته خمسة آلاف جنيه مصرى، فى شهر مايو، وطلبت منه أن يودع المبلغ فى بنك ميرلاند فى لندن، وأبلغنى بعد ذلك بثلاثة أسابيع تقريبا، أنه قد تم إيداعها فعلا فى البنك المشار إليه فى لندن .

ثم بعد ذلك سلمته خمسة عشر ألف جنيه على دفعتين، دفعة عشرة ودفعه خـ
على أن يحولها فى بيروت إلى ليرات لبنانية، ثم دولارات، ويفتح حسابا لىَ باسـ
بيروت، وقد أفادنى بأنه باع هذا المبلغ فعلا فى السوق السوداء، إلا أنه قد باع المبلغ
بسبب إغراق سوق بيروت بالجنيهات المصرية، حسب ماذكر لى نتيجة المؤتمر ا
بالقاهرة، وكان المفروض أن يبلغنى يوم القبض علىّ اسم البنك الذى أودع فيه
المبلغ، ولكن عملية القبض حدثت قبل ذلك .

وعندما تقرر سفر أخى على أمين مندوبا متجولا فى أوربا مركزه لندن، رأيت أن
تكون له اتصالات بأكبر عدد من الدوائر فيها، خلاف الدوائر البريطانية واعتقدت أ
يستفيد صحفيا من أن تكون له علاقات طيبة مع السفارة الأمريكية فى لندن باعت
أخبار هاما نظرا لنفوذ أمريكا فى أوربا . وفى مقابلة لى مع بروس فى أوائل شهر ،
العام أخبرته بالموعد الذى سيسافر فيه على إلى لندن، وأنه تقابل مع الملحق الصحفى
بالقاهرة الذى أبلغه ارتياح السفير البريطانى لوجود شخص يمكن أن تتحدث مـ
البريطانية إذ أنهم لايرتاحون للاتصال مع السفارة المصرية هناك، وأنه سيتقابل
البريطانى بعد ذلك . وقد سألنى بروس فى هذه المقابلة إن كان يعرف على أمين
بروس وجماعته وهل سبق له أن اتصل بأحد من المخابرات الأمريكية وسألنى إن كا
يعرف اسم بروس وإن كان لم يقابله فأجبته بالنفى.

وقد سألنى بروس. هل يقبل على أمين أن يتصل بالمخابرات الأمريكية فقلت إ
يرحب بالاتصال بهم كصحفى

وفى مقابلة أخرى مع بروس أخبرته أن على أمين تقابل فعلا مع السفير البريطا
وتكلم عن موضوع التعويضات البريطانية كإحدى المشاكل القائمة بين البلدين، ثم
الثانية بعد ذلك بأسبوع ذكرت لبروس على لسان سيادتكم أنكم قلتم لعلى أمين
التى تمت معكم أنكم تعترون على أمين السفير فى لندن وأنك أمرته أن يبعث ر
بإرسالها عن طريق السفير باسمكم مباشرة إن كانت على مستوى عال من السرية أو
شرف بالنسبة للرسائل الأخرى على أن تكون كلها فى مظاريف مغلقة ومختومـ
الطريقة المتفق عليها كما تعلمون سيادتكم

وقد تقابلت مع بروس بعد ذلك فوجدته يسألنى عن إمكانية مقابلة على
فأجته بأن ذلك ممكن. فقال أنهم يخشون أن تحس المخابرات الإنجليزية بمقابلا

أمين فاقترحت عليه أن يقول للشخص الذى سيقابله أنه من طرفى وأن مصطفى أمين قال إنك تقابلنا خارج لندن إذا حصلت على دعوة والتذاكر وقد سألنى هل ناقشت هذا الموضوع مع على قبل سفره وأنه من الممكن أن يتقابل مع أحد رجال المخابرات الأمريكية فأجبته بالإيجاب . ولكن الحقيقة ياسيادة الرئيس أننى لم أفاتح على أمين فى هذا الموضوع.

وحدث فى هذه المقابلة أن تحدثنا فى إمكانية التعرف بعلى أمين فى لندن فاقترحت أن يتصل به رجلهم تليفونيا، وإذا به يرفض ذلك بشدة معللا أن هذا سوف يثير شكوك المخابرات الانجليزية . وفى الأسبوع التالى سألنى بروس إذا كنت أذكر شخصا كان فى القاهرة سنة ١٩٤٤ اسمه آرشى روزفلت. فقلت . نعم. فقال بروس أنه يعرفنى وشقيقى على وذكر أن آرشى هو رجلهم فى لندن .

وتساءل إذا كان على سوف يذكره فأفدته أننى أعرف روزفلت وأنه صديقى ولكن لا أعرف إذا كان على سوف يذكره، فاقترح أن أكتب خطابا يحمله آرشى إلى على حتى يتم التعارف أو يتذكره.

ودكر فى هذه المحادثة أن المخابرات الأمريكية ليست واثقة إن كان الإنجليز يعرفون حقيقة عمل آرشى روزفلت وأنه على أى حال لايجب أن تلفت مقابلاته مع على أمين انطار المخابرات الإنجليزية.

وذكرت له أن على أمين سوف يكون شحصية مهمة فى لندن، وأنه سيقوم بكثير من الاتصالات الهامة وضربت متلا بالسفير السعودى والسفراء العرب

وتكلمنا فى الخطاب الذى أرسله إلى آرشى وفعلا كتبت الخطاب وذكرت فيه أن الذى يحمل هذا إليه هو الصلة، وأنه يمكنه الاعتماد عليه، كما اعتمدنا على ابن عمه، فى كل مايريد وذكرت فى الخطاب خروج الشيوعيين من الصحافة وأن هذا سوف يتأخر إلى آخر شهر سبتمبر تقريبا، مع التعيرات المرتقبة فى الاتحاد الاشتراكى وأن الرئيس جمال عبد الناصر سوف يسافر الحزائر فى آخر هذه الشهر، ثم يسافر بعد دلك إلى يوغسلافيا، وأنى لا أتوقع حدوث أى تغييرات فى الصحافة قبل ذلك الوقت، كما أننى علمت من الصحفى الأستاذ السعدنى أن على أصبح عمدة فى لندن وأنه أصبح معروفا وذكرت له رأيى فى كتاباته الأخيرة

وكان هذا الخطاب بتاريخ ١٦/٦/١٩٦٥ ومحررا باللغة العربية وسلمته إلى

بروس ليرسله بدوره إلى آرشى روزفلت، حدث بعد ذلك فى المقابلة التالية أن ذكر لى بروس أنه تلقى رسالة يسألونه فيها إن كان على أمين قد وصل إلى لندن من عدمه، وأنه رد عليها بأنه وصل فعلا، وأن عنوانه فندق هيلتون فى لندن.

وفى مقابلة لى مع بروس فى آخر شهر يونيو، أخبرته بأن على أمين اتصل بى تليفونيا يوم الأحد السابق، وأنه لم ير آرشى روزفلت، وسألت على إن كان قد تلقى خطابى فأفاد بالنفى، وقد قال لى «بروس» لاتندهش من هذا، فإننى أرسلت الخطاب ويجب أن يمر على ست جهات مختلفة قبل أن يصل إلى آرشى

وفى المقابلة التى تلت ذلك فى ٧/٧ ذكر لى بروس خلال مقابلتى معه أنه لايستطيع أن يؤكد إن كان آرشى قد تقابل مع على أو لا حتى ذلك التاريخ

وأحب أن أذكر سيادتكم بأننى كنت دائما على اتصال بالأمريكيين ومنهم من يعملون فى المخابرات الأمريكية، وأن هذا تم بعلم سيادتكم، وأن مهمتى التى وافقتم عليها عدة مرات ووافقتم أن أقوم بها، هى أن أحاول أن أحصل على معلومات وأن أفهم سياستهم نحونا، وأن أحصل على برقيات سرية منهم بالطريقة التى آراها. وفى الوقت نفسه وافقتم سيادتكم أن أكون داخل أخبار اليوم جهازاً لجمع المعلومات وقد قدم هذا الجهاز لسيادتكم معلومات كثيرة ومتعددة، وفى كثير من النواحى كانت موضع رضاء سيادتكم .

وأنه بعد إتمام تنظيم الصحافة سألت سيادتكم هل أستمر فى القيام بهذه العملية فأجبتم بالإيجاب، ثم حدث أن سألتكم مرة أخرى بعد أن عينت رئيسا لمجلس إدارة أخبار اليوم. هل أستمر فى هذه العملية أم لا؟ . فامرتمونى سيادتكم بأن أستمر فيها .

ولقد كان هذا الجهاز مؤلفا من مخبرى أخبار اليوم ـ ولقد حدث فى أكثر من مرة أن وافقتم سيادتكم على ايفاد عدد منهم فى مهمات فى سوريا أثناء الوحدة، وفى العراق وفى الأردن، وفى غيرها وقد كنت أرسل لسيادتكم تقاريرهم الهامة، وكتيرا ماتفضلتم سيادتكم وأبديتم رضاكم عن عملية جمع المعلومات التى يقوم بها هذا الجهاز، وكنت أحاول باستمرار أن أجعل سيادتكم على علم تام بما يدور ، وما نحصل عليه من أنباء وكنت أتحدث إلى سيادتكم يوميا تقريبا.. وأبلغك أولا بأول بكل جديد .

ثم حدث بعد ذلك أن أنقطع اتصالى التليفونى اليومى بسيادتكم، وخلال دلك، حدث أكثر

من مرة أن أتصل بى الأستاذ سامى شرف، وسأل عن معلومات، وطلب جمعها، وأذكر على سبيل المثال مسألة إضراب سائقى التاكسى، وعندما كنت اتحدث مع سيادتكم عن هذا الجهاز، والأخبار التى حصل عليها سواء فى مصر أو خارجها، كنت أشعر باستمرار أن سيادتكم لا تعترضون على هذه العملية بل على العكس تؤيدونها وترحبون بها

ولم يكن أحد من أعضاء هذا الجهاز يعلم أنهم وضعوا فى جهاز سرى لجمع المعلومات، ولم يكن أحد منهم يعلم أن هذه المعلومات تصل إلى سيادتكم.

وكانت هذه المعلومات بطبيعة الحال فى بعض الاحيان ليست صالحة للنشر، أو غير مسموح بنشرها لطبيعة الظروف التى أحصل بها عليها أو لسريتها.

وفى أثناء مقابلاتى للأمريكيين وبعضهم يعمل فى مخابراتهم، كنت أستفيد فى مناقشاتى بهذه المعلومات، لأصحح الصورة الخاطئة لديهم أو لإقناعهم. وأننى فى بعض الأحيان أدس عليهم معلومات صحيحة وسط المعلومات غير الصحيحة حتى لايفقدوا الثقة فىَّ.. وقد حدث فى نهاية اتصالى بمستر بروس وأكاد اجزم فى شهر مايو الماضى أنه لأول مرة فى أحاديثى معهم أننى وجدته فجأة يلح فى معرفة مصادر الأخبار التى تجئ فى الحديث فكنت أدعى أنها من سيادتكم فى كثير من الحالات ــ أو من مسئولين كبار ــ وذكرت مثلا اسم شمس بدران وحاتم وكولونيل فى الجيش ومندوب لىَ فى مجلس الأمة ومندوب لىَ فى المطار وبومدين وعبد الحميد السراج قاصدا من ذلك أن أوهمه بقيمة هذه الأخبار وكثير منها غير صحيح هذا علاوة على قدرتى فى التحليل السياسى.

وقد كنت قبل تأميم الجريدة أكافىء هؤلاء الناس مكافآت أكثرها من الجريدة وبعضها من جيبى، وعندما أممت الجريدة لم أدفع أى مكافأة من الجريدة ولم أدفع مليما واحدا من جيبى الخاص..

وعندما أمرتم سيادتكم بأن أقوم بتحقيق عن دودة القطن لتضارب المعلومات التى تصل إلى سيادتكم اخترت حوالى العشرين محررا مهمتهم جمع المعلومات الرئيسية عن الحالة فى الأقاليم وعندما أمرتم سيادتكم بأن أقوم بتحقيق عن الانتخابات وعن المرشحين واتجاهاتهم وعن المعركة الانتخابية أوفدت عددا من المحررين للقيام بهذه المهمة السرية..

وعندما كان البعثيون فى القاهرة كلفت عددا من المحررين للقيام بهذه المهمة السرية وهى تتبع أخبارهم وتصرفاتهم فى القاهرة وأذكر أننى استفدت فى الفترة الأخيرة فى مناقشتى مع

بروس من تقارير بعض هؤلاء الذين كنت أستعين بهم فى جهاز المعلومات السرى ، وكانوا يرسلون تقاريرهم إما إلى الجريدة أو يرسلونها إلىّ مباشرة داخل مظاريف مغلقة للعلم

فمثلا مصطفى سنان كان مكلفا بصفته مندوبا فى نيابة أمن الدولة، وأحد موظفيها السابقين بقضايا الشيوعية، تلك التى لم يكن قد صرح بنشرها بعد.

وفى مجلس الأمة اعتمدت على تقارير قدمها أحمد نجم عضو مجلس الأمة والذى عينه الأستاذ خالد محيى الدين لتغطية أخبار اللجان فى المجلس، بمكافأة شهرية قدرها أربعون جنيها والأستاذ أحمد يونس عضو مجلس الأمة وشقيق الأستاذ إسماعيل يونس المحرر بأخبار اليوم، ومما اذكره بهذه المناسبة أنه لما طلب منى بروس نص حديث سيادتكم فى مجلس الأمة وكان عندى هذا عن طريقهما ـ نجم ويونس ـ إلا أننى لم أسلمه إليه كما يظهر ذلك فى التقارير المضبوطة

وأمدنى محمود عوض ـــ مندوب أخبار اليوم فى الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة ـ بخبر عن الجزائر ذكر أنه استقاه من برقية بالشفرة وأعلم تماما أن هذه البرقية غير صحيحة. وأما ماقلته من وحود كولونيل فى الجيش فهو غير صحيح إطلاقا وقد كنت أخدع بروس فى هذا.

أما مصدر حديثى فى موضوع عدم زيادة قواتنا فى اليمن وغيرها مما يتعلق بالنواحى العسكرية فإن بعضها الأول كان كلاما لم يحدث يعبر عن احتهادى الشخصى وبعضها كان يثار بين المحررين خلال مناقشات مجلس التحرير

أما بخصوص المكافآت التى كانت تصرف للمجيدين منهم، فكانت أغلبها عن طريق الكشوف التى أمرت بصرفها وأننى منذ تأميم الصحف لم أدفع مليما واحدا من جيبى لأحد من هؤلاء ولا غيرهم وإن كان قد حدث قبل التأميم أن دفعت من جيبى مبالغ صغيرة ولا أذكر قيمتها نظرا لبعد المسافة من أيام تأميم الصحف سنة ١٩٦٠ إلى اليوم وأن كان الذين قدموا هذه المعلومات بعد دلك استمروا فى القيام بما أكلفهم به بغير أى مكافأة ومما يجدر الإشارة إليه فى هذا المجال أننى لم أعلم أحدا بأمر هذا التنظيم ولا أحد من أعضائه ولا أى شخص لا الذين يعملون فى جهاز المعلومات أنفسهم ولا للمسئولين الذين تعاقبوا على الجريدة.

وأذكر أن ممن أمرت لهم بمكافآت منتظمة لأسباب صحفية لا علاقة لها بجمع أخبار أو معلومات وإنما لقيامهم بأعمال فوق أعمالهم نواب رؤساء التحرير أحمد زين ولطفى حسونة ووجدى قنديل وسعيد سنبل وقيمتها عشرة جنيهات لكل منهم شهريا، وسامى حوهر عشرة جنيهات فى مقابل سهره فى الحريدة فوق عمله ونبيل عصمت فى مقابل سهره فى أخبار اليوم فوق عمله فى الأخبار وقد انقطع هذا المبلغ عنهما عندما توقفا عن السهر

أما إبراهيم سعده فلم أدفع له مكافآت وهو مكلف بالقيام بأعمال مخابرات بناء على اتفاق بينى وبين السيد/ صلاح نصر مدير المخابرات

وعندما سافر على أمين إلى لندن ــ فكرت فى أن أرسل إليه جميع أوراقه وكتبه ومجموعات «فكرة» منذ ظهورها عام ١٩٥٢ إلى اليوم وخطاباته الخاصة ومجموعات مشروعات كتب كان يريد إصدارها ولم يراجعها بعد.. وخطر على بالى أن أكلف بروس بأن ينقلها إلى لندن بأسرع وقت

وفى يوم ٢٦ مايو قلت لبروس إن عندى ورقا وحقائب وأن عددها حقيبتان وسألته هل من الممكن أن أرسلها إلى بيروت، فأمهلنى حتى يأخذ الرد وقال أنه سيسأل جماعته إذا كان فى الإمكان نقلها وقلت له إننى أريد ان أرسلها إلى أخى على أمين

فسألنى هل على أمين فى حاجة إليها الآن . فقلت نعم إنه يحتاجها..

وكانت وجهة سظرى بأن على أمين يقيم فى الفندق لمدة ستة أشهر على الأقل وأنه سوف ينتقل الى بيت بعد ذلك

وفى حلال هذا الحديث قلت له هل من الممكن ان آخذها معى عند سفرى أم يرسلها إلى بيروت للأستاد/ سعيد فريحة وسألته هل هو شخص مؤتمن.

فأجاب بالنفى معلنا بأنه لايدرى ماسوف يفعل سعيد فريحة بمثل هذه الأوراق إدا حصل عليها.

وقال أنه مندهش كيف أننى أحتفظ بهذه الأوراق فى بيتى فأبديت رغبتى فى نقلها بسرعة فسألنى أين أحتفظ بها فقلت أنها موجودة فى بيتى وأننى حريص على نقلها بسرعة .

وفى مقابلة بعد ذلك بأسبوع مع بروس سألته متى يحضر سائقى بالأوراق فقال أننى أخذت وقتا طويلا لأن عائلته ستسافر إلى الإسكندرية واقترح أن أرسل الأوراق إليه فى اليوم التالى وأنه سيحلى منزله من الخدم وطلب أن يحضر السائق بعد المغرب فى الساعة الثامنة والنصف مساء يوم ٢٤/ ٦ وقال أنه سيترك باب الحراج مفتوحا وأن على السائق أن يدخل مباشرة داخل الجراج وفى الدقيقة التى يدحل فيها السائق سيحرج ويقفل باب الحراح

وذكر أن الأميرة دينا تسكن بجواره وأن لديها حارسين أحدهما من رجال البوليس والثانى من رجال عبد الناصر وقال لى بروس قد يكون هذا ليعرفوا من سيرورها

وقلت لبروس أننى سأخبر السائق أن هذه كتب على .

وقد طلب منى بروس أن أطلب إلى السائق أن يدخل الجراج بظهر السيارة وأن يدخل السيارة بكاملها داخل الجراج.

وقد أرسلت له الحقائب فى الموعد المحدد كالنظام المتفق عليه وكان عددها أربع حقائب حجمها (٨٠× ٥٠×٤٠) تقريبا من حقائب الملابس وكانت تحتوى على خطابات على أمين الخاصة ومجموعات من مقالات على أمين ومجموعات من فكرة ومذكرات عن ثورة ١٩١٩ وحركة محمد فريد وصور فوتوغرافية .

وحدث فى احتماع بينى وبين بروس تم بين منتصف أبريل وأوائل مايو أو حوالى ذلك أن قال لى بروس أنه تلقى تقريرا من ليبيا يثبت أن الناصريين فى البلاد العربية أضعف من أن يقتلوا ذبابة وان الشبان القوميين فى ليبيا كانوا فى الماضى متحمسين لناصر وكانوا يريدون أن ينتهزوا فرصة وفاة الملك إدريس ليقوموا بضم ليبيا إلى مصر ولكن هؤلاء الشبان أنفسهم تحولوا بعد اكتشاف البترول فى ليبيا وانقلبوا إلى فكره أن ليبيا لليبيين، وبذلك أصبح ناصر لايجد فى داخل ليبيا أعوانا لهم قيمة بل إن الليبيين أصبحوا يكرهون المصريين ولا يثقون فيهم ويعتقدون أنهم يريدون الاستيلاء على ليبيا وأخذ خيراتها. وأن حكومة الملك تزداد قوة ونفوذا.

وفى منتصف شهر مايو تقريبا كنا نتحدث أنا وبروس، فقلت له أن شيئا هاما قد حدث وهو انفجار آبار البترول فى ليبيا.

وأنه أثناء حديثى مع سيادتكم سألتمونى ماذا أعتقد من يكون وراء هذا الانفجار، ولابد أن يكونوا هم المصريون وأن نتيجة الانتخابات كانت ضدنا وأن أنصار مصر والناصريين قد سقطوا فى الانتخابات وأنا قلت أن هذا محتمل، وأن أنصار الحكومة الليبية كانوا يتوهمون أنهم هزموا الناصريين فى هذه الانتخابات، وأصفت إلى حديثى مع «بروس» أننى رغم هذا الحديث مع الرئيس إلا أننى تلقيت معلومات جديدة تفيد أن المصريين هم الذين فجروا الآبار وإن بعضهم يجرى التحقيق معه. وأن الذى رتب هذا هو عزت سليمان، وأنه وكيل صلاح نصر وأنه كان المسئول عن تهريب الرجال إلى الجزائر.

فذكر «بروس» أن حمال عبد الناصر قطع بأن المصريين لم يشتركوا فى هذه العملية أو أى عملية لنسف آبار البترول...

فأكدت له أن منظم العملية هو عزت سليمان، وأن قول الرئيس يكون صحيحا إذ أن الذين نفذوا عملية النسف قد يكونون من غير المصريين بتخطيط وتوحيه من عزت سليمان وأن هذا رد على إسقاط الناصريين فى ليبيا

أننى أذكر لسيادتكم أننى التقيت بمستر «كيم» ومستر «آرشى روزفلت» فى عام ١٩٤٤
، فى مكتبى فى مجلة الاثنين التى كنت أرأس تحريرها.

الذى قدمنى لهما الدكتور فؤاد صروف عميد الجامعة الأمريكية فى ذلك الوقت، وجرى
ث فى ذلك اليوم حول أن «كيم» يؤلف كتابا عن منطقة الشرق الأوسط والبترول العربى
سيستغرق عدة سنوات فى إعداد هذا الكتاب

قد سألنى خلال هذا الحديث عن رأيى فى سياسة أمريكا فى المنطقة، فقلت أن أمريكا
سة لها، وأنها تسير فى ركاب الإنجليز ضد الشعب المصرى

قال «كيم» إننا فى حرب ومشاكل مصر لاقيمة لها فى عملية كسب الحرب، سألته لماذا
ت أمريكا ضد مصر فى حادث ٤ فبراير وأيدت فرض رئيس وزراء على مصر بالدبابات.

قال «كيم» أن على ماهر عميل ألمانى وأن الملك فاروق ألمانى وأن لديهم من الوثائق
كد هذا وأن هناك خطابات سرية ضبطت تدل على أن المراسلات العربية مع ألمانيا تدور
طة شاه إيران، وأن السفير الأمريكى لوكان محل سفير بريطانيا فى ذلك الوقت لاتخذ
ات أعنف.

كان «كيم» وقتها يرتدى ملابسه العسكرية كضابط فى الجيش الأمريكى ولا أذكر رتبته ولم
م ــ «آرشى» ــ فى أثناء مناقشتى مع «كيم» وكان يرتدى أيضا ملابس عسكرية كضباط
ن الأمريكى.

كان هذا سنة ١٩٤٤ ولم يحدث بعد ذلك أن تقابلت مع أحدهما أو مندوب عنهما ..
لم يحدث فى خلال هذه المقابلة أى اتفاقات أو ارتباطات بمواعيد لاحقة.

ثم حدث أن أقام «مستر كافرى» مأدبة غداء أو عشاء لا أذكر، وكان ذلك بعد سنة ١٩٥٠
م إلىّ خلال هذه الدعوة ــ كيم ــ ويده فى يد مستر كافرى السفير الأمريكى، وكان فى
، الوقت شخصا مدنيا، وسألنى ــ كيم ــ إذا كنت أذكره، وكنت فى ذلك الوقت صاحب
دة أخبار اليوم ومجلة آخر ساعة، وكنا نواجه سياسة الوفد والنحاس، فأجبته أننى أذكره وأن
ه لم يتغير، وتحدثنا على ما أذكر فى استنكار سياسة أخبار اليوم بمهاجمة النحاس وأن هذا
الموقف الدولى، ولايساعد على مقاومة الشيوعية فى المنطقة

فقلت له إن الفساد هو الذى يؤدى إلى نشر الشيوعية، وأننا نحارب الفساد وانتهت هذه
بلة أيضا دون ارتباط، ولكنى أذكر هنا أننى شعرت بأهميته عير العادية من الطريقة التى كان
ك بها يد السفير، وكان «كافرى» مشهورا بالعجرفة.

وبعد تشكيل وزارة على ماهر بعد حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢، كنت موجودا عند رئيس الوزراء فى ذلك الوقت ودخل السكرتير يعلن وصول مستشار الرئيس ايزنهاور، وقد بدأ على ماهر الاهتمام بالمضيف الكبير وطلب منى الانتظار فى غرفة السكرتير حتى تنتهى زيارة هذا الشخص فإذا به «كيم روزفلت» ولكنى لم أحضر المقابلة، وعلمت بعد ذلك من رئيس الوزراء أنه كان يتحدث فى موضوع استئناف المفاوضات مع إنجلترا، وكان هذا أول اتجاه لأمريكا للتدخل فى سياسة مصر.

وذهبت بعد ذلك الى إحدى الحفلات ووجدت أن «كيم» موجود فيها فتوجهت إليه بعد أن عرفت من على ماهرأهميته، وتحدثت إليه عن مقابلة رئيس الوزراء . وقد ذكر لى أن أمريكا مهتمة باستئناف المفاوضات التى انقطعت بين مصر وبريطانيا وأن لندن مستعدة أن تذهب إلى نصف الطريق وانتهت المقابلة

وكان «كيم» قد حضر إلى مصر فى هذه المرة فى مهمة قصيرة، لاتزيد على يومين ثم قامت الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحضر«كيم» إلى القاهرة أيضا فى مهمة للاتصال بقادة التورة ولم أقابله فى هذه المرة، ولكنى عرفت بحضوره من بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة

وزاد تردده على القاهرة بعد ذلك، فى مهام قصيرة وقد قابلته فى أغلب المرات.. والحقيقة أننى كنت أسعى إلى لقائه عندما أعلم بحضوره، وكنت أجتمع به فى حضور الأستاذ محمد حسنين هيكل، وكنا نتغدى معا فى بيتى وقد توطدت علاقتنا .

وكانت مناقشتنا تدور حول المشاكل التى تدور فى الأذهان، وجرى حديث أيضا عن محمد نجيب، ورأينا أنه لايصلح، وكانت هذه المرحلة خلال الفترة سنه ١٩٥٢، ١٩٥٤.

وكان «كيم روزفلت» على اتصال وثيق بالثورة وكان يقوم بنشاط واسع فى هذا المحال لدرجة أنه كان فى ذلك الوقت، الأمريكى صاحب أقوى نفوذ من الأمريكيين فى مصر بما فيهم السفير الأمريكى.

ولعل سيادتكم تذكرون أنكم اتصلتم بى تليفونيا فى أحد الأيام، ورويتم لىَ المشادة التى وقعت بينكم وبين مستر«بايرود» السفير الأمريكى فى منزل الدكتور أحمد حسين وكيف أنه نتج عن هذا أزمة بينكم وبين السفير، وكيف استمدت من علاقاتى «بكيرميت روزفلت» الذى تصادف وجوده فى تلك الليلة، وبصرته بأثر هذا الحادث السيئ على أمريكا، واستطعنا أن نرغم «بايرود» على الاعتذار، وكيف أن السفير ذهب صاعرا إلى المشير عامر راجياً متوسلا أن تقبلوا

سيادتـكم اعتذاره الرسمـى وآسفه الشديد، عـما حدث وهو أمر لم يـحدث له مثيل فـى تاريخ أمريكا.

ومع ذلك وـتيجة للاتصـالات المستمرة مع أصـدقائنا الموحوديـن فى القاهرة، متـل «ايكل بيرحـر ومايلز كوبلانـد» أمكن تحويل بايـرود إلى رجل آخر كمـا تذكرون، وأصبح موقـفه من بلادنا طيبا بشـهادة سيادتكم، واختلف بايرود مع حـكومته بسبب حماسه لسيـاسة عبد الناصر، وأخرجه مستر دالاس وزير الخارجية من منصبه وأنزله إلى سمارة من الدرجة الثالثة.

وتذكرون سيـادتكم كيف أننـى استطعت أن أعرف من «ايـكل برجر» أن الرئيـس ايزنهاور أرسل مندوبا خاصاً لمقابـلتكم هو «حورج آلن» بعد صفقة الأسلحة وأنه سـوف يفاجئكم بإنذار من أمريكا

ويومها قلت كلمتك المشهورة، أنه إذا حدث وقدم لكم مندوب أيزنهاور هذا الإنذار فسوف تطردونه من مكتبكم، وقد أبلغت هـذا الإنذار إلى ايكل بوجود روزفلت الذى كان موجودا فى القاهـرة وقتها وأفهمـتهم أن متل هـدا الإنذار سيجر كارثـة عليه.. فمـا كادوا يسمعون كـلمة سيادتكـم، حتى اصطر مندوب أيـزنهاور أن يؤجل موعده ٢٤ سـاعة حتى يرجع إلى حـكومته ويبلغها أنكم تنوون طرده من مكتبكم

وعلى الأثر أبرقت إليه حكومتـه تطلب إليه أن يقابل سيادتكم دون أن يقدم الإنذار

استمـرت علاقتى مع «كيـرميت روزفلت » عـلى هذا، وعندمـا كان يحضر فى مـأموريات قصيرة وكانت مأمورياته متعددة فى مهمات تـتعلق باتصالاته مع رجال الثورة وكنت فى كل مرة يحضـر فيها أتـقابل معـه وذلك إما عن طـريق المبادأة فـى الاتصال وهو يـتصل بى فـى بعض الأحوال. وكنا نجتمع أيضا فى منزلى فى وقت الغداء فى حضور الأستاذ/ حسنين هيكل وكان الأستاذ هيكل يشغل وطيفة رئيس تحريـر الأخبار وأخبار اليوم فى ذلك الوقـت ولاتزال علاقتى به كما تعلمون قائمة بمعنى أنه إذا حضر أتصل به

أقرر هـنا أن اتصالاتـى مع «كيـم روزفلت» لـم تحدث إلا فى خلال فـترات حضـوره فى القاهرة والمرات التى سافـرت إلى أمريكا ــ وكنت فى كل مرة أسافر فيـها إلى أمريكا أحرص على لقائه وفى بعض المرات لم أقابله لتغيبه.

هذا بشأن كيم روزفلت أما بحصوص مستر «ليكلاند» والذى ذكرنى المرحوم صلاح سالم أنه يعتقد أنه صابط محابرات أمريكى ــ والذى تشـككت من بعض تصرفاته وأسئلته أنه يعمل

بالمخابرات فقد عرفنى عليه السفير الأمريكى «كافرى » خلال إحدى حفلات السفارة وكنت أتناقش معه فى المسائل السياسية وكان هذا الرجل ذا نفوذ على السفير ومصدر قوة لايتفق مع وظيفته فى السفارة وكان على علاقة وثيقة بأعضاء مجلس الثورة بمصر

استمرت مقابلاتى مع ليكلاند وكانت تتم إما فى مكتبى بدار أخبار اليوم أو فى مكتب الأستاذ حسنين هيكل بأخبار اليوم

وكنا نتناقش فى الموضوعات السياسية ونتناول وجهات النظر فى سياسة بلدنا، وقد استمرت هذه العلاقة حتى انتهاء مهمته فى القاهرة ولا أذكر على وجه التحديد تاريخ مغادرته مصر

وأذكر فى خلال علاقتى هذه مع مستر «ليكلاند» أن تعرفت عن طريق مراسل الأسوشيتدبرس بالقاهرة فى ذلك الوقت سنة ١٩٥٤ بالمستر ايكل وهو مستشار بالسفارة الامريكية. وكانت مناقشاتى معه تدور حول السياسة أيضا وكان يقوى علاقتى بمستر ليكلاند وإن كنا لم نجتمع ثلاثتنا إلا فى حفلات كبيرة

وتعرفت أيضا فى هذه الفترة بمستر «مايلز كوبلاند» ضابط المخابرات الأمريكية وكان يعمل بسفارتهم بالقاهرة وعرفنى به «وزرنى» مدير مكتب الاستعلامات الأمريكى بالقاهرة فى دلك الوقت وكانت علاقتى به جيدة وكان يحصر إلى مكتبى وأحيانا فى منزلى

واستمرت علاقتى مع مايلز كل فترة وجوده بالقاهرة وبعد أن انتقل إلى بيروت وعمل مديرا لإحدى الشركات الأمريكية هناك ولازلت أتقابل مع مايلز كوبلاند كما تعلمون سيادتكم فى كل مرة يحضر فيها إلى القاهرة أو أتوجه فيها إلى بيروت . وإن كانت مقابلات بيروت لم تزد على مرتين وكان يطلب منى خدمات وهى أن أتوسط لدى سيادتكم فى مسائل تجارية ولم أتحدث إلى سيادتكم بخصوصها وهى بشأن شراء مصر لماكينات على حساب المعونة الأمريكية.

وفى بعض الأحيان يكتب إلىَّ طالبا تحديد موعد لمقابلة سيادتكم وكانت محادثاتى مع مايلز كوبلاند تتصف بنفس الأسلوب وهى المناقشات السياسية وهو يطوف المنطقة بعد سفره إلى بيروت.. ولاحظت عند مقابلتى الأخيرة له فى بيروت أنه واسع النشاط والاتصالات وأنه ينتقل بين السعودية ولبنان ومصر وتكلم معى فى موضوع اليمن وذكر أن من مصلحتنا أن ننسحب فورا من اليمن ورأيى فى عمل كوبلاند الحالى أنه عملية مخابرات منظمة باسم شركة.

وفى سنة ١٩٥٦ قدمني الأستاذ/ محمد حسنين هيكل إلى مستر «وليم دورات ميلر» الملحق السياسى بالسفارة الأمريكية وهو كما علمنا فيما بعد أحد ضباط المخابرات الأمريكية وكانت فترة اتصالاتى به خلال تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثى وما بعدها

ومكث فى مصر فترة طويلة كنت أتقابل معه خلالها باستمرار إما فى مكتبى بالجريدة وفى بعض الأحيان فى منزلى حيث كنا نتناقش كالعادة فى الموضوعات السياسية وفى العلاقات المصرية الأمريكية وسياسة مصر بصفة عامة

وكنت أطلع سيادتكم يوميا على هذه الاتصالات وكنتم سيادتكم تسمونه «ريكا» وقد أصبح ميلر الآن منذ عهد كيندى نائبا لمدير الاستعلامات الأمريكى وهو منصب كبير جدا هناك وأنا لازلت على اتصال به عندما يحضر للقاهرة.

ولم يحدث أن سافرت إلى أمريكا بعد أن عين فى منصبه هذا وتذكرون سيادتكم أنه قبل وقوع عدوان إسرائيل أخبرنى ميلر بالأمر الذى سيصدر للأمريكيين بمغادرة مصر وأبلغت سيادتكم ذلك.

وعندما وقع العدوان كنت أنا ومحمد حسنين هيكل على اتصال يومى بل عدة مرات فى اليوم بمستر «ميلر» ولقد كنا يوميا على اتصال مستمر بسيادتكم وكنا نبلغ أمريكا باستمرار أثناء المعركة وبطريقة سريعة غير الطريقة الدبلوماسية، كما نبلغ وجهة نظر بلادنا عن طريق ميلر كما تعلمون وتذكرون أن فكرة البوليس الدولى ولدت أثناء اجتماعنا فى أخبار اليوم بحضور محمد حسنين هيكل..

ثم تفضلتم وأوفدتمونى فى مأمورية أثناء العدوان فى أمريكا لنشر صور العدوان وفى واشنطون علمت بأن الولايات المتحدة مترددة فى قبول وجهة نظرنا بالجلاء بلا قيد ولاشرط وقمت باتصالات وصلت بفضلها إلى حل وهو أن أكتب مشروع تصريح تدلون به سيادتكم من القاهرة ينشر فى أمريكا وعلى أثره تؤيد الولايات المتحدة موقفنا

وأرسلت لسيادتكم المشروع تلغرافيا وحرصت فى مشروع التصريح أن يعبر عن رأى سيادتكم وليس فيه درة من التفريط فى أى شىء من حقوق الوطن ولكنه فى الوقت نفسه يزيل المخاوف التى ترددت فى الأوساط الحكومية نتيجة للمناورات البريطانية والفرنسية.

واقتضت مهمتى فى أمريكا أن أتقابل مع كبار المسئولين هناك وهم على وجه التحديد شيرمان أوامس مساعد ايزنهاور، وهمفرى وزير المالية ووزير الحربية والسناتور فولرايت

وهمرشولد ولـودج مندوب أمريكا فى مجلـس الأمن، وحدث عند اجتماعى بـشيرمان أوامس مساعد ايزنهاور أن سألنى عما إذا كان من نتائج العدوان على مصر انتشار الشيوعية فيها؟.

فأخبرته بأن موقف أمـريكا أثناء العدوان كان عاملا خلق نوعا من الـتوازن فى المنطقة إذ أنه لطف من الإندار الروسى الذى لو بقى وحده دون موقـف أمريكا لكان بلا جدال عاملا قويا فى انتشار الشيوعية فى هذا البلد. وقلت أنـه يجب أن تعمل أمريكا على الإسراع فى الجلاء وبعد ذلك تقـدم مساعدات لمصـر وأثناء هذه المنـاقشات اقتـرح أن أقابل آلن دالاس مديـر المخابرات المركزيـة حيث نتكـلم فى موضوع أثـر العدوان فى انتشـار الشيوعيـة وقال أنه سيدبـر لىَ هذا اللقاء

وتقابلت مع كيرميت رورفلت وأخبرتـه بما حدث فقال أن هدا أمر مستعجل   ثم حدث أن اتصل بـى «كيـم» وقال لىَ أن «أوامس» دبـر موعدا لك مع مديـر المخابرات المركزية .. وقـابلت مستر «آلن دالاس» فى مكتبه لمدة ١٥ دقيقة، وقد شرحت له وجهة نظر بلادنا باختصار، ورغبتنا فى الإسراع بجلاء قوات العدوان فى أسرع وقت، وأن أى تأخير سيؤدى إلى كارثة.

وقدمت تـقريرا بذلـك إلى سيادتـكم فور عودتـى، شرحت فيـه كل هذه المقـابلات واحدة واحدة، وبص ماجرى فيها وفـى سنة ١٩٥٨ التقيت عند الأستاذ محمد حسنـين هيكل بمستر «جويدون يونم» وهو يتولى منـصب الملحق السياسى بالسفارة الأمريكية، وكـنا نتقابل فى أخبار اليوم، ونتـقابل فى المنزل إذا كـانت معه زوجته، ولـكن مقابلات المكـتب أكثر بطبـيعة الحال وكنت أتناقش معه فى نفس الموضوعات التى كنت أتناقش فيها مع سابقيه . واستمرت علاقتى معه حتى غادر مصر

وفى سـنة ١٩٥٨ أيضا كـنت على اتـصال« بمستـر روبرت انشوش » وكـان رئيس القـسم السياسى فى السـفارة الأمريكية، وكان يتميز على زمـلائه بأنه كان كثير الأسئلة بطـريقة ملفتة، وكنا نـتناقش أيضـا فى الموضوعات الـسياسية، والـوحدة مع سوريا، ولـم يكلفنـى بإرسال أى معلومات للـرئيس، بل كان يقوم بهذا «يونم» وكـان«روبرت اشوش» يقابلنى فى مـكتبى وفى بيتى ولم يحـدث أن لاحظـت أنـه يعـرف علاقتـى مـع يـونم ولـم يحدث أن تقابل ثلاثتنا معا

وفى أثناء ذلك عرفنى مراسل جريدة نيويورك تايمز بالقاهرة فى فندق كوزمو بوليتان بمستر جون سيدل الملحق السيـاسى للسفارة وأعتقد أنه ضابط مخابرات أمريكـيا، واستمر فى القاهرة

لفترة ٤ سنوات وكنت أتقابل معه لمدد متقاربة وكنا نتفق على مواعيد وكانت المقابلات تتم فى المكتب أو فى المنزل وإن كان أغلبها يتم فى المنزل

وكانت مناقشاتنا عن المعونة الأمريكية والشئون السياسية المختلفة وتذكرون سيادتكم أنه هو الذى أبلغنا بنبأ الانقلاب الذى سيقوم به زياد الحريرى فى سوريا قبل قيامه بوقت قصير. وهو أيضا الذى كنت أحصل منه على برقيات الشفرة التى كنت أقرأها باستمرار لسيادتكم عن الموقف فى العراق وفى البلاد العربية..

وعرفنى مستر سيدل بضابط المحابرات الأمريكى بروس أوديل الذى حل مكانه فى بيته فى المعادى بعد سفر الأول . وقد سبق أن شرحت الفترة الأخيرة فى علاقتى مع بروس وهى أنه فى الثلاثة شهور الأخيرة دأب على توجيه أسئلة محددة أو طلب أن أرسل لسيادتكم توجيهات الحكومة الأمريكية فى قالب لايظهر أنه مصدره.. لعل سيادتكم تذكرون أننى فى الثلاثة الأشهر الأخيرة لم أبلغكم شيئا.

أما علاقته السابقة بى التى بدأت تنتظم بعد حريق مكتب الاستعلامات الأمريكى فى القاهرة فكانت مقابلات تتم بينى وبينه فى منزلى وكانت مناقشاتنا عن الشئون السياسية والأمور التى تشغل الأذهان وعلى الأخص أنه كان يتظاهر بأنه يبلغنى أنباء هامة .

وبطبيعة الحال كان لابد فى مناقشتى مع هؤلاء جميعا أن أنهى إليهم بعض الأخبار أقلها صحيح وأكثرها غير صحيح كنوع من الاستدراج.

وهذا يتطلب أن أذكر أخبارا غير صحيحة فى بعض الأحيان لأرى رد الفعل لها وأخبارا صحيحة قبل نشرها حتى يمكن أن يطمئنوا إلى ما أقوله لهم.

وفى بعض الاتصالات لم أستطلع رأى سيادتكم فيما ذكرته من أخبار صحيحة وذلك فقط فى محادثتى الأخيرة مع بروس أوديل بسبب انشغال سيادتكم وقد سبق أن ذكرت ما قلته لبروس أوديل بالتفصيل فى صدر مذكرتى هذه .

وهناك شخصان كنت أتصل بهما باستمرار أيضا وهما توماس سورنسون الملحق الصحفى بالسفارة الأمريكية من ٢٦ فبراير ١٩٥٧ إلى سنة ١٩٦٠ وريتشارد هلجرسون الملحق الصحفى أيضا من سنة ١٩٦٠ وكنت اقترحت على الذين أجتمع بهم من الأمريكيين أن يتبادل الرئيس ايزنهاور خطابات مع الرئيس جمال عبد الناصر ــ حتى تكون بينهما علاقة مباشرة يستطيع

كل منهما أن يفهم وجهة نظر الآخر، ولكن ايزنهاور لم يوافق على هذا الاقتراح، لأنه إذا كتب لعبد الناصر فيجب أن يكتب لكل رؤساء الدول العربية الأخرى، حتى لايغضبوا من هذا الاتصال مع الرئيس جمال عبد الناصر وحده، ولكن سورنسون اقتنع بالفكرة فلما عين الرئيس كنيدى شقيق سورنسون مساعدا له، أقنعه بهذه الفكرة وبدأت الخطابات المتبادلة بين الرئيس كنيدى وسيادتكم

وألخص اتصالاتى فى المدة الأخيرة مع بروس وهو أن كلاً منا يمارس ضغطا على الآخر، هو يحاول أن يضغط على سيادتكم بواسطتى، وأنا أضغط عليه بأحاديثى معه، إنه إذا قضى على عبد الناصر فستكون نتيجة ذلك انقلابا شيوعيا والفرق بيننا أن ضغطه على سيادتكم لم يصل إليكم كما تعلمون وأن ضغطى عليه كان يصل إلى واشنطون باستمرار.

فمن رأيى أن الأمريكيين لايساعدون مصر إلا إذا شعروا أن هناك خطرا من التيوعية عليها، ولا يتوقفون عن الضغط على قدرتنا إلا إذا عرفوا أن بعد عبد الناصر انقلابا شيوعيا مائة فى المائة..

ولم يحدث فى أثناء اجتماعى بهؤلاء أن عرفت أسماء العملاء الذين يشتغلون معهم، ولو عرفتهم لسارعت بالتبليغ عنهم، ولم تكن ثقتهم بى تسمح لهم بأن يفشوا لى عن هذه المسائل.

ولم يكلفنى أحد من المسئولين المصريين أن اسأل أو أبحث عن أمر هؤلاء العملاء، ولو كنت تلقيت تعليمات أو توجيهات فى هذا الشأن لما ترددت فى محاولة الحصول عليها، فقد كانت كل اهتماماتى فى هذه الاجتماعات من الوجهة السياسية ومن الوجهة الصحفية

أما بخصوص الأوراق التى ضبطت مع «بروس» يوم القبض علىَّ يوم ٢١ يوليو ١٩٦٥ والتى أطلعتنى عليها نيابة أمن الدولة العليا، فأقرر بشأنها أننى لا أعلم شيئا عن ورقة الأسئلة، ولا أعلم إن كان «بروس» ينوى أن يسألنى كل هذه الأسئلة من عدمه، ولم يخرجها أمامى فى أثناء الحديث، إلا أنه سألنى عن السؤال الأول وهو ماذا أتوقع أن يكون فى خطاب السيد الرئيس يوم ٢٢ يوليو، ولم أقل له أكثر من كلمة أننى أتوقع أن يتناول الخطاب المسائل الداخلية والدولية، وما قدمه الاتحاد السوفيتى لنا من معونة القمح الروسى دون أن يطلب شروطا، ولم يكن يكتب فى ورقة أمامى وأن كانت عادته فى المرات السابقة أن يخرج ورقة يكتب فيها رؤوس مواضيع فقط، وأننى أستشهد برئيس النيابة الذى تولى عملية القبض بأن الورقة المضبوطة لم تكن أمامى ولا أمامه وإنما كانت فى جيبه وقد ذكرت هذا فى أقوالى .

وباطلاعى على ماورد فى ترجمة التقرير الذى كتبه «بروس» بخطه بأن الذى ورد فيه موضوعات لم تطرح فى الجلسة الأخيرة، وإنما ورد على لسانى ماجاء فيها فى مقابلات حدثت منذ ثلاثة شهور على الأقل، وهى على وجه التحديد مايلى . أذكر أننى قلت على لسان سيادتكم أنكم منحتم أكثر من اللازم فى فترة قصيرة وأنه ليست هناك ميزات جديدة لكى يمكن منحها، وبخصوص تغيير العملة أذكر أنه سألنى منذ أكثر من ثلاثة شهور أن لديهم معلومات أننا ننوى تغيير العملة وأننى أجبت على لسانكم بالنفى وبخصوص مناقشتى حول سياسة ج.ع م أنه قال أنه لو اهتم جمال عبد الناصر بشئون بلده الداخلية فقط وابتعد عن موضوعات التدخل فى الكونغو والعراق واليمن فإن الحكومة الأمريكية مستعدة أن تساعد مصر ماليا مساعدات ضخمة فقلت له على لسان سيادتكم أنكم مقتنعون بأنه لولا نفوذنا الخارجى لما اهتمت أمريكا بنا ولما أعطتنا دولارا واحدا، ولو أننا بقينا على حالنا فى الداخل ما أستطعنا أن نتحول إلى دولة كبيرة ولا أن نحصل على برنامج واسع من المعونة وذلك بموقفنا فى الخارج.

وقلت له على لسانكم أنكم تعلمون أن كل مايحدث من حركات ضدنا من الخليج الفارسى إلى المغرب هو تخطيط وعمل المخابرات الأمريكية ولكن هذا الحديث جرى من حوالى أربعة أو خمسة شهور ولم يكن فى المقابلة الأخيرة

سيادة الرئيس...

أحب أن أثير سؤالا: هل كان المقابل الذى حصلت عليه من اتصالاتى بالمخابرات الأمريكية أو الأمريكيين المسئولين يساوى ماقدمته لهم؟

والجواب على ذلك أننى لم أتقاض ثمن هذه الصلة مالا أو مرتبا شهريا أو سنويا إنما جاء المقابل فى الصورة الآتية فقط

١ ـ أخبار أمدنى بها المسئولون الأمريكيون ورجال المخابرات الأمريكية خلال هذه السنوات العديدة وكنت أقوم بنشرها بأخبار اليوم وباقى صحف الدار وتنفرد بها دون باقى الصحف الأخرى التى تصدر فى القاهرة، أدت إلى زيادة توزيع صحف أخبار اليوم وبالتالى أدت إلى زيادة إيراداتها

ومن هذه الأخبار خبر مفاوضات الهدنة بين الحلفاء والنازيين، وكانت تجرى سرا فى أوربا فى ذلك الحين، وكانت أخبار اليوم أول جريدة فى العالم سبقت بنشر هذا النبأ كذلك خبر عن أول تفصيلات عن اختراع القنبلة الذرية، كذلك خبر عن موعد ومكان فتح الجبهة الثانية فى

أوربا، وكذلك خبر عن موعـد الهجوم المنتظر الذى سيقوم به هتلر عـلى روسيا وكذلك خبر مفاوضات إيطـاليا بالتسليم لـلحلفاء فى نهاية الحـرب العالمية الثانية، وكـذلك أول خبرعن أن الروس بدأوا يعرفون سر القنبلة الذرية

٢ ـ وبهذه الصلة حصلـت على امتياز اصدار مجلة المختار، وهو يدر على أخـبار اليوم مبلغا طائلا سنويا وقد وافقتم سيادتكم على أن نحصل على امتياز إصدار هذه المحلة

٣ ـ وبهذه الـصلة حصلت علـى امتياز طبع مجـلة الصداقة وهو يـدر على أخبار اليوم مـلغاً كبيرا سويا.

٤ ـ وبهذه الـصلة حصلت أحـبار اليوم وصحفهـا على إعلانات من شـركة أرامكو وT W A وبان أمريكان وكاىت كل الصحف الأخرى كالأهرام مثلاً تأخذ نفس القدر من الإعلانات

٥ ـ وبهـذه الصلة حـصلت علـى ورق من أمريكـا لمصر بحـوالى ٢ مليـون جنيه، وهـو الذى تسلمته الحكومة المصرية ولكنى كصاحب أخبار اليوم استفدت من هذا الورق لأنه وزع على الصحف بنسبة توريعها، وحصلت أخبار الـيوم من الحكومة على نسبة كبيرة من هذا الورق، وكان الورق الذى اشتريناه من الحكومة أرخص من ورق السوق فربحنا بطبيعة الحال.

٦ ـ حاولـت أن أستفيـد مى هذه الصـلة بشراء مـطابع جديـدة من أمريكـا، وطلبت مـنهم أن يعاونونـى فى أن أحصل على قرض من بـنك التسليف والاسـتيراد الأمريكى لشراء مسطبعة وكان المبلغ المطلوب حوالى ١٠٠ ألف جنيه، فلم يوافق البنك لأنه يطلب ضمانات الحكومة المصرية ولأن تقاليد البنك هى عدم تقديم قروض للصحف.

٧ ـ بهذه الصلة أمكننى أن أوفد أم كلثوم لتعالج فى أمريكا بالذرة دون مقابل.

٨ ـ وفى الوقت نفسه حصلت لبلادى على معلـومات من الأمريكيين هامة وخطيرة عن موعد هجوم إسرائيل سنة ١٩٥٤ وبوهتم سيادتكم بـفضل هذه المعرفة فى كسب المعركة، وجمع الأخبارعـں الحالة فى سوريـا بعد الانفصال، وانـقطاع وسائل الاتـصال بالإقليـم السورى، وحمع الأخبار عن الحالة بالعراق بعد بزاعنا مع عبد الكريم قاسم، وجمع أخبار عن الموقف فى السعودية ىعد الأزمة التـى وقعت بيننا وبين سعود، وأنا الذى أبلغت سيــادتكم بنبــأ المؤامرة التى يقـوم بها الملك سعـود مـع أحمد أبو الفتح وسعيد رمضان.

وبعد آن أبلـغتكم هذه المعلومـات ومصدرها عرفت من سيـادتكم أنكم بوسائلـكم الخاصة عرفتم تفاصيل وأسرار هده المؤامرة

هذا الإقرار والالتماس المكون من ستين صفحة، والموقع عليه منى محرر بمعرفتى، وقد ضمنته تفاصيل اتصالاتى برجال السفارة الأمريكية، التى تمت بعد استئذان السلطات وموافقتها، وليست هناك اتصالات أخرى غير مادونت بإقرارى هذا.

١٩٦٥/٨/٥

مصطفى أمين

محتويات الكتاب



الثورة
المخابرات
النكسة



دار الخيال ـ القاهرة ـ لندن